كتاب الاثنينية (٤٧)

الأعمال الكاملة



للأديب الكبير الأستاذ

حمزة شحاتة



الجزء الثالث

النثر

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة



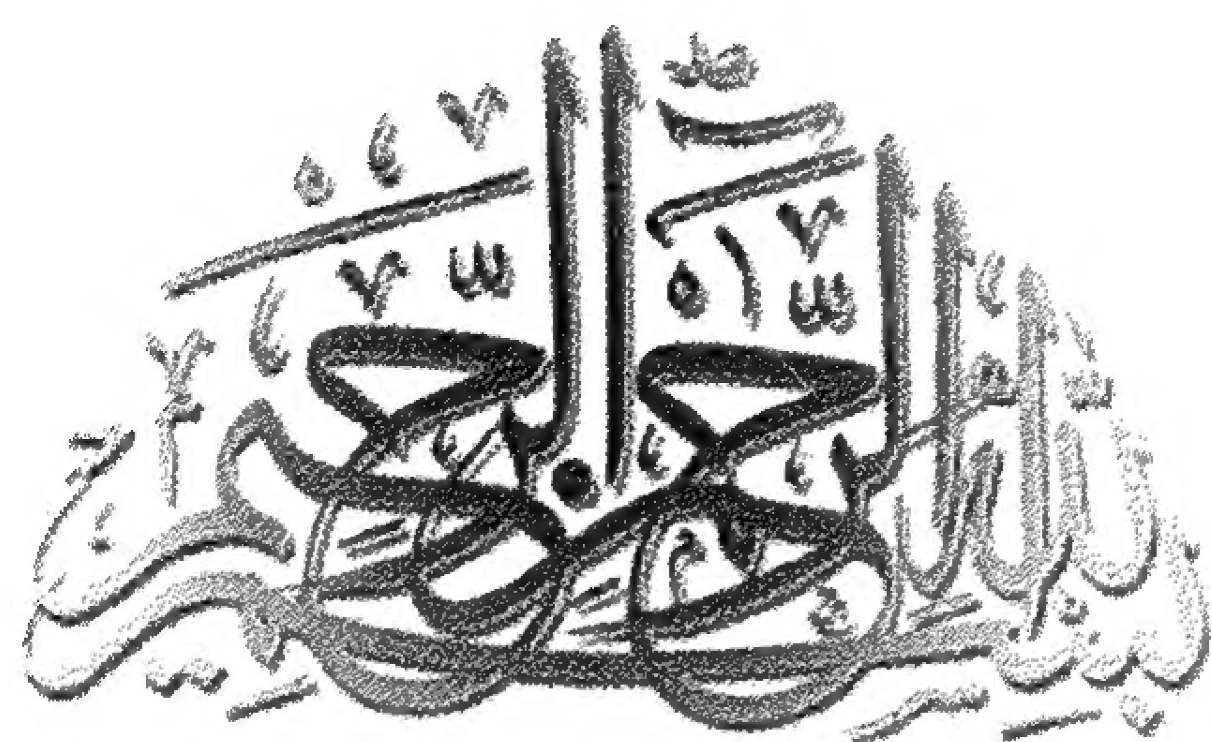
منتدى أدبي ثقافي أسس بجدة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الأعمال الكاملة

للأديب الكبير الأستاذ

حمزة شحاتة

الجزء الثالث





كتاب الاثنينية

(٤٧)

الأعمال الكاملة

للأديب الكبير الأستاذ

حمزة شحاتة

الجزء الثالث

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة

© عبدالمقصود محمد سعيد خوجه ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شحاتة ، حمزة

الأعمال الكاملة للأديب الكبير حمزة شحاتة ./ حمزة شحاتة .- جدة ١٤٣١هـ

(٣ مج ١٣٢٠ ص) المجلد الثالث ٣٦٤ ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الاثنينية ٤٧)

ردمك ٥-٥٩٨٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٥٩٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١ - شحاتة ، حمزة ٢ - الأدباء السعوديون أ- العنوان

ديوي ١٥٣١، ٩٢٨ ٨٢٠٤/ ١٤٣١

رقم الإيداع : ٨٢٠٤/ ١٤٣١

ردمك : ٥-٥٩٨٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٥٩٨٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

النَّثر

إلى ابنتي شيرين



مقدمة

بقلم الأستاذ عزيز ضياء

في هذه المجموعة من رسائل الصديق الأستاذ حمزة شحاتة (رحمه الله)، إلى ابنته السيدة شيرين، دفق من مشاعر الأبوة الحنون، إذا كانت تؤخذ على أنها طبيعية لدى كل أب نحو بناته أو أبنائه، فإنها تستوقف النظر حين نراها تترقرق شلالاً من الضوء وأضمومة من الألوان تساعدنا على المضي في محاولة اكتشاف ما تزخر به القمة، التي سبق أن قلت: إنها (عرفت ولم تكتشف).

وليس جديداً أن نقول إن حمزة (رحمه الله) كان فناناً أصيلاً، ومتنوّع المواهب والقدرات، وعلى الأخص كشاعر وكاتب، وموسيقار، ولكن الجديد بالنسبة لهذا الفنان بالذات، أن يكشف لابنته شيرين عن هذه المشاعر، وأن ينطلق في التعبير عنها في هذه الرسائل، بكل ما ينبض به قلبه من الحب، وبكل ما يهتز له وجدانه من القلق عليها بعد أن فارقها أو فارقته بزواجها. وهو جديد لأن هموم فكره، ومعاناته من تفجّر وحريق هذا الفكر، واستغراقه في عالمه الخاص من القضايا الفنية، والفكرية، التي يعلم كل أصدقائه أنه كان يعيشها بكل تفاصيلها شديدة التعقيد في كل لحظة من نهاره وليله. . كل ذلك ـ وهو عنده كثير ومتنوع ومتباعد العلاقة ـ خليق

بأن ينسيه الاهتمام بشيرين أو بغيرها من بناته، ما دام مسار الحياة في المنزل منطلقاً إلى غايته المقررة والتي يبلغ من ألفتنا لها وتعوُّدِنا عليها، أن تكتسب في إحساسنا صفة الديمومة المطمئنة الوادعة التي يندر أن تسترعي انتباهنا، أو تستغرق جانباً من اهتمامنا وعلى الأخص اهتمام فنّان في مستوى حمزة، تشغله (كلمة) عابرة في مقال يقرأه مثلاً، أو ضربة ريشة على وتر من أوتار العود في لحن من الألحان، أضعاف ما يشغله أي شأن من شؤون المنزل المعتادة، ومنها مطالب البنات أو أحوالهن في مراحل طفولتهن، أو بعد أن نهَدْنَ وأخذن يستقبلن مرحلة اليفع والشباب، وفيها زواج إحداهن، وارتحالها مع زوجها إلى حيث يقيم.

ويصعب أن نعلل لما تكشف هذه الرسائل، من انفعالات وجدانه، ولهفة مشاعره، وقلقه الذي يبلغ حد اهتمامه، حتى بما ينبغي أن تتناوله شيرين من طعام، وما ينبغي أن تمارس من رياضة، ثم ذلك الاهتمام الملهوف بعلاقاتها بالمجتمع، وبقدراتها على العطاء كمذيعة أو كاتبة، بل حتى بشؤونها الخاصة جداً، ويحبوها بالعطف والتدليل، وشغل وقته بالكتابة إليها ليقول لها الكثير والرائع مما يتجنّح ويتألق من آرائه في إطار العلاقة بين أب وابنته، وفي جوّ هذا العطف الذي يشتعل معانيَ وصوراً والتفاتات ذهنٍ ودعابةً حلوةً ودوداً.

كلا.. ليس هذا هو التعليل الصائب أو المعقول والمقبول.. وإنما الذي يمكن أن يرجح ـ عندي على الأقل ـ هو أن حمزة قد وجد في ابنته شيرين شيئاً منه.. من الفنان في شخصيته، فطبيعي جداً، أن تمتلىء نفسه رضى، وأن تخالجها مشاعر فرحة عامرة، إذ ليس هناك أعظم في تقدير أب فنّان، من أن ترث إحدى بناته نصيباً من شخصيته، وأن يكون هذا النصيب الموروث أجمل وأغلى ما يعتز به ويعيش معاناته، وهو الفن الذي عاش

حمزة كل عمره يتبتّل في محرابه، ولا يرى سواه منهج حياة، وغذاء روح، ومسبح فكر.

ومما تكشف هذه الرسائل، بين حمزة وشيرين، أن الفترة التي عاشها بعد أن اكتشف هذا الجانب الموروث منه فيها، كانت إحدى الفترات التي ندر أن تمتّع بمثلها في حياته.. فترة خفّت في نفسه خلالها مشاعر التشاؤم والزهد التي ظلّت تغمره عهداً طويلاً من عمره. فهو في أكثر من رسالةٍ مطمئن وادع راضٍ عن يومه، إن لم يكن إلى حد المرح والبهجة، فإلى حد أنساه أن يضرب على نغمةِ الضيق بالحياة والملل منها، والهروب منها من شقائه بمتناقضاتها. فكأنه رأى في ما ورثته شيرين من شخصيته عودةً إلى أيام له خلت، وماض عاشه وانطوى، ومن هذه الأيام شبابه الذي حفل بالعطاء الفني من جانبه، وبالإعجاب منقطع النظير من مجتمعه.. ومن هذا الماضي، عهود حلّق فيها في آفاق الحب، وارتوى خلالها من مناهل الجمال فغنّى الحب.. وغنّى الجمالَ في روائعه التي لا تنسى، ومنها: (وداع) التي ما تزال تتردد على ألسنة الكثيرين حتى اليوم. ولعلّه في هذه الفترة ورسائله إليها، لها طبيعة (الخصوصية) التي تبعدها عن احتمال إطلاع أحد سوى شيرين عليها، كان ينطلق على سجيته وفي عفوية الأب الذي يتحدث إلى ابنته، فلا يتكلّف الاحتراز من خطأ، ولا يحرص على التأنّق في العبارة، ولا يتحسّب لوقع الفكرة على نفس القارىء، فجاءت كل رسالة نموذجاً خاصاً، إن لم يكن فريداً، بين كل ما كتب للنشر أو لأي صديق من أصدقائه. ومع ذلك، فإن ما يشيع فيها من لمسات جمال وفن ومنابع إشعاع فكري في هذه الشؤون التي نجده يعالج النصحَ بها أو التنبيه عليها، يرفعها إلى مرتبة النادر من الأعمال الأدبية، ليس فقط، بالنسبة إلى كاتبه الكبير، وإنما ـ ربما ـ بالنسبة للأدب العربي الحديث. وهذا في

الواقع ما يمتاز به حمزة منذ كتب تلك المحاضرة التي يبدو أنه قد آن الأوان لنشرها بين ما تقوم مؤسسةِ تهامة بنشره من الأعمال، فيتاح لأبناء هذا الجيل أن يروا عملاً فكرياً نادر المثال، تمخضت عنه عبقرية حمزة منذ حوالي أربعين عاماً، ولم يكن قد بلغ الثلاثين من العمر، بل منذ كتب روائعه الشعرية في الحب، أو في جدة، أو حتى في الأهاجي التي دارت بينه وبين الأستاذ محمد حسن عواد تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّاته.. أردت أن أقول أنه (رحمه الله) يمتاز بمستوى من التكامل الفني في ما يكتب نثراً وشعراً، وفي الرسائل التي كتبها إلى ابنته شيرين، أو في أي رسالة يكتبها إلى أي صديق.. إذ يستحيل تقريباً أن تضطرب عنده العبارة أو يضعف السبك أو يتعقّد الترابط في تسلسل الجمل أو تلتبس مفاهيم الفكرة ومراميها وهذا إلى جانب تلك الأناقة العجيبة في خطّه الجميل فكأن الكتابة عنده نوع من صوغ الجوهر الثمين الذي يستحيل أن يخرج من قلمه إلا رائعاً أخّاذاً، لا يسعك إلاّ أن تتأمّله بكثير من التأمّل والإعجاب.

وبعد.. فالقارىء، الذي أتاحت له الابنة شيرين أن يعيش هذه اللحظات الحميمة بينها وبين أبيها، لا بد أن يقرأ المقدمة التي كتبتها هي عن مشاعرها نحو نشر هذه الرسائل، ولا بد أن يجد في القليل الذي كتبته، الكثير الذي قلت أنها قد ورثته من أبيها، وكان هو الذي وجده أو اكتشفه فيها، فامتلأت نفسه رضى، وخالجتها مشاعر الفرحة الغامرة، فعاش الفترة التي أعقبت هذا الاكتشاف بنفس خفّت فيها مشاعر التشاؤم والزهد، ولم يكن ذلك قليلاً بالنسبة له، بعد أن ظلّ سنين طويلة في شبه عزلة تامة، يخوض في الوقت نفسه معركة الصراع الفكري الحاد التي لو قلنا إنها لم تهدأ قط وإلى أن لفظ آخر أنفاسه، لما تجاوزنا الحقيقة في شيء.

ولهذا فإني ألحّ على شيرين أن تكتب، وأن تقاوم مشاعر الاستخفاف

بما ورثته عن أبيها، وبذلك ـ ربما ـ تحقق الأمل الذي كان يعقده عليها، فنراها نحن كاتبة تملأ في ساحة الأدب النسائي جزءاً من فراغه، الذي أشعر أنه أخذ يمتلىء بمن أقرأ لهن اليوم في الصحف والمجلات.

وإن كان لا بد من كلمة أختتم بها هذا الذي أقدّم به رسائل حمزة إليها، فهي أنها جديرة بشحنة قوية من شكر القراء، وشكر دوائر الفكر والفن، ليس فقط في المملكة، وإنما في العالم العربي الذي سيفتح عينيه على واحد من رجال الفكر عندنا، من حقّه على الفكر العربي أن يكون في صف الطليعة منه.

رحم الله حمزة.. فقد كان قمة قلت أنها عُرفت ولم تكتشف.. ولعل المقبل من الأيام يتيح للدارسين أن يكتشفوها، وأن يضيفوا إلى القليل الذي عرف عنه، الكثير الذي لا بد أن يقع في دائرة الضوء مع الأيام.

عزيز ضياء

جدة ـ في ٥ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ

الموافق ٢٠ أبريل عام ١٩٨٠م

كلمة من القلب

بقلم شيرين حمزة شحاتة

إن الأقدار دائماً هي صاحبة الكلمة الأخيرة.. ولولا الأقدار لما كانت هذه الرسائل.. التي هي بمثابة الكنز الثمين الذي تركه والدي..

فقد عدت إلى أرض الوطن لأبدأ رحلة جديدة في حياتي.. هي رحلة الزوجية.. على أن تلحق بي الأسرة بعد عدة أشهر.. فيجتمع شملنا من جديد على أرض الوطن الحبيب ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠) وشاء الله ألا يعود والدي إلى أرض الوطن إلا في زيارات قصيرة خاطفة عائداً مرة أخرى لبلاد الغربة بسبب ظروف صحية وعائلية وبسبب عدة ارتباطات وقضايا معلقة.. لم يكن يقدّر لها الانتهاء.. إلى أن عاد الغالي ليدفن في تراب وطنه الحبيب!!

ويشهد الله كم تعذبت بسبب البعد عن أهلي وأسرتي وأخواتي وكأن الله أراد أن يعوضني عن هذا العذاب.

«فكانت هذه الرسائل»

كان هذا بالرغم من أنني كنت سعيدة الحظ.. فقد حباني الله برجل يتميز بأفضل مزايا الرجال.. وهو زوجي.. فهو منذ أن ارتبطنا ودخلت إلى

حياته.. لم يدخر وسعاً في إسعادي.. وبذل كل ما يستطيع من أجلي.. ولكن!!

يظل فراق الأهل والبعد عنهم خصوصاً بالنسبة لفتاة صغيرة آنذاك.. شيء مختلف لا بد أن يترك ألماً ووحشة حتى يتم الاعتياد بمرور الزمن..

وكأن الله أراد أن يعوضني عن هذا العذاب فكانت هذه الرسائل!!

الرسائل التي بقيت لي بعد أن ذهب كل شيء.. والتي لم يكن مقدّراً لها أن تكون لو كان الشمل قد اجتمع..

هذه الرسائل الخاصة التي لم يكن مقدراً لها ذات يوم أن ترى النور مع أنها كانت النور الذي طالما أضاء لي طريق حياتي.. والتي كانت تجيئني على البعد فتمحو كل عذابي.. كان يبعثها لي (رحمه الله) ليخفف بها ألم وحدتي وابتعادي عن الأهل والبيت والأخوات.. ولكن أسعدتني وأثرت حياتي ولطالما كانت السند والحافز في كل ما يتعلق بحياتي.. كيف لا وقد كان كاتبها أبي (رحمه الله) الحب الكبير في حياتي!!

أصبحت هذه الرسائل على مرّ الأيام جزءاً عزيزاً من نفسي.. بل قطعة من روحي.. أقرأ كل رسالة منها عشرات المرات.. فتعوضني عن غياب الوالد وتؤنس تعطشي لوجوده إلى جواري.. فكانت النصائح التي تضمنتها خير مرشد ومهذب.. أعود إليها فأستأنس بحكمته وفلسفته ونظرته العميقة للحياة!!

وفجأة وبدون مقدمات قفزت إلى ذهني فكرة!!

لماذا لا أطبع هذه الرسائل في كتاب يكون بين يدي كل الناس.. ليشاركوني إعجابي وفرحتي ومتعتي بها عندما يقرؤونها.. لقد كنت واثقة أيامها أنها متعة وفائدة لأي إنسان يقرأها..

كان هذا منذ أكثر من عشر سنوات ولم أكن وقتها قد نضجت النضج الكافي فبعثت لأبي برسالة أخبره فيها بما حدثت به نفسي.. فردّ عليّ عاتباً وحذرني بشدة من الإقدام على مثل هذه الخطوة.. وسافرت وقتها إليه، وأذكر أنني جلست أحاوره ذات ليلة في موضوع نشر الرسائل وأحاول إقناعه برأيي بشتى الطرق.. وقد استمر نقاشنا حتى مطلع الفجر.. ولكن دون طائل.. فقد كان من الصعب أن يرجع أبي عن قرار اتخذه.. وقد ورثت أنا أيضاً بعضاً من صفاته وكان من الصعب أن أرجع عن قراري وبالطبع فقد اضطررت أخيراً أن أوافق على رأيه دون اقتناع، ولكن احتراماً مني لرغبته كوالد أجلّه وأقدّره!

لقد كان، (يرحمه الله) ويكرم مثواه، يحب البعد كل البعد عن الشهرة وتسليط الأضواء على أي عمل يقوم به.. وأبسط الأمثلة على ذلك.. أن صحيفة الأهرام القاهرية نشرت عنه ريبورتاجاً مصوراً.. ويبدو أن الكاتب كان من أشد المعجبين به.. ذكر خلال الدراسة التي أعدّها عنه كلمات مستفيضة من المدح عن شخصيته وأدبه وشعره.. إلخ.

وأذكر يومها وكنت في حوالي الثانية عشرة من عمري.. أن صعد أحد الجيران في العمارة التي كنا نسكنها وجاء بكل شغف وإعجاب ليقول لأبي وهو ممسك بالجريدة «أنت هذا الأديب العظيم والشاعر العملاق تسكن بيننا كل هذه الأعوام ولا نعلم عنك أي شيء من هذا».. فردّ عليه أبي بمنتهى الأدب والتواضع وهو ينظر إلى الأرض.

«لست أنا يا سيدي المقصود بهذا الكلام المذكور في هذا الريبورتاج.. لشد ما كان يسعدني ذلك.. ولكنه مجرد تشابه في الأسماء.. فهناك أديب مشهور حقاً في المملكة اسمه «حمزة شحاتة» أما حمزة شحاتة الذي أمامك فهو إنسان عادي يعمل مربية لخمس بنات!»

وانصرف الجار بعد أن تأسف لوالدي عن اللبس الذي حدث.. وهو يود أن يقابل ذات يوم الأديب حمزة شحاتة!!

رحمك الله يا أبي رحمةً واسعة.. لقد كان سر عظمتك دائماً في حسن أدبك وبساطتك وتواضعك الجم!!

هذا هو باختصار «حمزة شحاتة» أبي كما أعرفه أنا.. وكما عرفه أصدقاؤه ومحبّوه.. وكما ستتعرفون إليه من خلال رسائله..

أعود وأقول لكم إنني جمدت فكرة نشر الرسائل على أن أثيرها من جديد لعل الوالد يقتنع أخيراً.. ولكنه ظلّ مصراً على رأيه حتى آخر لحظة على رفضه التام.

وتجمدت فكرة نشر الرسائل تماماً في رأسي بعد وفاته (رحمه الله) إذ إنني ظللت ولعدة سنوات لا أستطيع أن أمسك بها أو أجرؤ أن أقرأ حرفاً منها لأن نفسي كانت تسقط في حزن عنيف من الصعب أن تصوّره الكلمات.. وأصبحت بعد رحيله هي ناري وعذابي.

وفقدت حماسي لنشر الرسائل.. وتوقفت رغبتي عن الكتابة.. وعن عمل أي شيء.. اختفى طموحي وحل محله اليأس والإحباط والرغبة في لا شيء.. ولعل خير مثال على ما اجتاح شعوري هو البيت الشهير الذي كان يردده دائماً على مسامعي (رحمه الله):

«من شاء بعدك فليمت — فعليك كنت أحاذر»

لطالما ردّد هذا البيت في مواقف كثيرة.. وكان يشرح لي أعماقه وأبعاده في حياته إلى أن أصبح حكمة أطبقها أنا أيضاً على الكثير من أمور حياتي وخصوصاً بعد وفاته.

نعم هاهو الآن قد رحل.. ما جدوى أي شيء بعده حتى لو كانت كلماته؟! هل أتمسك بالقشور بعد أن ذهب الأصل.. لم يعد هناك شيء يهم بعد رحيله.. ولا حتى الرسائل التي طالما أعجبت بها وأحببت كل حرف فيها..

ذهب التصميم والعزم وحل محله اليأس والألم والمرارة وأصبح شعاري:

«من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر»

فليمت مشروع نشر الرسائل إذن وليمت كل شيء بعده!!

كثيراً من الأخوة والأصدقاء المقربين لم يرق لهم تصرفي.. وكانوا يلحون دائماً عليّ بالتفكير في مشروع نشر الرسائل مجدداً.. وكنت أبدو مقتنعة لفترة قصيرة ثم لا ألبث أن أغير رأيي وأقابل إلحاحهم بسلبية وبعدم اهتمام..

وكان زوجي على رأس الملحين.. لأنه من أشد المعجبين بأسلوب الوالد.. وقد كان يشجعني على أن أعيد لنفسي حماسي القديم ويقول لي «إنها قطعة فنية من الذوق والأدب الرفيع يجب ألا تحرمي الناس من متعة الاطلاع عليها».. وبدأت أفكر في الموضوع مرة أخرى!!

والآن وبالتحديد في مطلع شتاء هذا العام عندما كنت أنا وزوجي في لندن وقد أعطيت أخيراً كلمة للأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد طيب، مدير عام مؤسسة تهامة، بعد أن نجح في إقناعي بنشر الرسائل.. وللحق فهو يملك قدرة خلابة على إقناع الشخص الذي أمامه بفضل كياسته ولباقته وذكائه.. فيطبق عليه القول «الرجل المناسب في المكان المناسب».

الآن أحس بالتحرّج الشديد وبالحزن العميق أيضاً على إعطاء هذه

الكلمة ودعوني أصارحكم القول وأكشف لكم جانباً خفياً من نفسي قد يكون سيئاً لما فيه من الأنانية، ولكنه بالتأكيد له جانبه الحسن أيضاً وهو الوضوح والصراحة.. بعد أن بدّأت في تنسيق الرسائل والسهر للإشراف عليها.. تحركت مشاعري في ثورة عارمة ضد نفسي.. فرسائلي التي أعتز بها وأحتضنها بين ضلوعي تخرج من بين أدق خصوصياتي.. فبعد أن كانت ملكي تصبح ملكاً للجميع؟! لماذا أقدمت على هذه الخطوة؟؟ لقد بدأت أشعر باللوعة لفراقها.. هذه الجوهرة الثمينة التي هي كنزي وثروتي وأغلى أشيائي لماذا أجعلها في متناول يد الجميع؟! وهؤلاء الجميع.. هل ينظرون لها بالنظرة نفسها التي وضعتها فيها؟؟

هل يقدرونها حق قدرها ويعتزون بها كما فعلت؟!

هناك من يقدرها لا شك وقد يعطيها أيضاً أكثر مما تستحق ولكن من يدريني أن أحدهم لا يقلب الكتاب بين يديه ثم يرميه باستخفاف قائلاً: «أب ينصح ابنته أو يشجعها ويبادلها كلمات الحب والعطف وما لنا ولهذا؟» أهكذا أقبل أن تعامل أشيائي الغالية؟! أهكذا أعرض والدي لمثل هذا الموقف وأجعل منه سخرية؟؟. وهو الذي كان يقول في كل مناسبة: «أنت فخري واعتزازي وعزائي عن كل ما أصابني»..

ليتني لم أكن منذ البدء.. لو أحسست أنني أكون السبب في المساس به.

من يدريني ماذا تخبىء الأيام؟! إن والدي كان أوسع نظرة وأكثر حكمة ونضجاً عندما قال «كل فتاة بأبيها معجبة».. ومن يدريني ألا يكون هذا منطق الأشياء؟! ليتني إذن كنت أكثر حكمة ونضجاً وتعقلاً.. ولم أضع نفسي في هذا المأزق الحرج!!

والآن.. هأنذا أتقدم نحوكم بالرسائل وكلي خوف ووجل وألم.. أتقدم بها لا رغبة مني في ذلك (ومعذرة لصراحتي) ولكن وفاء بالوعد

واحتراماً للكلمة التي أعطيتها.. وقد حرص والدي طوال حياته على احترام الكلمة.. ونجح أيضاً في أن يغرسها في نفسي.. وهذا وحده يعطيني القليل من الراحة لبعض الوقت.

كلمة لا بد منها..

أرجو أن يتجاوز القارىء الكريم عن أي عبارة مدح أو إطراء جاءت أو تكررت في الرسائل.. وليعتبرها دفقات حب وحنان أب كان يشجع بها ابنته ليعوضها بهذه الكلمات عن بعده وخصوصاً وأنه في الغربة..

وقد كنت مصممة منذ بداية إعداد الرسائل على حذفها باعتبار أنها كلمات خاصة وجودها وعدمه لن يغير في صلب الموضوع.. ولكن الأب الكريم الأستاذ عزيز ضياء رأى أن تظل الرسائل كما هي دون حذف فاستمعت لنصيحته لأنه نِعم الأب الذي يسعدني أن أستأنس برأيه دائماً وأقدّر نصائحه الغالية «أطال الله عمره وأبقاه لنا».

والله ولي التوفيق.

شيرين

إلى ابنتي شيرين

(١)

ابنتي الغالية شيرين

لا تزالين بيننا وأظنك في غير حاجة إلى البرهان.. فلو تخلى عنا ماضيك الحبيب فإن صوتك وقفشاتك وضحكاتك تملأ أرجاء البيت..

لا أدري أين أنت الآن؟! ترى هل تكون رَحلة شهر العسل قد انتهت ووصلت إلى أرض الوطن؟!

فقد مضت أيام وأيام دون أن أتلقى منك خطاباً.. بعد البرقية.. والبطاقات لأخواتك.. لا بد أنك مشغولة الآن بحياتك الجديدة..

إن معنى هذا أن الفراغ الذي خلفه لنا بعادك عنا سيتسع ويكبر، وهذا يعني مزيداً من القلق والعذاب بالنسبة لي..

من الرحمة بك ألا أملأ نفسك شعوراً بهذا الفراغ القاتل.. فمن الضروري أن تجهليه لتكوني سعيدة لا تنغص سعادتك أي ذكريات..

لقد شاطرتني في الماضي أيتها الحبيبة، متاعبي وآلامي، بل كانت نفسك الكريمة تحمل عني أثقلها وأشدها وطأة فمن حقك عليّ الآن أن أخلصك من الشعور بهذا.. يكفيني أن أشعر في داخل نفسي بأنك معي أينما كنت.. وعندما يتخلى عني الجميع..

إنك دائماً أمامي وصوتك ينساب إلى أذني وقلبي رقيقاً حانياً وأنفاسك

تتردد على وجهي وبين عيني فتلطف حرارة إحساسي بالضنك والمرارة والعذاب..

عندما أتخلص من هذا الشعور.. وعندما أفيق من غمرة هذا الذهول الذي يطوح بي في هذا الفراغ الرهيب الكبير الذي خلفه لي بعادك.. أستطيع أن أكتب لك كتابة أصفى لا تجدين فيها أثر الألم والدموع..

أنت الآن تعيشين في عِدَّة أجواء.. جو المجتمع.. وجوك الخاص.. وجو العلاقات، وجو شعورك وذبذباته..

ليت شعري هل تستطيعين الحديث عن ذلك كله؟!

أخشى أن يأخذك الملل أو مجالات النشاط والاستغراق فيها..

لا تثقلي على نفسك ولا تكتبي إلا إذا كنت متهيئة تماماً لذلك فقط، لا تدعيني أقلق عليك.. وهذا رجاء!!

إلى اللقاء أيتها الحبيبة.

حمزة شحاتة

(٢)

ابنتي الحبيبة شيرين

إننا جميعاً متألمون لفراقك.. ونشعر بأنك ما زلت بيننا، وهكذا الفراق دائماً.. مزيد من العذاب والألم.. وفي الواقع أني في غير حاجة إلى مزيد من هذا الألم.. فأنا أرى الأشياء تنهار وتتداعى وتذوب.. وتخلف آثاراً كالتي يخلفها الحريق..

كانت رسالتك بلا تاريخ.. ولم يكن فيها كل شيء..

أين أحلامك التي وعدت بأن تقصّيها عليّ.. أليست هناك أشياء أخرى مما ينبغي أن يقال؟.. أنا في شوق أن أسمع كل شيء عنك..

إن التعميد بين يديك، وكل ما أملكه تحت تصرفك.. لأنه لا شيء عندي أغلى منك.. ولأنك صغيرة وقليلة التجربة، فيجب أن تشعريني برغبتك في الإقدام على أي تصرف.. يجب أن تشتري سواراً ثميناً وساعة ممتازة، ولكن لا تختاري الأشياء المعقدة، فهي لا تلائم شخصيتك كما أنها لا تلائم الذوق الحديث..

رسائلك التي أنتظرها يجب أن تعطيني صورة كاملة لحياتك.. حرام أن لا أعرف عنك كل شيء.. لأستطيع أن أملأ شعوري بحرماني منك.. أيضاً أخواتك في غاية الشوق لسماع أي شيء عنك!!

كيف وجدت الحياة؟ وما هي المضايقات التي شعرت بها حتى الآن؟..

لا تقدمي تحت أي تأثير على تصرفات تخالف ما رسمته لحياتك.. كوني دائماً إعلاناً حسناً عني.. دعيني أعتز بك وأرفع رأسي.. أنت حياتي.. وكرامتي.. وكبريائي.. فكوني دائماً الابنة التي أردتها أن تكون.. كنتُ دائماً على استعداد للموت دفاعاً عنك وعن أخواتك.. فاحرصي على كرامتك وكبريائك أيتها الحبيبة الغالية، يا ابنتي الأولى.. يا أملي الكبير!..

كنتِ تقولين وأنت تبكين.. سأكون لك في بعدي خيراً مني في قربي.. ها أنت اليوم بعيدة عني.. ولكنك إلى جانبي وحولي وأمامي ترددين: بابا.. بابا..

.. إنني معك.. إنني هنا..

نعم أنت هنا ملء فكري.. وبصري.. ونفسي.. وشعوري.. وخيالي.. وملء أملي واعتزازي وكبريائي..

كان موقفك بالقنصلية أمام المسجل رائعاً ما زال الحديث عنه يسري سريان مَثَلٍ من أروع أمثلة البطولة..

رُوي لي أمس فقط من بضعة موظفين..

وقد رفعت رأسي اعتزازاً بك وقلت: (إنها ابنتي) .. أوقّع ولا أقرأ.. أنا شيرين حمزة شحاتة.. مسكين المسجل.. كان يظن نفسه أمام بنت رجل آخر..

كانت هذه كلمة صديق لي..

أنا أيضاً يا شيرين أوقّع ولا أقرأ مثلك تماماً..

سيكون هذا موقفك أمام الناس والأيام. ستقولين لكل من يريد أن يقف ضدي: أنا شيرين حمزة شحاتة ـ أنا بجانبه دائماً..

إلى اللقاء يا حبيبتي يا أملي الكبير ويا حبي واعتزازي.

بابا/حمزة شحاتة



حمزة شحاتة في شرخ الصبا والشباب عام ١٣٤٧هـ وكان عمره إذ ذاك ٢٥ عاماً وفي يده كتاب «دمعة وابتسامة» لجبران، وتاريخ إهداء الصورة كما هو مبين أعلاها هو ٢٠/ ٤/ ١٣٤٧هـ.

(٣)

إلى ابنتي الحبيبة شيرين

الإنسان لا يسبح المسافات الطويلة إلا بالمران.. والوقت.. سيكون الوقت والصبر والتفاؤل دائماً من عوامل سعادتك.. عليك فقط أن لا تجعلي متاعبك سراً..

ماذا عن الرياضة ونط الحبل؟ لا تقولي أنك لا تجدين الوقت.. اقرئي دائماً واطلعي حتى تتوسّع مداركك.. ولستُ في حاجة لأن أقول المزيد عن فوائد ومزايا القراءة.. فأنت تعلمين كل شيء..

مرة رابعة تقرأ أختك ليلى خطابيك الآخرين.. ومرة أخرى أسلم نفسي لشعور مريع يغرق نفسي في أعمق حزن عنيف تعرضت لوطأته في حياتي..

لم أكن قط أتصور أياماً في حياتي تحرمني منك هذا الحرمان التام.. لقد أنساني هذا الحرمان كل ما كان من أصغر وأكبر حماقتك أيتها الحبيبة..

تقولين في خطابك: «ترى هل نسيتني يا بابا؟».

كيف تتصورين أنني أنساك.. هل أنت بلهاء؟!

ما زلت صغيرة ولا تدركين ما معنى كلمة أب. إن قلبي يا صغيرتي

يتابع خطواتك وأنفاسك وخوالج قلبك يرفرف حولك.. سعيداً بما يحسه من فرحتك بالحياة.. شقياً تعساً بما يخشاه عليك حتى من حرارة الجو وبرده.. ومن قلق لحظة يعرضك له عارض عابر أو خيال بارق..

ستكونين دائماً بجانبي وملء قلبي وروحي..

تذكري دائماً أبوك الذي كان بجانبك وضحّى بكل شيء من أجلك ومن أجل أخواتك وسأذكر لك دوماً وقوفك إلى جانبي يا أملي واعتزازي..

أود أن لا ينتهي حديثي إليك.. ولكن ألا يثقل عليك هذا؟

إلى متى تظلين هكذا مستسلمة للاستماع إلى كلام لا ينتهي؟!

ليست هذه هي المشكلة فقط فإن أختك ليلى تكاد تنفجر من متابعة هذا السخف وهي تقول إنه ليس من العدل أن واحدة تتزوج والأخرى تنتحر بكتابة رسائل يومية إليها..

وتقول إنها سترفض الزواج إذا كانت ستتلقى وتكتب رسائل كالتي نتبادلها وهي تقول: يا ساتر دي حاجة تطهق!!

أخواتك يقبّلنك جميعاً بشوق.. وفي انتظار كل شيء عن أخبارك وحياتك.

دعيني الآن أقبّلك وأضمك إلى صدري متمنياً لك السعادة والهناء في حياتك الزوجية الموفقة الناجحة بإذن الله..

إلى اللقاء يا حلمي البهيج ويا مصدر اعتزازي يا بنتي، يا كل شيء لي.

حمزة شحاتة

(٤)

ابنتي الحبيبة شيرين

سيبدو كل شيء رائعاً في ضوء آمالك المليئة بالأحلام، وستجدين أن مقداراً من التعب ضروري للشعور بالراحة.. إن الإذعان للواقع ليس دليل الرضا..

ماذا في وسعنا جميعاً أن نصنع؟ إنها الحياة.. ماذا تعنيه.. تعب متصل؟! والراحة؟.. والهناء؟ والسعادة؟.. فترات من الأحلام.. تشبه خيوطاً من النور.. إنه عصر عجيب يعي فيه الطفل حكمة لقمان قبل أن يحتاج عقله الصغير لأول رقعة.. ومن أين يحصلون على هذا القدر الوفير منها؟ من الواقع.. هذا العذاب الذي يحمل كل إنسان نصيبه منه.. إنها صورة من صور الاستشهاد.. كل إنسان شهيد في سبيل أن يظل واقفاً بعض الوقت.. إلى أن تخور قواه..

تمت عزلتي الآن.. ولم تعد لي علاقة بأحد.. إلا بالمقدار الذي لا يزيد عما يتهيأ لأي نزيل في فندق صغير.. وفي معظم الحالات كما يتهيأ لتلميذ يستأجر غرفة في بنسيون ولا يدفع الإيجار بانتظام..

إننا في سفينة أو أتوبيس.. وكل الفرق أن الرحلة أطول.. إني أشعر بضغط الوحدة.. شعوراً مخيفاً.. أراني غريقاً.. أتخبط وأرسل صرخات

الهلع.. وأسمع أصوات ضحكات السخرية ممن يتظاهرون بإنقاذي.. إنني أحلم في واقعي هكذا.. فظيع أنِ يتحول واقعنا إلى أحلام تفيض بالفزع..

إنها أقدارنا.. الأقدار التي تدع لنا حريتنا في أن نسير.. ولكن إلى حيث تريد..

بدأ الخريف هنا وبدأت الأوراق تتساقط كما تتساقط أحلامنا في الفراغ الرهيب.. وغداً يزحف الشتاء ويلقي ظلاله الجامدة.. إن كل شيء يتحطم إذا لم يبق في حياتنا ما نتطلع إليه..

أبداً.. أبداً لم أعد أقوى على احتمال هذا الشقاء وحدي بلا مُعين.. إنني أبدأ الفكرة ولا أعرف كيف أتمها.. وفي الليل عندما يهدأ كل شيء وينام أظل أنا كالآلة الدائرة تدور إلى غير نهاية.. كانت هناك أعمالي الضائعة في الأوراق.. أين هي؟! إنها منذ حرمت القدرة على العمل.. تنتظر من يجمع شتاتها عبثاً.. وكل يوم يمر يزيد الأمر غموضاً.

إن الحياة هي التحول.. التحول هو الذي يعطينا الشعور بالانطلاق وبأننا أحياء.. حياتنا دائماً بحاجة إلى شيء صغير يعطيها الشعور بالتحول.. أين هو هذا الشيء الصغير في أية صورة ممكنة؟

لا شيء يعبِّر عن الحياة والزمن والانطلاق.. يا له من سجن رهيب هذا الذي أنا فيه..

لا أريدك أن تحزني من أجلي يا ابنتي الحبيبة.. سيجيء اليوم.. الذي أعتاد فيه على الظلام الدامس.. الذي فرضته الأقدار عليّ..

أقبلك بشوق أيتها الحبيبة وأرجو أن أراك قريباً إن شاء الله.

والدك

حمزة شحاتة

(٥)

ابنتي الحبيبة شيرين

تشجعي ولا تقلقي ولا تخافي.. ولكن حاولي أن لا تتسرعي وتذكري دائماً أن الحياة عبارة عن سلسلة من الصدمات لا تتغلب عليها إلا بالمزيد من الصبر والقدرة على التكيف..

لا شيء في الحياة يتحقق، أيتها الحبيبة، بغير جهد وصبر وعراك دائم مع متناقضاتها..

هذه كلماتي دائماً لك ولأخواتك.. طبعاً أؤكد أنك تحفظينها عن ظهر قلب لطول ما سمعتِها وضربت بها عرض الحائط وطوله.

إذا كنت مريضة أو قلقة.. اشرحي لي كل شيء بوضوح.. وابدي رغبتك بصراحة تامة.. حاولي أن لا تنسي شيئاً..

الرياح العنيفة تهب دائماً فجأة..

إن كل صدمة أو اضطراب نتيجة لخطأ أو لجملة أخطاء، والمهم أن نعرف أخطاءنا ونفهمها.. ولا شيء يستحيل إصلاحه..

مهما كان الإنسان طيباً.. ليس معنى هذا أنه أكثر أو أقل من إنسان والإنسان دائماً عرضة للخطأ والتحول حسب مؤثرات حياته واختلاف انفعالاته..

ترى ما الذي وجدتِه في تجربتك ينطبق مع هذه اللوغاريتمات وجداول الخطأ والصواب التي سمعتِها ملايين المرات؟..

قولي كل شيء واقترحي الحل ولن يكون إلا ما تريدين..

أدعو لك بالصحة والهدوء والتوفيق، لا تخافي وكوني واثقة.. أنني معك دائماً وأنك لن تكوني وحيدة.. مهما أحسست أنك بعيدة!!

قبلاتي وتمنياتي ودعواتي لك أيتها الحبيبة وإلى اللقاء.

بابا

حمزة شحاتة



من اليمين إلى اليسار الأساتذة:

إبراهيم فلالي، محمد نور جمجوم، حمزة شحاتة، عبد الله خطيب، عبد الله عبد الجبار، محمد قطان، في أحد منتزهات القاهرة.

(٦)

ابنتي الحبيبة شيرين

إن الأخبار السيئة تسير أحياناً بسرعة الصوت.. ويحدث أحياناً أن تنتقل ببطء.. ولكن الأخبار الطيبة تضيع في الطريق.. إنها العوامل الخفية القاهرة التي تتصرف في كل شيء..

عندما يخيب أملك في أحد.. لا تيأسي وإذا يئست لا ترفعي صوتك في وجهه.. دعي له الفرصة لكي يأسف على أنه أساء إليك..

اعرفي جيداً أن التعاسة هي محصول سعادة لم تدم.. أنا أيضاً في حالة من الخوف تتطلب الشعور بالأمن..

إننا نخاف باستمرار أكثر مما نفعل أي شيء.. نخاف مما نحب ومما نكره.. إن الذي لا يخاف من السقوط هو من يسقط فعلاً..

تسألين عن «الجراك» وإن كان قد وصل؟

نعم وصل وفرحت به جداً.. ولا بد أني أصبحت تافهاً إلى أقصى حدود التفاهة.. وذهلت كأنما كانت المفاجأة أكثر مما تتحمل أعصابي..

إنه شيء بعيد تخيلت خطأً أني نسيته وعندما فرغت من أول تجربة رحت غارقاً في سباق عميق طويل كنت أفيق أثناءه على شخير إنسان

مجاور.. شخير لا يطاق.. وتكررت اليقظة.. حتى اكتشفت أخيراً أني هذا الإنسان الذي كان يزعجني شخيره..

مساكين المدمنون حتى على الشاي.. ومساكين مثلهم تماماً الذين يدمنون التدخين مثلي.. مساكين ومسلوبو الإرادة.. أمام سلطان العادة.

هذا تأثير عادة التدخين.. فماذا عن المخدرات والمسكرات؟

ماذا تفعل بإرادة الإنسان وهي أغلى ما فيه؟

إني بهذا الاعتراف والاستسلام أشعر بأني أهدر جزءاً من كرامتي وحيائي؟

أي شيء إذن لا يضحيه المدمن؟ وأي شيء يمكن أن يستطيع صيانته؟

إنها عادة بسيطة.. مباحة.. التدخين ولا شيء غيره.. ومع هذا فقد نجحت في قتل إرادتي وشعوري بسلطانها..

ما أخطر كل عمل بسيط يتحول إلى عادة..

إنني أذوب خجلاً من نفسي لأني لم أجد القدرة على كتمان شعوري.. لقد انقلبت طفلاً أمام هذه المفاجأة التي وقفت أمامها على غير انتظار.. وها أنا أهرب من كلمة الشكر.. لأني أراها بلا معنى أمام هذا الصنيع الكبير..

إن في نفسي.. في أعماقي شيئاً يغمغم: إذن ما زال هناك من يذكرني على هذا البعد؟!

نحن في ثاني أيام العيد.. العيد الذي كان خالياً من أي شيء تختلج له النفس.. حتى وصلت رسالتك الحبيبة تحمل إليّ معناه الضائع.. معنى العيد.. أو شيئاً من معناه..

هل أقول لك شكراً؟ يا ابنتي يا أملي الكبير.. لا.. إنها كلمة لا يتحقق بها جزاء.. ولا تقدير..

قبلاتي لك أيتها الحبيبة يا أغلى شيء عندي.

والدك

(٧)

ابنتي الحبيبة شيرين

الحياة كلها عبارة عن سلسلة لا تنتهي من التجارب.. والذي يحاول أن يجنب أحداً تجاربها الفاشلة.. إنما هو كمن يحبس طفلاً لكي لا يتعرض لأخطار الشارع..

إن لكل خبرة ولكل تجربة ثمنها.. وما دمنا نعرف مسؤوليتنا عن أخطائنا فلنا حريتنا التامة في التجربة..

هناك دائماً من يتضررون بأخطائنا ومن يحملون نفس أو مثل مسؤوليتنا عنها.. من أجل هؤلاء.. من أجل حمايتهم من أخطائنا وجب أن لا يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء متى شاء..

هذا هو مبرر التدخل في حرياتنا من جانب الآخرين..

كانت النظرية فردية أو عائلية محدودة.. ولكنها الآن أصبحت نظرية المجتمع كله.. وفي بعض الاعتبارات تتطور النظرية لتشمل الإنسانية..

تذكري يا ابنتي الحبيبة أن حياة الناس مملوءة بالمخاوف من كل تجربة جديدة.. وخصوصاً التي تكون أشكالها وصورها براقة.. إنهم يعرفون خلال تجاربهم أن كل تجربة مريرة تلبس دائماً ملابس مغرية..

هذا ليس محزناً.. المحزن أن تتم عمليات الترسب لآمالنا في

الآخرين.. وآمالهم فينا بسرعة لا تصدق..

إن تكوين الحياة على هذه الطريقة تكوين يجعلها ممتعة ولذيذة.. حياة كفاح وتجربة وتغلّب على المصاعب.. ورؤية مباشرة لمتناقضاتها..

إن الكفاح لذيذ.. ومواجهة التجارب المريرة القاسية تخلق للإنسان قوة وقيمة وتخرجه من ظل التفاهة.. يجب أن يكون العلم والتفوق غاية من غاياتك.. كل عام وأنت بخير وقبلاتي لك أيتها الحبيبة.

والدك

(٨)

ابنتي الحبيبة شيرين

ربما كنت لا تستطيعين فهم حالتك.. وتعجزين عن وصفها.. أو تخافين تصوير شعورك بالضيق من بعض الظروف..

إن اللحظة التي يزول فيها أثر انفعالنا الخيالي بالأشياء تعتبر لحظة قاسية ومريرة..

كنت أحب أن تعتادي الاسترسال في تفهم شعورك وتسجيل تأثراتك والتفكير بها والتعبير عنها..

ولكن انصرافك إلى التعلق ببعض الصور الشديدة التوهج تحول بينك وبين الالتفات إلى جوانب الحساسية.. التي هي مصدر للتأثرات الخفية فيحدث أن تنفجر بلا تمهيد أو تظل ساكنة تعبِّر بالملل والمرض وانقباض النفس عن الحاجة القصوى إلى الإنقاذ..

إن شقاء الإنسان وعذاباته ليست نتيجة لأخطائه.. هناك أناس يخطئون دائماً. لا يفعلون إلا الخطأ. ولكنهم لا يدفعون ثمن أخطائهم ويعيشون في انفصال عنها وعن تأثيراتها.. وأناس لا يخطئون على الأقل لأنهم لا يجدون الوقت ولا الإمكان للخطأ ومع ذلك فهم في عذاب بأخطاء غيرهم..

إن العاطفة البشرية أقل الأشياء أماناً وثباتاً.. ولا سيما عندما تتوهج انفعالاتنا بها..

ما يعزينا أن الناس لا يموتون عندما يفقدون حبهم وأن العلاقات لا تنتهي إذا حدث إشكال..

إن الإنسان يعيش طويلاً وهو يحمل مرض موته ويصارعه.. والعلاقة تعيش بين قلبين متنافرين وربما يجيء ظرف يتغير فيه التنافر إلى حب..

اعتقدت صديقتك أن الرجال لا يحبون ما يشعرون بامتلاكه. وقلت لها: إذا كان هذا صحيحاً.. فالنساء هكذا.. ولم تنكر، كانت عاقلة وقالت إن احتياج المرأة للرجل.. حتى إلى حبه.. هو الذي يفقدها تأثيرها لأنه لا يشعر بأن هناك ما يهدده ويزاحمه عليها.. وقالت وهي منفعلة: قصة زواجي كانت أملاً تحطَّم فلم أكن إلا خادمة أمام سيد يتفضل عليَّ بالمجاملة إذا لم يجد شيئاً يشتغل به.. إنها حقيقة مروعة يا أستاذ، إن شعورها هو المروع!!

وكنت مندهشاً لطريقة تفكيرها.. لماذا كانت تفكر بهذه الطريقة.. إنها لعنة الذكاء وربما لعنة الإحساس أو لعنة الظروف؟ كيف نعرف؟.. دعينا الآن من صديقتك..

قرأت خطابيك مرة أخرى وشعرت بشيء من الثقة بنفسي.. إذا كنت هادئة مستقرة فهذا سيضع حداً لقلقي.. وإذا كان شعورك طيباً فإن كل شيء سيكون واضحاً ومفهوماً..

أين الأخبار الكثيرة عن حياتك التي وعدتني بها.. أخبار تتصل بك مهما كانت عادية.. تعتبر شيئاً هاماً عندي، وأين بقية الصور؟

إن مجموعتك عندي تكبر وتزيد بالتدريج.. وأضفت إليها المنديل الهدية الذي كان وحده رسالة حنان منك..

أليس غريباً أن تجدي أنك مضطرة لتقومي بكل هذه التضحية لأجلي؟.. ربما لا تجدين الوقت.. واستعداد الشعور لمتابعة الكتابة وسرد التفاصيل والذكريات..

سيهدأ كل شيء بمرور الوقت.. ماذا يبقى لدينا بعد أن نقول كل شيء.. ربما خطر لك هذا.. إن لكل شيء تقولينه مهما كان محدوداً أثره العظيم في نفسي.. كل شيء عنك ومنك أيتها الحبيبة..

لن يكون لكلامي عندك هذه المكانة الآن.. فأنت الآن ما زلت صغيرة ولا تعرفين الحياة ولكن سيحدث هذا في المستقبل عندما يتاح لك أن تفهمي الحياة فهماً أوسع وأدق.. وعندما يصبح لك أبناء وبنات؟!

إنك الآن في بدء حياتك الجديدة، وأمامك شهور وسنوات عسل لا تطاق حلاوته أحياناً.. ولا بد أنك تذكرين قصة دولاب العطور.. إن النفس أحياناً تشعر بالاختناق من استمرار السعادة.. ولذلك كان من الضروري دائماً للسعداء مقدار من المتاعب.. مقدار بسيط..

البعض يشعرون بالاختناق مبكراً.. فهل حدث لك حتى الآن اختناق بسيط أو شبه دوار؟

دعيني أرقب الظاهرة لأشاطرك الشعور بها.. يجب أن نرصد معاً لحظة ظهورها واختفائها وأسبابها.. أرجو لك حياة كلها سعادة في ظل زوجك..

وقبلاتي أيتها الحبيبة.

والدك

(٩)

ابنتي الحبيبة شيرين

عندما تكون حياتنا تحقيقاً جاهزاً لكل ما نريد.. نسقط في هاوية التفاهة والملل والتجرّد من المعنى.

الأشياء الصغيرة، المثيرات، المنغصات، البعوضة التي تطن، وتتنقل.. وتزعج.. ويفور لها الدم.. وتهتز الأعصاب..

النظرة الجامدة.. أو القارصة.. والكلمة المازحة.. أو الجادة.. المسمومة التي تخدش العصب أو تشده.. البسمة الحاقدة.. أو الحاسدة.. أو الكاذبة.. أو المنافقة..

هذه أمثلة للأشياء الصغيرة التي تسمم الإحساس وتولد المرارة. ولكن باختصار لماذا؟ لماذا لا تتكفل ضحكة السخر المهذبة أو كلمة الازدراء المغلّفة.. أو نظرة الحنو الساخطة، بتحويل المشهد إلى كوميدي؟!

أخشى أن تكوني في حالة توتر من أشياء تدور في ذهنك.. فتضعك في حالة توتر، تجعلك على استعداد لتفسير أي شيء تفسيراً خاطئاً.

دعي كل شيء مزعج يمر كأنه لم يكن.. تحتاجين إلى السيطرة على نفسك لتتعلمي هذا..

نحن لا نستطيع العيش بلا طعام.. والطعام لا يأتي بلا عمل.. والعمل لا يمكن بغير سلامة وقدرة..

إن لديك ما يكفيك من مشاغلك الخاصة، أعمالاً يومية متكررة ودراسة وتفكيراً، فلا تدعي لاتصالك بالآخرين ما يصرفك عن مشاغل حياتك، ولا تجعلي لكلمات الآخرين أي تأثير في نفسك وفكرك وأعصابك.. دعي كل شيء يمضي ولا تعيريه التفاتاً، لكي تتجنبي التعرض للشعور بالإرهاق..

لا أود أن أطيل عليك أيتها الحبيبة..

قبلاتي وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(١٠)

ابنتي الحبيبة شيرين

خطابك وصل الساعة الخامسة من يوم السبت ١٧ يناير وكان من حسن حظه ـ أعني «خطابك» ـ أني لا أنام الليل أبداً حتى الساعة السابعة والثامنة.. لا تسألي لماذا فأنا لا أعرف شيئاً ولا سبباً يقتضي هذا الأرق الثابت..

ربما كانت الشيخوخة أو طبيعة انعدام الشاغل الليلي كالقراءة والتلهي بنظم الشعر وعلى الأصح ما اصطلح الناس على تسميته بالشعر لتمييزه بأنه الكلام غير المألوف.

وربما كانت طبيعة الوحدة والشعور بالظلمة التامة ـ ويظهر أن وقتاً كافياً للاعتياد لم يمر بعد على هذه التجربة القاسية.

حذار أن تنصحيني بأي نوع من المنومات أو المهدئات فكل شيء من هذا القبيل قد فات أوانه وانقضى.

لقد تناولت أقوى المنومات فكنت أزداد بها نشاطاً وحدة ويقظة، وهذا دليل على أن أرقي عنيد!

أحقاً كانت تمر بنا أعياد أيام طفولتكن كما تمر بالناس؟! لقد أصبحت

ضعيف الذاكرة إلى درجة مخيفة.. مخيفة ليس لي ولكن للآخرين.. ماذا يحدث لمن لا ينسون لو لم ينسوا؟!

إنه شيء مرعب أن يحتفظ الإنسان بذاكرته عندما يأتي دور الأرق.. لم أكن بحاجة إلى أن تبرري لي برقية المعايدة.. يكفي أن لا تفعليها مرة أخرى.. هذه الحماقة التي لا يمكن أن تفسر إلا أنها هروب من كتابة رسالة.. رسالة ليست للمعايدة ولكن بمناسبتها.. استطعت أن تعيديني إلى الماضي أيتها الحبيبة يوم كنت تملئين البيت بهجة وإشراقاً بالنكت والقفشات وبحماقاتك الملحنة.. «حل الكيس» ومثيلاتها.. أما زلت ترددينها يا ترى؟؟

لقد كنت ذات أطماع محدودة وهذا من حسناتك.. ولكن أتراك الآن تبدلت وامتلأت بالطموح؟!

لا تصدقي أن كلمة الطموح تعني شيئاً أفضل من الجشع.. وهو التطلع إلى المزيد.. إن مطالبنا في الحياة لا يمكن أن تريحنا ما لم نضع لها حداً.. بالبساطة والقناعة..

أقول تريحنا لأن لا شيء يتعب ويجهد كالرغبة في المزيد.. هذا ينطبق على كل شيء..

إن طلب المزيد لا يحقق الأحلام بقدر ما يقضي عليها، يقضي عليها ليحلم بغيرها؛ بما لم يتحقق بعد.

ستعرفين مصروفات الجامعة في نهاية الخطاب فلا بد أن أسأل عنها صباحاً، ولكني أرى أن تتابعي دراستك في جامعة بيروت فهذا أفضل.. إنك هنا ستكونين عرضة لصنوف من القلق والتوتر، هذا إذا أمكن أن تجدي الطريق ميسراً من حيث ازدحام الجو الدراسي ورجوح احتمال تصعيد

الاشتباك مع إسرائيل ـ وليدة الولايات المتحدة الأمريكية..

إن انتصارنا بمشيئة الله محقق ولكن النضال مرير.. كم كنت أود أن أراك بجانبي في المعركة.. وأن نحمل السلاح معاً كما يفعل الناس في فيتنام الآن.. ولكن هيهات كيف تتخلين عن بيتك وزوجك ورجلك الصغير؟

إننا الآن في أقصى الحاجة لمثل هذا التفكير كي نجتاز هذه المحنة التي تهدد تاريخنا ووجودنا كله..

ما أحوجنا جميعاً إلى أن نكون جنوداً في هذه المعركة.. المقدسة.. إن نفسي تطالبني في كل لحظة بأن أتطوع.. ولكن من يقودني ويقول لي اضرب في سبيل الله طلباً للنصر أو الشهادة؟!

لقد بلغت من العمر والتجربة والمعرفة بالحياة ما لا أتطلع بعده إلى مزيد غير موقف الجهاد والشهادة في سبيل الله..

أدعو الله مخلصاً صادقاً أن يحقق لي هذه الأمنية..

ألا تتحدثين إلى نفسك بهذا؟ ألا تجعلينه موضوع الحوار بينك وبين الشابات لتنيري به ظلمة نفوسهن؟!

إنها صورة من صور الجهاد تُكوِّنُ الشعور بالاعتقاد والإيمان.

وهذا هو الدرب القديم الذي سلكته أمهاتنا العربيات المسلمات في العهد الذي انتصر فيه تاريخنا وتألق..

ماذا تقولين: ألا ترين أن حديثاً كهذا جدير بأن يطرد النوم؟

أطلت عليك هذه المرة.. فقد تنفس الجرح المكظوم.. أتدرين الآن لماذا ينبغي أن لا تكون لنا أعياد؟ ولماذا ينبغي ألا ننام؟

أتركك الآن للتاريخ والمحاضرات الجامعية.

وأعدك بأن لا أطيل عليكِ بعد.. حتى لا يقول زوجك أني أحرضك على أن تكوني محاربة قبل أن يشعر هو بوجوب دفعك إلى المعركة «للتخلص»!!

قبلاتي مع تمنياتي الدائمة لك بالتوفيق.

والدك

حمزة شحاتة

(١١)

ابنتي الحبيبة شيرين

الآن فرغت من الاستماع لرسالتك الواردة مساء، وقد أخذني منها ما يشبه الدوار.. اطمئني إنه دوار خفيف لا يلبث أن يزول.. كما تزول كل العوارض العابرة.. لماذا تختارين أن تجرَي؟ أهو قانون الوراثة؟ أم هو قانون الفضول، وغريزة المغامرة؟

الآن فهمت أن كل المحاولات التي تبذل في شكل نصائح ليست أكثر من إثارة لتحديها ومعارضتها..

عندما نفعل خيراً للغير، ينبغي لنا أولاً أن لا ننتظر أو نتقبل جزاء عليه من غير الله.. وأن نحتمل ما يقابلنا من مكاره أقلها الجحود، وسوء الجزاء إلا إذا عافانا الله من التعرض لهما..

إن احتمال مغارم الخير، وما قد يجره علينا من البلاء للابتلاء، مضاعفة لجزائنا عليه من الله.

لنأخذ مثلاً الطرد والخطاب ـ اللذين حملهما غازي، يحدث أن يكون في الطرد شيء ما، أو شبهة، (سلاح مهرب، مخدرات، منشورات).

نعم، فلو فكر الإنسان في الاحتمالات على هذا النحو، لما تطوع

لخير ولا فعله.. ولم يتعاون مع الآخرين إطلاقاً.. فماذا يفعل إذن؟ الاتكال على الله والمغامرة..

كان هناك رجل من أهل الخير يكفل المسافرين للحكومة في حقوق الغير..

وفي يوم ما ظهرت ـ على بعض المكفولين ـ لا كلهم ـ حقوق لآخرين تجاوزت المليون ريال.. وكان مليئاً.. صاحب عقارات، وطولب، فجادل.. فسجن وحجزت عقاراته.. ولم يطلق من سجنه حتى أفلس.. وجاء المكفولون وحوكموا فأثبتوا إعسارهم وانتهى الأمر..

ولم يلم الناس القانون.. ولا المعسرين.. ولكن لاموا فاعل الخير واتهموه بالغفلة والهوس.. حسن أن تكوني مجبولة على النجدة، وعمل الخير، والإحسان، وحسن أن تجدي في النوم على المسامير لذة، ولكن ما ليس حسناً أن تتوقعي من الآخرين أن يكونوا مثلك، أو أن تعتقدي أن هذا منهم شر، أو أنه ليس خيراً..

ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه..

وإن ما لا يعني الإنسان كثير.. ربما كان أكثر ما نفعله مما لا يعنينا فقط.. وعلى هذا، يمكن أن نسأل ما الذي كان يعني صديقي في ما تريدين أن تبعثيه إليّ؟ لا شيء إلا أن تثير رائحة «البلاشن»، والزرنباك والوزف حساسيته النائمة وأن يدفع خمسة عشر قرشاً أجرة التاكسي الذي يحمله إليّ مجيئاً، ومثلها عودة.. وكان الله غفوراً رحيماً.. وهذا إذا لم تكن هناك بعض المتاعب الجمركية.. أو التدقيقات الصحية في الرائحة الكريهة..

ومع هذا، وبلا شك، فالدنيا والناس بخير.. وليس الخير أن ننتقي

المتاعب والمشقات وإلا لما أمكن تحقيق الفضائل الإنسانية، فهي لا تتحقق إلا بوجود أضدادها.. وهذا ما يعني النوم على المسامير باعتباره فرعاً من فروع (اليوجا). عليك أن تشمي رائحة الناس غير الطبيعيين فهم الذين لا يردون طلباً لأحد.. ولا يهتمون بالمشقات ولا يفكرون في الاحتمالات تفكيراً يصدهم عن تقبلها، واحتمالها فرحين بأنهم كانوا أهلاً للاضطلاع بالتبعات وإسداء الجميل..

إن زوجك غازي من هؤلاء، وهذا من دلائل حسن التوفيق لكونكما شبيهين في فرع من فروع (اليوجا)..

أرجو أن يقيكما الله العثرات والمتاعب بمثل هذه الصفة..

وقد قال ﷺ: الله في عون المرء، ما دام المرء في عون أخيه. وأي مبدأ أفضل وأجزل أجراً من هذا؟

إذن فإلى المسامير.. وإذا كانت القوانين تجهل فالله يعلم.. ولكن لتكن أعمالنا لوجه الله تعالى لا ننتظر حسن الجزاء إلا منه وحده.. فهذه أحسن الغايات وأبعدها عن الشبهات..

يجب أن تعرفي أن الصدق صدق ما لم يختلط بالكذب ولو كان يسيراً.. والكذب كذب لو خالطه الصدق.. ولذلك كان قليل الغش ككثيره..

والقاعدة الفقهية.. ما أسكر كثيره فقليله حرام..

لولا خشية الإطالة لتحدثت إليك عن موازين الأشياء والاختلاف بينها، وحينئذٍ تستحيل بيننا الحبة إلى قبة.. ولكن لندع هذا أو غيره إلى أيام اللقاء بمشيئة الله وتوفيقه.

قبلاتي وتحياتي.

بابا

(١٢)

ابنتي الحبيبة شيرين

دائماً يكتشف الإنسان أنه ضحية خطأ كان في إمكانه توخيه أو، السلامة منه لو أخذ بكذا أو لو ترك كذا..

وباستمرار تقريباً يوجه مسؤولية هذا الخطأ إلى غيره، ويدفعها عن نفسه.. وفي الغالب لا يعترف بأنه كان ينخدع بمن يوليهم ثقته، ويرى أن الذين يصيبون مقاتله هم الذين أحسن إليهم واعتقد طهرهم وصدقهم المحبة، والعطف، وخاض المعارك لنصرتهم وحمايتهم..

وهذا ـ مثل كل ما تمليه علينا حساسياتنا ـ صحيح نسبياً..

ما مقدار الصحة في هذا الصحيح نسبياً.. وما مقدار نقيضها المضاد؟ هذه مسألة أخرى يتعلق فيها التحديد على اختلاف الصور والحوادث..

إن علاقات التعامل في الصداقة والحب، والمخالطة بأسبابها المختلفة هي المجالات التي تتداخل فيها العواطف والمصالح والمطالب وبهذا تكون تربة صالحة لتولد وتوالد التناقضات ائتلافاً واختلافاً في وجهات النظر والإحساس وتقدير متطلبات الحياة..

حيث يتوفر الاختلاط تتوفر أسباب الاحتكاك، فالاختلاف، فالنزاع الخفي، فالظاهر.. هناك أنواع كبرى وعامة من النزاع، يسمونها التناحر بين

الطبقات ونزاعات تقليدية بين القديم والجديد.. بين الشبان والشيوخ بين المحافظة والانطلاق وبين الرجال والنساء وبين القيادات وأتباعها.. وبين الألوان المختلفة في كل جماعة..

كل مظهر من هذه المظاهر إنما هو صورة من صور الحياة في خصوصها وعمومها، وهناك ـ وهذه نقطة بحثنا الآن ـ نزاع الإنسان بين متناقضات ذاته فكراً وشعوراً ورضوخاً للضرورات وثورة عليها ونزاعاً على مطالب حياته وعواطفه.. وميوله وطموحه.

صراع رهيب ومرير. لا بد أن يحول الإنسان إلى نزهة في كتاب.. أو فيلم، أو مسرحية ساخرة، لكيلا يفقد عقله أو يتعرض لانهيار أعصابه، البسيط أو المركب..

كانت روحك تفيض باستسهال المصاعب والمتاعب إلى درجة الاستخفاف بها.. وكان هذا يهبك قدرة خارقة على الاحتمال والمرونة والتكيف وكان الابتسام والضحك معينك الذي لا ينضب..

وبهذا كانت شخصيتك شخصية انتصار دائم..

الانتصار الدائم ليس اكتساب المعارك والمواقف.. إن تفادي الخسارة بالانسحاب أفضل من الثبات الذي يحقق الخسارة..

ما رأيك في انتصار لا يعوض الخسارة التي كانت ثمناً له؟

هزيمة مونتغمري في دانكرك كانت انتصاراً..

سلامتك هي سلاحك في معركة الحياة فاحرصي عليها ضد كل المؤثرات العابرة.. كل شيء يعبر ويفوت.

احتفظي بصفاء أفكارك، وشعورك وأعصابك.. لا تتصلبي في مواجهة ما ترينه مثيراً.. لا تحللي ولا تفسّري.. ودعي الأشياء والكلمات تنزلق

حولك ولا تفتحي لها مدخلاً إلى باطنك..

محاولة ليست عسيرة عليك.. إننا نعيش حتى نموت.. ولكننا لا نموت مقدماً لأن نهايتنا الموت..

هل ترين الذين يعيشون يأبهون للموت ولأسبابه؟ كلا.. كلهم يتحركون ويُهيِّصون ويمرحون ويتداوون ولا يلقون بالاً إلى الموت.. فلماذا لا تعيشين أنت غير متلفتة إلى ما ينغص عليك؟! كلمة أو فكرة.. أو تصرفاً من الآخرين..

ربما أكون بعيداً عن النقطة التي تهمك..

هذا لسوء الحظ ليس ذنبي، لماذا لا تقولين شيئاً معيناً؟ من الآن سوف أقرأ خطاباتك بنفسي أولاً.. وسأتخلص منها.. وستكون إجاباتي بطريقة لا يفهمها غيرك.. ولكن دعي ذلك إلى ما بعد الامتحان..

أخشى إذا نجحت في هذا التأجيل أن لا تجدي ما يقال بعد أداء مهمة الامتحان.. وحتى إذا سألتك أين ما تواعدنا على تأجيله؟ فسوف لا تجدين أي أثر للتوتر القديم.. ربما لأن التوترات الجديدة شغلت الفراغ بعد عزل سابقاتها..

إن نفس الإنسان ـ وفي هذه أعني الإنسان الذي أنت نموذجه ـ تشبه غرفة في فندق أو سرير في مستشفى يفارقه النزلاء أو المرضى بعد إقامات لا تطول، ويختفون أحياناً بالعودة إلى الحياة وأحياناً بالرحلة الأخيرة منه.

هكذا كانت المؤثرات التي تهاجمك لا تستطيع أن تقيم طويلاً حتى ولا في منطقة المخلفات التي تستبعد من منطقة التعامل.. «روبابيكيا»!

للتوتر أسباب مرضية تبدأ من الانحرافات البسيطة وتنتهي إلى أن تصبح عادة راسية الأركان.. وعندما يصبح التوتر مرضاً ملازماً أو معاوداً

فمعنى هذا أن في باطننا معركة لا بد من تصفيتها إما بالتقهقر كما حدث في دانكرك أو بالثبات حتى التصفية.

هذه المعركة سببها عضوي يتحول إلى نفسي أو نفسي يتحول إلى عضوي. الكبد والأمعاء هي مجال المعركة.. تضحكين إذا عرفت أن المسلوق، والمشوي واجتناب المواد الحريفة أو القهوة والتدخين هي التصفية لهذه المعركة..

الكلام معاد ومتكرر وممل ومسئم.. أعرف هذا، كل الأدوية هكذا.. لا بديل لأن تتولى عقولنا القيادة.. والعقول بلا إرادة أجهزة بلا استعمال أو باستعمال خاطىء..

كان اللقاء طويلاً جداً.. لا عليك سنكون أكثر تحفظاً ومراعاة لظروف ربّات البيوت في اللقاءات المقبلة.. وقبلاتي أيتها الحبيبة.

والدك

(١٣)

ابنتي الحبيبة شيرين

طال انتظاري لخطابك حتى جاء، وكان عذرك في تأخره مقبولاً ومعقولاً.. لقد تطورت قدرتك على الكتابة تطوراً خطيراً، وأصبح أسلوبك المتوهج بسخريته المتدفقة، وانتقالاتك فيها على مستوى رفيع من الرشاقة والمرونة والحيوية، تقصر عنه أقلام المشاهير من الأدباء..

إني أكتفي بتحية إعجاب، وانحناءة تقدير للأديبة اللامعة التي أرجو أن يشق لها قلمها المجال الفسيح في مقدمة الرائدات.

كوني على ثقة أن شهادتك الجامعية لن تكون آخر خطواتك إلى مستقبلك الرائع بتوفيق الله..

ستحققين كل آمالك، وسيكون توفيق الله حليفك.. ولكن حذار أن يدخل في رأسك أن النجاح في وسائله وغاياته غير المثابرة والصبر والاحتمال والتطاحن مع مشقات الحياة..

لا تطمعي في أن أطيل، فليس هناك من يجد في مقدوره أن يفعل شيئاً لأجلي..

إنها النهاية الطبيعية لكل من يشتغل بمقاومة نداء الطبيعة.. وانطلاقات الاستجابة..

مالك ولهذا؟ ستؤدين دورك في يوم ما، وحينئذٍ ستعرفين بمرارة معناه.. شكراً لهداياك.. الكريمة.. وينبغي أن تقفي عند هذا الحد..

قبلاتي.. وإلى اللقاء..

والدك

حمزة شحاتة

(١٤)

ابنتي الصديقة شيرين

النقاط المتوهجة في رسالتك مثيرة لأقصى الاهتمام، لما تحمل في طياتها من شحنات القوة، وتفجر طاقة القدرة التي تشبه ينبوعاً مندفعاً متدفقاً يصور روعة الرغبة في التفوق تجيش به نفس عميقة الأغوار..

حسن جداً أن تتخلصي بسهولة من ضعف الرومانسية وأحلامها المتداعية.. التي تظل بها العواطف المتهافتة التراثية منبعاً ومصباً.. مخرجاً ومدخلاً لنشاطنا النفسي والعقلي والروحي..

وحسن جداً أن تدركي أن الحياة معركة تحقيق الغايات العليا فيها، هو الانتصار.. وهو الحياة في أروع صورة لها..

الماجستير.. والدكتوراه.. الثقافة..

هذه هي الأهداف التي تحقق بها الذات قدرتها وسلطانها على تغيير كل ضعف إنساني.. إنها أيضاً وسائل بالنسبة إلى ما يمكن تحقيقه بها من غايات..

إن غايات الحياة والعقل والقدرة لا تنتهي.. وهذا ما يجعل الحياة تجدداً مستمراً.. ومتعة دائمة.. وأمجاداً مضيئة..

كم أنا سعيد بتدفق هذا الطموح الذي أرجو أن يصاحبك فيه

التوفيق.. إن مستقبلك الوضاء هو هذا..

وإن عدتك له هي الجسم الصحيح، والعقل السليم..

إن أي انحراف في صفاء عقلك ونفسك، يعود غالباً إلى انحراف في صحة الجسم.. أنت أحوج ما تكونين إلى صفاء الذهن والنفس وإلى توفر الشعور بالاستقرار.. لا تعكري صفوك بالتفكير في معطيات العلاقة ولا في احتمالاتها ماذا سيحدث؟ ما المصير؟ ماذا يضمر الآخرون؟

دعي كل هذا لله.. إن محمداً ﷺ يقول: «إن ما أصابك لم يكن ليخطئك.. وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

ضعي بينك وبين المشاعر الرومانسية، سوراً من الحديد.

لا تجعلي نفسك ميداناً تصطرع فيه نفسِك مع نفسِك فذلك خليق بأن يحولك إلى عجوز في العشرين..

لا تدعي للمخاوف سبيلاً إلى نفسك وعقلك.. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١) هذا كلام الله عزّ وجلّ.

ضعيه أمام عينيك وفي نفسك وفي عقلك مبدأ.. واقتلي الخوف واقتلي وساوسه.

والآن أيتها الحمقاء ألا تجدين في نفسك صدى كلامي؟ صدى يدفعك إلى أن تودعي المرأة «الغلبانة» إلى الباب الخارجي وأن تقولي لها بصوت ثابت قوي، مع السلامة.. وإلى غير لقاء..

حذار أن تفرطي في قوة شخصيتك.. وتذكري دائماً أنك من خير من تؤهلهن قواهم المعنوية والروحية لاحتمال المسؤوليات والتعرض لها.. واجتذابها.. إنها لعبتك المفضلة أيتها الحمقاء فكيف تنسينها؟

كوني رقيقة لطيفة مخلصة، وصلّي..، وحافظي على الصلاة، وعلى

تلاوة القرآن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) وتقرّبي إلى الله بالنوافل وهي الصلوات غير المفروضة.. فإن من يتقرّب إلى الله بها، يضع مفاتيح سعادته واطمئنانه في يديه واسمعي قول الله عزّ وجلّ (ما يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي ينظر بها وسمعه الذي يسمع به ويده التي يضرب بها وقدمه التي يمشي بها). أو كما قال.

سدد الله خطاك، وأبعد عنك الشيطان ووساوسه وجعلك قدوة مثلى، وداعية خير لبنات جنسك، ودفع عنك الضيق والقلق والفزع.

جاهدي نفسك في ذلك وستجدين كل ما ينقصك من السعادة والطمأنينة والسكينة.

وبعد فكأني بك وقد أصبحت امرأة تنقاد لها الدنيا بخير ما فيها، إلى خير ما فيها..

دعيني الآن أغطي وجهك بقبلاتي وتمنياتي لابنتي الصديقة الحمقاء.. وإلى لقاء قريب إن شاء الله.

أختك سهام بخير.. وهي في مصيف الآن مشغولة به عنا، فأنصحك بأن لا تكتبي إليها حتى لا تعطيها فرصة للكلام حيث يصعب حملها على السكوت بعد ذلك.. إن هذا ما فعلته أنا فكان اتفاقاً صامتاً على وقف إطلاق النار.. مدة عطلتها على الأقل..

هل لك في اتفاق مماثل يوفر لك شيئاً من الراحة؟ كما تريدين؟

قبلاتي وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(١٥)

ابنتي شيرين

تلقيت رسالتك التي قطعت الطريق في أحد عشر يوماً.. يجب أن لا تضعي تاريخاً لرسائلك إلا يوم تقديمها للبريد.. ليس المهم أن تتأخر عندك ولكن أن تتأخر في الطريق..

أسعدني نبأ نجاحك بالرغم من أنه شيء متوقع..

لقد كنت خائفة وربما متوقعة ألا تنجحي.. وهذا يدلك أنك لم تحسني تقدير بعض الأمور بالرغم من أن لك عقلاً سليماً، وقدرة فكرية ممتازة..

كيف يتم هذا؟ لا بد أن تطرحي على نفسك هذا السؤال..

إنك تحاولين بغير وعي أن تضعفي ثقتِك بنفسك..

أليس هذا واضحاً في استسلامك لسيطرة بعض المؤثرات العابرة..

أنت هذا البيت فكيف تقدمين على هدمه لأنه لم يحقق كل رغباتك كاملة بلا نقص؟ عندما ينشأ في نفسك أنك مريضة ويتحول هذا الشعور إلى اعتقاد ثابت، فأنت تهدمين جسدك، وتوهنين قواك، وبالتالي فأنت بهذا تتخلين عن إرادتك، ودعامة حياتك هي هذه الإرادة..

إرادة البقاء.. وإرادة النجاح، وإرادة السعادة.. وإرادة الصحة.. إلخ.. إن اضطراباً بسيطاً في الكبد أو في الأمعاء، أو ضعفاً في الدم وكل ما يمكن أن يعترض انتظام حَيوية الجسم والنفس ـ كفيل بأن يضعك أمام متاعب الشعور بعدم التلاؤم مع الحياة..

وعلى النقيض فإن تناول بعض الأقراص المحتوية على الفيتامينات المنشطة لخمول الوظائف الجسدية، يعطي فرصة للخلاص مما تشكين منه..

إن الإنسان يخطرف عندما ترتفع حرارته عن المعدل..

وأنت الآن تخطرفين لأن حرارتك النفسية والشعورية ترتفع في بعض الأحيان، لأسباب بالغة التفاهة؟

كلمة.. إشارة عابرة.. تفاهة تعيرينها اهتمامك، وهمّ تدعينه يسيطر عليك بلا رحمة.. لماذا تتركين لهذا أن يرفع حرارتك؟! ألكي تخطرفين وتستحيل الخطرفة عادة حتى عندما تختفي أسبابها..

ألست بقدرتِك العقلية والفكرية والثقافية، وبالمعرفة التي تنمو وتتكامل، مثيرة للآخرين.. لإعجابهم أو لحسدهم.. أو لغيرتهم، فيجعلونك هدفاً لتفاهاتهم العفوية أو المقصودة؟!

لا تشعري بأنك مهددة.. فلستِ ضعيفة إلا عندما تتخلين عن الثبات والإرادة والمرح.. لا تفكري في التقهقر.. فالتقهقر انسحاب من موقف الثبات.. لا تخافي مما يأتي.. حولي واقعك إلى مسرة ومرح..

كنت تخافين أن لا تنجحي.. وقد نجحت.. فأعِدّي نفسك لنجاح مستمر تحققين به ذاتكِ وإرادتك.. لا تشتكي من الآخرين للآخرين.. الشكوى من المرض لا تزيله.. إذا شئت أن تقولي شيئاً قوليه لي..

واقترحي الحلول ولا تُقْدمي عليها.. اعتبريني صديقاً أو مستشاراً..

الذين يسمعون شكواك لا يسكتون عليها.. لأنهم لا يستطيعون كتمانها.. إنك ترين آخرين يبدو أنهم حققوا سعادتهم لأنهم هكذا يظهرون أو يتظاهرون.. أنت أيضاً يجب أن تضحكي وأن تتظاهري بالسعادة..

وجّهي نظرك إلى صحتك الجسدية وستجدين أن نفسك تخلصت من كل شعور غير طبيعي..

إن هذا يكفي..

أود أن تكون رسالتك القادمة مليئة بالمرح وببعض النكات الساخرة.. وبالمناسبة..

أصيب ملك عظيم بالتوتر والقلق والأرق الدائم.. وحار في علاجه الأطباء.. وأخيراً أكد الحكماء الروحيون أنه لا يشفى إلا إذا لبس قميص إنسان سعيد.. وقامت الدولة ولم تقعد بحثاً عن القميص..

ومسحت المملكة من جميع أطرافها حتى وجد رجل ينام في ظل شجرة على التراب خارج قرية ما واعترف بأنه رجل سعيد، وطلبوا منه قميصه بأي ثمن وكشف لهم عن جسده.. واكتشفوا أنه لا يملك قميصاً.. وإنما يلبس ثوباً بالياً على جسده مباشرة.. وعرف الملك الرجل وقصته فزال أرقه وتوتره واستعاد قدرته على النوم.. أفهمت؟؟

إن سعادتك معك.. في داخلك.. فحذار أن تفقديها، والآن نامي أيتها الحبيبة وفكري بعمق في الإنسان السعيد الذي ينام في ظل شجرة.. ولا يملك قميصاً تحت ثوبه البالي لتعرفي أين وكيف ومتى توجد السعادة يا أحلى وأرق ابنة في العالم.. قبلاتي وتمنياتي.

ملحوظة:

إذا كنت في حاجة لأي شيء أخبريني.

هل أنت بحاجة إلى من يشجعك؟ لا تتذكري أني أبوك فقط.. بل إني مدين لك بالكثير.. وأقل ما في هذا الكثير أنك كنت وستظلين أما لأخواتك.. أماً في أسمى وأروع صورها الإنسانية.. التزام المسؤولية!!

والدك

حمزة شحاتة

(١٦)

ابنتي الحبيبة شيرين

هل أطلق لدموعي وأحزاني العنان؟ أو أتوقع منك تعديلاً للخطة الخمسية؟..

وبوضوح مرتجف، هل تمت عمليةَ انتحارك؟ أم اعتضت عنها بمشروع الجنون بديلاً؟

أيتها الحمقاء.. للمرة الواحدة بعد الألف أعيد عليك النادرة التالية:

سأل رجل البوليس: لماذا تضع الفانوس على كوم الحجارة في الشارع أيها السيد؟؟

ـ فأجاب: لكي يرى المارة الحجارة.

ـ حسناً.. ولماذا تضع الحجارة؟

ـ أجاب: لكي.. أركز بها الفانوس..

ولم يبق إلا أن أنتظر تعليقك الواحد بعد الألف على ما تدركين من معنى الموقف الآن..

إني أعرف مقدماً أنه سيكون تفسيراً مختلفاً.. وجديداً.

ما العلاقة بين مشروعك للانتحار، أو الجنون، أو كليهما معاً ـ وبين الفانوس والحجارة؟..

ـ أولاً.. هذه هي العقدة التي ينبغي أن تحليها.

ـ ثانياً.. وصف مفكر الرجل الأمريكي من الطبقة العادية، بأنه يقضي نصف عمره في الريف في محاولة الانتقال إلى المدينة.. ويقضي النصف الآخر في محاولة العودة إلى الريف.. هذا بالضبط هو ما حدث لي.. ولم أعد بعد إلى الريف..

وهو نفس ما يحدث لمعظم الناس كذلك؟

وهو أيضاً ما يحدث لك الآن..

وأنت تسألين نفسك الآن.. ماذا يحدث لو لم أعد إلى الريف؟ وماذا يحدث لو انتقلت إليه؟

عودي إلى مشكلة الفانوس والحجارة.

وببساطة: الفانوس لازم للحجارة عندما نضعها، والحجارة لازمة للفانوس ولكن الحجارة والفانوس معاً ـ لماذا؟

وبصورة أخرى ـ الانتحار عبارة عن محاولة العودة إلى الريف أو هو كوم الحجارة ـ الذي يتطلب فانوساً..

إن بقاء العالم خمساً وعشرين سنة مقبلة، ليس مضموناً ـ ولا بنسبة ٥٠٪ ولكن الحياة قد تستمر برغم كل التهديدات التي تواجهها.. وحتى لو بقيت مدة أطول فلا بد أن ملايين من التغيرات ستفرض عليها، وعلى جميع قوالبها وأشكالها وحقائقها..

والذين يكتب لهم البقاء سيكونون في عالم آخر ـ جديد مختلف..

إن مستقبل حياتنا هو مستقبل التغيرات والتحولات المنتظرة..

وعملية الموت والحياة هي ذاتها عملية انتحار بالتقسيط.. فليظل الشارع خالياً من الحجارة ومن الفانوس..

وليس عليك إلا أن تواصلي السير فيه.. ولا تفكري في ارتكاب أية حماقة.. سيري ما دام السير ممكناً، وقفي عندما لا يكون..

دعي للحياة أن تقوم بدورها.. وقومي أنت بدورك.

إن المقدر حدوثه سيحدث، وما لا يقدر حدوثه لن يحدث.. هذا هو دور السماء.. ودور الإيمان بالله..

قاطعي الأرز والنشويات والسكريات وكافة الدهون والتوابل..

سيري على قدميك طويلاً في هواء طلق..

قاطعي القراءات الدسمة.. واقتصري على مقرر الدراسة..

قاطعي القهوة والشاي وكل المنبهات والسهر.. نامي أطول قدر ممكن..

لا تغرضي نفسك للاكتئاب لكيلا تعتاديه فيصبح مرضاً.. ليكن طعامك خفيفاً.. وغير معقد..

لا تتعرضي لأسباب التوتر.. ضعي بينك وبينها حائطاً سميكاً، فكري في صحتك النفسية والجسمية باهتمام، وتعودي الاسترخاء..

قبلاتي وإلى اللقاء بلا حجارة ولا فانوس..

بابا

حمزة شحاتة

(١٧)

ابنتي الحبيبة شيرين

كان من الحكمة أن لا تستمر الكتابة بيننا حتى لا يضاف إلى أعبائك عبء جديد يقتضي قدراً من الانتباه والجهد.. مهما كان محبباً إلينا.. فهو متعة يسلبها التكرار كل ما فيها من قدرة على التأثير والجذب..

إنه ليس الملل ولكنه الاشتغال المتواصل بمتناقضات الحياة اليومية وواقعها الشاغل عما عداه.. وأنا أشعر بأنك مرهقة وعلى الأصح مستهلكة الوقت والنشاط والاهتمام بكل ما لا سبيل إلى دفعه والخلاص منه من صغائر الحياة والعيش والدرس والانفعال بتيارات الفكر والخيال..

ألا يمكن أن تريحي نفسك من الاهتمام بي والتفكير فيّ؟

من الخير أن تكوني كالآخرين..

لا أقصد أن تكوني مثلهم تماماً.. لا لنقص جدارتي بك.. ولكن لكي لا تختلفي عنهم اختلافاً ينشيء شكلاً من أشكال التناقض أو سبباً من أسبابه.. ولكي لا تكوني مصابة بعمى الألوان في ذهنك..

إنك تسحقينني بهذا الإطراء وبحسن نية وهذا الإطراء يضعني أمام تناقض يفقد الأشياء كل ترابط بينها.. تناقض يفترس عقلي ووجداني..

أنا لا أصادر شعورك الطيب نحوي.. ولكني أود أن تصححي مقاييس

أحكامك.. إني أنظر نظرة رضى إلى ما أتلقاه من البعض.. ولا أستقبل شعورهم نحوي بسخط أو ألم على الإطلاق..

إن حقيقتي هي ما يبدو لهم.. لا ما أراه أو أشعر به أنا.. وهذه نتيجة تحدد العلاقة بيننا بوضوح.. يريح.

هذا الكلام لم تدع إليه المناسبة التي تقتضيه ولا يمكن أن نعتاض بغيره.. ولكن ربما كان العامل النفسي في تأمل الفارق بينك وبين الآخرين وغرابة خروجه على الضفة الثانية ومنطقها.. وصدق الشعور بهذا التناقض.. إلخ.

ربما كان كل هذا أو شيء منه هو الدافع إلى تحويل إطرائك إياي إلى حماقة وسذاجة أو عمى ألوان ذهني.. كان وما يزال يسرني أن لا تتعرضي له.. حتى لا تمثلي عنصراً شاذاً.. أو لوناً غريباً بين المجموعة ولعلك تجدين بعض العزاء فيه مما تتعرضين له من صدمات تصغر أو تكبر وتلين أو تقسو..

اطردي مخاوفك دائماً.. فإن الخوف والقلق عاجزان عن حل أية مشكلة بقدر ما هما قادران على مضاعفة المشاكل.. ومنه مشاكل تخريب النفس والعقل والجسم وتعريضها لأسوأ النتائج المعقدة..

اضحكي وتفاءلي ولا تقتلي نفسك بالحيرة والقلق والخوف من أي مصير.. فهي عوامل تحطم الإرادة وتدمر مراكز السلامة في الإنسان جسماً وروحاً وحيوية.. لا تشعري نفسك أبداً بأنك مهددة أو ضائعة.. لأن عاملاً من عوامل الاستقرار ينقصك أو لأن أملاً من آمالك لم يتحقق.. فأنت ما تزالين في أول الرحلة فكيف تسمح لك روحك العالية بأن تلفظي أنفاس إرادتك أمام أول عقبة أو صعوبة؟؟

إنك أقوى كثيراً من أقصى ما يمكن أن تعتقدي..

كنت ولا أزال وسأظل دائماً أرى فيك مصادر قوة روحية ونفسية وعقلية أكبر من كل ما رأيت من مثيلاتك..

فلا تضعي يدك على خدك وتمثلي دور المرأة (الغلبانة)، اطردي هذا الشعور بقوة وإيمان وستكونين مثلاً رائعاً للمرأة الساطعة حيثما كنت!!

ستكونين كل ما تريدينه لنفسك.. وعليك أن تعرفي ما تريدين أن تكونيه..

صدقي أن كلامي ليس مجرد تشجيع وأمل إنه عقيدة..

أنا أيضاً مطمئن إلى أنك لا تستطيعين أن تتحطمي تحت وطأة هذه الوساوس فأنت رائدة وقائدة لما في روحك من قدرة التأثير في الآخرين..

والآن أيتها الابنة الساحقة.. ليس عليك إلا أن تكتشفي قوة مغناطيسيتك.

جربي في نفسك أولاً لتحويلها عن الاستسلام للتخاذل.. إلى تحقيق الإرادة وإبراز فعاليتها..

لاحظي بالعلاج أي انحراف صحي تشعرين به مهما كان بسيطاً فالانحرافات الصحية تؤثر على الإرادة وقدرات الذات..

وإلى اللقاء أيتها الحبيبة.

والدك

(١٨)

ابنتي الحبيبة شيرين

لا تذهبي بعيداً في التأثر بالأحداث.. كوني أقل توتراً في تلقي المؤثرات وأقل قابلية لسرعة الاشتعال والانفجار.

أنت تبدئين حياتك الآن.. فماذا يبقى منك للمستقبل إذا بدأت عملية استنزاف لموارد القدرة الذاتية..

غير مجد طبعاً أن تخسري أعصابك لتكسبي معركة وعلى الأصح موقفاً يبدو لك تافهاً في النهاية..

من المخاطر أن تشترك امرأة مع رجل في معركة، فإنه يستطيع دائماً حتى إذا كسبت المعركة ضده أن يؤذيها أذى أكبر من أي كسب ومن أية خسارة..

المجتمع نساء ورجالاً أمام هذه المعارك يفسر ويحلل ويعلل ويصدر الأحكام خارج دائرة المنطق وخارج دائرة الواقع ومع هذا يقف أمام الخطأ والصواب تماماً كما يقف الأطفال المجردين من التعقل..

هناك إشاعات يرفضها العقل، تتوفر لها القدرة باستمرار على قتل الحقائق وعلى التشكيك في الواقع وتزييفه، وهي ليست أكثر من إشاعات ترفضها كل مقاييس العقل والمنطق والواقع الملموس..

كثير من الانتصارات باهظ التكاليف أكثر كثيراً من أية هزيمة.

إن بعض الظروف تضع الإنسان فجأة أمام مثير من نوع ما فتكون الاستجابة المتسرعة مانعة من صحة التقدير والتروي.. ولا غرابة في هذا..

فإن السيطرة على النفس والأعصاب ليست ممكنة في لحظة الانفعال كما هي ممكنة بعد انقضائها.. أخشى أن تحسي بأن البعض يعالجون المسائل بشعور أقل حدّة.. فهذا سيكون بطبيعة من أسباب انفجار جديد من النوع الذي يسبب الاختناق بالمرارة..

ولكن لماذا هذا التشاؤم ولماذا أخشى وأخشى؟!

أليست هناك حياة لا يخشى الإنسان فيها شيئاً؟ ولكن كيف تكون (الحياة) حياة بلا محذورات؟! بل كيف يكون الإنسان نفسه إنساناً متميز المكانة بين الموجودات والأحياء غير الإنسانية؟

إذا لم يكن هناك ما يخشاه ويحذره واقعاً فيه أو سالماً منه..

إنها ليست فلسفة ولكنها كلام دائري وعلى أحسن الفروض حلزوني يجري فيه الإنسان على طريقة التداعي الحر..

ولقد جاءت ـ هذه الكلمة ـ التداعي الحر ـ في أوانها.. فينبغي أن أستغلها قبل فواته..

احذري جهدك كله من الانطلاق.. ومن التداعي الحر.. بمعنى أكثر تحديداً احذري من توسيع دائرة الاتهامات إلا إذا نجحت في إقامة دعامة ثابتة لشيء منها.. وهذا الشيء يجب أن تتوفر له القوة والبروز والخطورة كلما كان قليلاً.. احذري دائماً يا ابنتي من الحركات المضادة التي يمكن أن يؤلفها من تهاجمينه.. وعندما يحس خصمك بأنه معرض للخطر لا يتورع عن استعمال أفتك وأقذر الأسلحة.. وقد يستعين بالشيطان.. لن

يدمر بيديه.. وإنما يدع آخرين يقومون بالمهمة. هؤلاء الآخرون يكونون في الغالب هواة شر، ومحترفي نذالة يأخذون ويعطون كل ما يراد منهم ويكونون أعداء وحساداً لك لم تضعيهم قط في موضع الشك ثقة في صداقتهم واطمئناناً إليهم..

أكثرت عليك أيتها الحبيبة.. أرجو أن لا تكون الإطالة سبباً في التأثير على عزيمتك.. الذي أردته هو أن تقفي على شتى الاحتمالات ومحاولة استيعابها بالنظرة الهادئة المتعمقة..

أحسبت أنك ستخرجين من الموقف موفورة الكرامة بعون الله وتوفيقه..

وإلى اللقاء في رسالة البشرى بخروجكِ من المعركة ظافرة راضية.

والدك

(١٩)

ابنتي الحبيبة شيرين

سررت بخطابك وبمقالك ووضعت عليه إشارات وعلامات.. كنت أريد الارتكاز عليهما كمحور لإلقاء بعض الفقهيات الخاصة بالأسلوب وبالصحيح المهجور والفاسد المشهور..

وأدرت الحديث بيني وبين نفسي ليلتين حتى تكونت حولي تلال من الملاحظات وما تجر إليه من ثقيل وخفيف وطويل وقصير..

وحدث المعتاد حدوثه دائماً في حياتنا وهو باختصار: كل شيء موجود في متناول اليد والنظر حتى نحتاج إليه فيختفي إلى الأبد، وهذه حتمية كحتمية الوجود والفناء.. المضحك فيها حتى البكاء أنها تنطبق على كل شيء مما ينفع أو يفيد أو يعين على أي غرض من أغراض الحياة..

لماذا يكون الأمر هكذا؟ وهل هو قانون ينطبق علينا وحدنا دون كل البشر؟؟ (محدش) يعرف.. ومحدش هو كنز المعرفة المسحور في بيتنا منذ قدر له أن يستقبل أول أطفاله.. هكذا قد أدركت وبلا شك أن الظرف والخطاب الوارد منك وأيضاً الخطاب الوارد من غازي وخطاباتك

لشقيقاتك والدبابيس والكلبسات التي ربطت بها هذه المجموعة كلاً وأجزاء ـ كل هذا موجود.. اختفى فقط ما نحن بحاجة إليه...

ليس سهلاً استرجاع ما فات..

صفحتك الأخيرة برهان جديد على أنك تتقدمين تفكيراً وجاذبية وخفة دم.. هناك رنة «حزايني» أخشى أن تستحيل بإدمان استعمالها إلى لون قاتم.. إنك تعرفين أن الناس يحبون ما يضيء الظلمة الدامسة وما يبددها لا العكس.. يجوز أن يكونوا أكثر انقباضاً وأكثر استهداماً لمرارة الشعور بالتعاسة.. لكنهم مع هذا ليسوا أصحاب أمزجة تشاؤمية تبدأ من الحزن وتنتهي إليه.

هل قرأت قصة آلام فيرتر؟ كانت أقوى صرخة تردى على أثرها العصر الحديث في مهاوي الرومانسية المفعمة بدوافع الحزن وما أكثرها في حياة الإنسان الحساس المرهف.

فاتحة صفحتك هذه ذات ثقل محسوس.. إنها دلالة عقل يفكر ويبتعد رويداً رويداً عن الساحل.. اتجاهاً إلى العمق والغور.. لكن لماذا يتمشى فيها الحزن؟! مرة أخرى ومرات «الحزن» إنه عادة ترسخ وتنمو وتتأصل بالاستعمال والإدمان.. وهي ليست أقل خطورة من المكيفات الخفيفة التدخين.. القهوة.. الكسل والاسترخاء.. إلخ.

أخرجي من الماء فوراً قبل أن يتشبع جسدك بالملح.. اذكري أن الحزن مكيف لذيذ ولكن ليس دائماً.. ليس بعد أن يتحول مزاجاً ثابتاً وإدماناً..

أطلت عليك.. فإلى اللقاء في صفحة لا تفوح منها رائحة الحزن ولا

رائحة القلق.. ولا رائحة التوتر.. تعلمي الانتصار تصنعيه لك وللقراء.. هم أيضاً بحاجة إلى الانتصار ولو تخيلاً..

الانتصار على مآزق الحياة وضنكها.

قبلاتي وتمنياتي لك.

والدك



حمزة شحاتة يقف في أقصى اليسار وعن يساره الأساتذة عبد الله عبد الجبار وإبراهيم فلالي بينما الشريفة دينا عبد الحميد في المقدمة، في إحدى المناسبات بالقاهرة.

(٢٠)

ابنتي الحبيبة شيرين

أعرف أن كل رسالة من رسائلي إليك تكون رداً وأحياناً تكون رداً مكرراً.. ومعنى هذا أن التقليد بيننا أصبح أن تبدأ صغيرتي بالكلام ليكون دائماً زمام العلاقة في يدها..

هذا التكييف لم يكن متعمداً، وإنما جاء عفواً وثُبِّتَ، تماماً كشارب أي رجل، يجيء بلا دعوة ويثبت.. ليس هذا القانون خاصاً بالشوارب، ولكنه ينطبق على ما لا حصر له من الأشياء..

أظن أي رد منك إليك، يعتبر رسالة أيضاً على الأقل لأنه يحمل تاريخين. الأول تاريخ رسالتك التي أجيب عليها وكثيراً ما يكون ثنائياً أي أنه يتضمن الإشارة إلى تاريخ رسالتك وتاريخ وصولها والثاني تاريخ ردي..

وهناك تواريخ أخرى مقارنة.. تماماً كالأدب المقارن لا أثقل عليه بشرحها.. إلى أن ننتهي من الحالة التاريخية التي وضعتك فيها إرادة الله.. لتضعي قدميك لأول مرة في تاريخك كامرأة.. متعجلة لم ترد أن تطول فترة إجازتها..

من الآن يتحتم عليك أن تعرفي أن الحياة هي التاريخ.. حياة الفرد.. والشعب.. والبشرية.. خط طويل وعريض مقسم إلى خطوط لا

حد لها.. متقاطعة دائرية أحياناً.. ومنحنية أخرى.. أياً كانت.. فكل منها عبارة عن نقطة بين نقطتين.. أي أن كل شكل من أشكالها إنما هو النقطة المكررة.

تلاقي شيئين.. أو افتراقهما يتم في نقطة التقاء طول بعرض.. أو عرض بطول..

هنا يتحدد الزمان والمكان.. وتتعين حركات التاريخ.. الحياة قبل أن تعودي مرة أخرى إلى دبابة أو ديناصور.. أسألك باهتمام ما هو آخر تاريخ آخر رسالة أو رسالتين وصلتاك مني!

إني أريد أن أعرف مصير رسائلي وهذا لا يتأتى مطلقاً بغير أن تبدئي رسائلك المؤرخة بذكر ما وصلك من رسائلي المؤرخة أيضاً..

إن حاجة الحامل إلى الطعام والغذاء مسألة أساسية لحماية الجنين من عوارض الضعف و«الخراعة».. وإن عليها أن تكون في حالة عاطفية هادئة.. وفي حالة نفسية.. وإقبال على ما هو هادىء وجميل..

وابتعادها نهائياً عن السهر والإرهاق الجسدي.. والتدخين والمنبهات.. والمواد الحريفة والتوابل..

والإكثار من تناول الفواكه والخضروات الحية والبروتينات والمواد البانية.. وحرصها على النوم المبكر.. واليقظة المبكرة.. والنزهات الخلوية.. واختيار الوسط الهادىء جداً كالضواحي..

إن مراعاة كل ذلك شيء أساسي لنجاح التجربة على الأقل من الناحية التاريخية..

وعلى الحامل أن تبتعد عن أي انفعال.. وأي تفكير مهتاج أو مضطرب وأن تضع نفسها دائماً وباستمرار تحت تصرف طبيب مختص.. أو

مستشفى رعاية، لمتابعتها والنصح لها بما يجب.

ولا بد أن أقف.. فقد يكون من الحماقة التفكير في عبور الكوبري قبل الوصول إليه.. وطبعاً فإن للحامل منطقاً آخر مختلفاً..

لقاء هذا الكلام الطويل سأرجو إليك رجاء وهو في الحقيقة نصيحة أبوية لمصلحتك ومصلحة ما تحملين أن تجعلي سفرك إلى لندن بدون مرور بالقاهرة أو بيروت أو تركيا وأكرر.. ذلك لمصلحتك ومصلحة الجنين الذي تحملين.

اقرئي وصلّي.. واستعيني بالله.. واستعيذي به من كل شر.. نفذي هذا الرجاء، وليحفظك الله برعايته..

شكراً للتهنئة الرقيقة برمضان ولك مثلها من الأعماق..

والدك

حمزة شحاتة

(٢١)

ابنتي الحبيبة شيرين

ستكون تهنئتي لك بالعيد في هذه المرة أكثر حرارة من أي وقت سبق..

لماذا يا حبيبتي فاتك أن تدركي مرد الذين قالوا ويقولون عني أني (فلتة)؟!

نعم أنا «فلتة» ولكن على المعنى العام للكلمة ولن تنكري أيتها اللئيمة أنك تعرفينه كما يعرفه أي حجازي وحجازية..

وإليك تعريف الكلمة: فلت يفلت فلتاً والمبالغ (فلات) ويلقب به الفلات هكذا (إسماعيل فلت) للسخرية ويقال أيضاً (واد فلت) على وزن فتك (المصرية) وفلان مفلوت العيار ولسانه فالت أو عياره فالت.. ويمكن أن تلحقي بها (راجل فلاتى) على وزن حماتي ومن اصطلاحات المطوفين (حاجي فلت)..

ولا بد أن تكون كلمة «فلوت» وهي المزمار الإفرنجي لا البلدي مشتقة منها وكذلك (فليت) السائل غير المبيد للذباب الآن.. وكان في التاريخ القديم مبيداً إن لم يكن التاريخ مجموعة من الأكاذيب..

والآن لنرجع إلى من يقولون أني (فلتة)..

إن غرضهم أني كذبة.. أو تهويشة أو خرافة أو أسطورة.. هذا هو المعنى العام المعني في الكلام فما هو رأيك؟!

أما كان يجب أن ترفضي أن يكون أبوك فلتة؟ لتكسري فم الذي يقولها بيد الهون.

معليش نعيش أنا وأنت ونأكل غيرها يا بنتي؟!

على الأقل كنت تقولين لهم (فلتة في عيونكم) وتنهالي على رؤوسهم بتصريف الكلمة.

يا للعار ـ أأكون (فلتة) بعد ستين عاماً ـ وخمس بنات أنت (الكوبرا) فيهن؟

كان خطابك الرقيق خالياً من الإجابة التي أنتظرها منك.. انتقالك إلى الفندق في مثل حالتك الصحية خطوة موفقة تدل على التعقل.. والتفكير على هذا النحو من أدلة النضوج.. ستكونين أماً مثالية كما كنت زوجة مثالية.. مرسل إليك تعميداً إذا لزمك شيء آخر أخبريني لأعمد باعتماده..

لا بد لك أن تسيري على قدميك ساعة على الأقل سيراً جاداً قوياً.. حاولي أن لا يكون طفلك (فلتة) دعي لي وحدي هذا الشرف وتمتعي أنت بأكبر قدر من الغباء.. قبلاتي أيتها الحبيبة.

والدك

حمزة شحاتة

(٢٢)

ابنتي الحبيبة شيرين

تلقيت خطابك اليوم وكان تاريخه ٢٢ رمضان وقبله تلقيت برقيتك يوم ٤ شوال في منتصف الليل ولم أستطع أن أجد تفسيراً لهذه الحماقة.. أكان من الضروري أن تبذلي لأجلي كل هذا الجهد المضني.. خطاب سابق بالتهنئة برمضان وخطاب لاحق بالتهنئة بعيد الفطر.. وبرقية تعزز التهنئة.. إنه مجهود شاق اهتمامك بي بهذا الشكل!!

تسألين عن أخبارنا.. ليست لنا خادمة منذ شهور.. ونحن لا نحصل على مطالب العيشة اليومية من السوق المجاور إلا بشق الأنفس وصار من النادر أن يمضي يوم في الأسبوع أرتاح فيه من عمل الشيال أكثر من مرة ومرتين وأحياناً ثلاث.. لأن الشيالين لا وجود لهم.. تحولوا كلهم إلى التسوّل باعتباره عملاً حراً مريحاً ومربحاً في نفس الوقت..

هذه الصورة القاتمة أو الباسمة هي جزء أمامي من مشكلة حياتنا.. أما الخلفيات فهي أكثر وأكبر من أن يحكى أو يسمع..

إن الصبر عندما يكون مفروضاً على إرادة الإنسان يجد الإنسان أنه بفقدانه الحماس اللازم للحياة وتطلعاتها ليصبح فلسفة تخلصه من الاحتقان والتوتر وإن كانت لا تعفيه من الغيظ والمرارة الهادئة اللذين يتحولان باعتياد

إلى (مكيف) يجلب بعض المتعة.

أنا نفسي لا يمكن أن أصدق أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث وأن يأخذ صورة الثبات والتجمد.. نعم لا أصدق إذا عرضت المسألة على مقاييس العقل والمنطق.. ولكن الواقع.. هذا الواقع على الأقل هو القانون الذي يفرض أحكامه علينا.. وليس لنا تجاهه غير الرضوخ ما دمنا عاجزين عن التغيير..

أما لماذا نعجز عن التغيير فهذا حديث لا ينتهي..

هل تغفرين لي الآن تقصيري في الرد على رسائلك أو حماقاتك بحماقة مثلها كما كان ينبغي؟

تسألين متى نجيء؟ والجواب عندما يشاء الله.. ولا شيء غير هذا ممكن أن يقال..

أنت سترحلين إلى لندن فلماذا تسألين متى نجيء؟

إذا تقدمت أنت قليلاً أو تأخرنا نحن قليلاً بقي السؤال معلقاً في الفضاء يدور حول محوره كما أفعل أنا منذ فقدت مبررات وجودي في العقول والعيون التي تحاصرني!!

آلمني جداً أنك لم تستمعي إلى نصائحي وأن نصائح الطبيب لم تكن أحسن حظاً عندك..

هل كان من الضروري أن تغيري وضع البيت الآن؟ وأن تصومي بالرغم من تحذير الطبيب؟ وأن تفقدي شهيتك؟ وأن تحرمي الجنين من مادة بناء سلامته؟ وأن تتعرضي لكل هذه المتاعب التي سمعت عنها؟!

لماذا تحاولين بهذه الجرأة أن تضري بنفسك وتهدمي ذاتك؟

أهذا هو العقل التي أعتز به؟ أهذه هي ابنتي التي آمنت بأنها عزائي عن كل ما أصابني؟

لن أقول لك شيئاً في هذا الموضوع بعد الآن سأسكت وسيكون من المستحيل أن أعود للكلام إن لم تشعريني بأنك تهتمين بنفسك وبصحتك وتهتمين بنصائحي وتلتمسين العون من الله بالاتجاه إليه اتجاهاً صادقاً ثابتاً.. يتقدم ولا يتقهقر.. ويعلو ولا ينخفض..

قبلاتي وتحياتي وتمنياتي لك بالشفاء العاجل أيتها الحبيبة.

والدك

حمزة شحاتة

(٢٣)

ابنتي الحبيبة شيرين

ابتعدي عن كل ما يثير الانفعال واجتنبي أسبابه.. كوني نشطة دائماً ولكن لا تصلي إلى درجة الإجهاد..

أتريدين بنتاً أم ولداً؟ ثم أتريدين أن يكون عبيطاً مثلي يا ترى؟!

نسيت أن أطري أسلوبك الرائع من خلال رسائلك إليّ.. إنك تتقدمين ـ ليس من المجازفة أن أنتظرك كاتبة رائعة قوية التأثير..

دعيني أسألك: من أين لك هذا؟

إنك لا تضيعين وقتك عبثاً على ما يبدو.. هذا حسن جداً.. وأحسن منه أن تعتقدي أني لا أجاملك ولا أشجعك.. ثقي أنك ستأخذين مكاناً ممتازاً في الصحافة والإذاعة وفي عالم الفكر أيضاً.. وشد ما يسعدني ذلك.. لا على قاعدة.. «أن القرد في عين أمه غزال» بل على أنه التقدير الصحيح لعلامات تفوقك..

شدي حيلك أيتها الغالية ولكن حذاري أن ينقطع.. هل أنت معتدلة المزاج الآن وعلى ما يرام.. لا أود أن أطيل عليك فأنت الآن في أشد الحاجة إلى الاسترخاء..

قبلاتي وإلى اللقاء.

والدك حمزة شحاتة

(٢٤)

ابنتي الحبيبة شيرين

تلقيت خطابك الذي تؤكدين فيه انتظارك حتى تاريخه لإجابتي على خطابين سابقين منك وكان هذا غريباً وغير متوقع..

لقد كتبت إليك خطابين مطولين أحدهما ١/١٠ والآخر ٤/١٩ وفيه حوالة على عمك الجمجوم لمصاريف وتغيير الدم لدستة الأطفال الذين ستزيدين بهم وزن الكرة الأرضية بمقدار ما تعقدين مشكلاتها..

أما أنهما لم يصلاك فشيء «لا يسدكه عكلي»!! وإما أنهما وصلا بعد إلقاء خطابك الأخير في صفيحة.. البريد!! أو أنهما سيصلان بعد زيارة قصيرة أو طويلة للقمر أو للمريخ أو زحل فهذا ما لا أتكهن به، وإن كنت من باب الاحتياط أتوقعه وربما بحزم.. وجزم؟!

لقد كانا على مؤسسة النقد.. ولا أعتقد أن المؤسسة أضاعتهما أو ابتلعتهما ـ إنها عندي فوق شبهات من هذا القبيل..

عليك الآن يا بنت أغبى مخلوقات الله، أن تنهضي من فراشك وتطلقي ساقيك للريح أقصد التلفون لتخطري عمك الجمجوم بأن لا يصرف الحوالة لغيرك..

لا أدري من يمكن أن يكون هذا الغير.. ولكن الدنيا الآن لا تدور بقوانينها فقط ـ بل بالذكاء.

وتسمحين لي بعد كلمة الذكاء أن أصرخ أشتاتاً أشتوت بالحي الذي لا يموت.. أن تكفينا شر الذكاء وأهله وأن تدعنا بالعبط والغباء في سعادة وأن تجعلها سكر زيادة..

وبعد الإفطار وألف صرخة يا نهار.. تمسكين أنت وزوجك بتلابيب المؤسسة.. لكي تأمني من اللبخة يا للي طالعة من أبوكي نسخة.. اعلمي بانتباه أن التلابيب معناها الخناق لا خناق الشوارع يا أم الطوالع زي مانتي شايفة وأنا سامع..

ولا تدعي أحداً من البواب حتى المحافظ لتعرفي مين الناس ومين المحافظ وتبحثي في البريد والمحافظة بدقة ابن الرومي وفهلوة الجاحظ وتخبريني بما حصل واللي انفصل وزمانو جوزك قد وصل وتسمعيه وصلة عبط تلاقيه على طول انضبط زي الفرامل وانضغط ولسانو من خوفو تربط.. وإليك هذه النكتة بمناسبة الحادث السعيد الذي أنت في انتظاره..

ـ سألت أم المولود المقرر تغيير دمو: مش لازمني تغيير دم يا دكتور؟!

ـ التغيير مضمون يا فندم.

ـ كيف؟!

ـ عند استلامك فاتورة الحساب يا سيدتي!

قبلاتي أيتها الحبيبة وشدي حيلك للاختبارات موفقة بإذن الله...

إذا لزمك أي شيء أخبريني دون تردد.. ومليون قبلة!! يلزمني قرفة وزنجبيل ولى شيشة وجراك وتعيشي لأبوكي وأبو أبوكي..

أنتظر خبر الرسالتين قبل أن أقفز إلى الفضاء الخارجي للبحث عن أخبار رحلتهما الجانبية هناك..

عرفت بعد تحقيق مرير أنّ إحدى الرسالتين وصلتك وأجبت عليها فابحثي عن الرسالة الأخرى فقط وطمأنيني وإلى اللقاء أيتها الحبيبة.

والدك

(٢٥)

ابنتي الحبيبة شيرين

ما رأيك بعد رحلة الوضع في رحلة مثيرة وغير باهظة التكاليف؟ رحلة إلى أحد الكواكب؟!

ولكن أتظنين أن الإقامة هناك ستعجبك؟! لن تكون أول دفعة على كل حال وبهذا تتوافر لدينا معلومات كافية عن كل شيء قبل التنفيذ.

إن رحلة كهذه تزيدنا حباً لعالمنا الأرضي لاعتبارات ليس من السهل حصرها.. أهمها الحضارة على كثرة مساوئها لا تتطلب جهداً جديداً لتحويل جهود الإنسان وحياته إلى تراكم تاريخي لا يوجد له مثيل في الغالب على الكواكب الأخرى..

ربما كان هذا مجرد احتمال وغرور بشري ولكنه له ما يبرره في الغالب.. كم تكون صدمة للإنسان أن يجد خسارة وقدرة على تحويل ما يراه حتى الآن مستحيلاً إلى ممكن..

ما أكثر ما لا نعرف وما أروعه!

إن مجهولات عالمنا الأرضي ما تزال تحتل أكبر مساحة فيه.. إن كل شيء يفقد قيمته وتأثيره في سرعة مذهلة.. وهذا دليل أن العلم يكشف في حركة تقدمه جهلاً أكبر مما يكتشف..

ما أفدح الثمن.. وما أضأل المحصول!

إلى متى تظل الحياة حافلة بالألغاز؟

لماذا نذهب ولماذا نجيء من أين وإلى أين؟.. لا نعرف سر الحياة والموت في هذا التتابع المخيف.. إنها رياضة شاقة أن يجرنا الكلام إلى هذا النحو..

ما عليك! إنه كلام نعبر به عن احتقان فكري أو نفسي.

أراهن أنك الآن بحاجة إلى الإغماء هرباً من هذه الثرثرة.. لا تسألي نفسك لماذا أتحدث إليك بهذه الطريقة.. ألست بحاجة إلى شيء يخلصك من سخف التحدث إلى أناس يعرفون كيف يسيرون على أقدامهم ولا يجربون مرة السير على عقولهم ولو لمجرد الرياضة..

لا تحاولي شيئاً ما غير أن تقرئي فقط.. عندما يحين الوقت سأطالبك بالإجابة. بدأت مشاكل الإنسان عندما استطاع الكلام.. وتعقدت هذه المشاكل عندما عرف كيف يكتب.. كم كان الإنسان سعيداً قبل أن تكون له لغة.. وكم كان سعيداً قبل أن يتعلم الطبخ.. ويرتدي الملابس!! تتراكم الأعباء كلما اتسعت المعرفة!! المرارة أن لا يكون في وسع الإنسان أن يتراجع من رحلة المعرفة..

إنه إذا عاش الآن بلا كلام ينفجر.. وبلا ملابس يشقى وبلا طبخ يمرض ـ وبلا تطور مستمر يسأم الحياة وبلا أولاد يتعذب ـ وإن كان بهم ينفجر..

هكذا تغدو الحياة صراعاً معقداً تنمو وتتراكم أسبابه بيد الإنسان وإرادته وسعيه..

لا تراجع ـ ولا نكوص ـ وإنما سير إلى الأمام على أي نحو.. إذن

فليكن ما يكون.. والأيسر والأهون دائماً هو الأفضل لأنه أقل مشقة.. البساطة هي تحويل الأشق والأثقل إلى أخف وأسهل..

لقى غاندي أحد أصدقائه الكبار في انتظاره على المحطة وسأله بدهشة.. كيف ركبت الدرجة الثالثة بالقطار؟.. وأجابه غاندي مبتسماً في خجل: لأني لم أجد مكاناً في الرابعة.. كانت كاملة العدد. وكم أنا آسف لأني لم أستطع التأخير.. ليكن هذا وبغير منطق ختام الرسالة أيتها الحبيبة وإلى اللقاء.

بابا

حمزة شحاتة

(٢٦)

ابنتي الحبيبة شو

إنه اختصار لاسم التدليل الذي تُنَادَيْنَ به.. راقني بمناسبة استعمالي كلمة جيم التي جاءت عفواً في رسالتي الأخيرة إليك هي اختصار أيضاً لاسم جيمس أو جوني أو جرمالوس.. أنا معك في أن شو اسم رجالي.. ولكن ما ذنبي أنا إذا كان قدرك قد جعله نصف اسمك؟! وجعلك في سخريتك شبيهة بأستاذك برناردشو؟! لاحظت طبعاً من رسالة الأمس أني ـ كوالد ـ خرجت عن المألوف قليلاً أو كثيراً أو تزحلقت بحكم السياق والاستسلام لتداعي الخواطر..

المألوف أن لا يشتكي الوالد إلى ابنته.. بل أن تشكو إليه هي.. لأن العكس وهو ما فعلته يدخل على اللون التراجيدي اللون الكوميدي.. أي يمزج الأسود بالأبيض.

لا تتعمقي.. خذي الأشياء عفواً كما تجيء عفواً..

أليس من الجائز أن تجدي في هذا اللون منبهاً جديداً يكون حلاً مباشراً أو غير مباشر لصراع في نفسك، لم تعثري على حل له حتى الآن؟!

أقل ما في الأمر أن يهرب الإنسان من قيود الموضوعية والأشكال المفروضة.. وممارسة التهرب مما لا تستطاع مواجهته من أقدم وأثبت ممارسات الإنسان إذا لم يقض الإنسان على مخاوفه بالهرب منها ومن

مثيراتها وأسبابها.. فإنه يؤجل إلى حد ما لقاءه بها..

ألا ترين يا شو أن الضحك أحياناً يحتوي على مقدار من المرارة أكبر؟ وأنه عبارة عن عملية تهرب من المواجهة المباشرة لواقع معين؟!

إن الانفجار بالضحك يكون انفجاراً بالبكاء بأسلوب مختلف يحتم على ما أعانيه وبإلحاح أن أتحدث علانية إلى الناس بما أحس.. ولذلك عندما نتكلم كثيراً وننفجر لا نقول كل شيء.. حتى عندما يكون مفهوماً واضحاً عند من يعرفون كل شيء.. ولا يقولون كل شيء.. لأنهم عادة يكونون مصابين مثلنا..

ما أسهل أن نعرف.. وما أيسر أن نقول.. ولكن ما أفظع أن نكتم ما لا يسعنا أن نقول..

من هنا يا شو تدركين أن مواقف التهرب من مواجهة العذاب.. أثقل من العذاب وأي عذاب تحوله التعاسة إلى شعور بالسعادة.. بواسطة الهذيان.. بطريقة برايل.. طريقة القراءة بالأصابع..

ها أنا أشعر بالارتياح والطمأنينة لأني أكتب إليك مرة أخرى..

إن التنفس بعمق في الهواء النقي يهبنا مزيداً من الراحة والمتعة.. لأنه يخلصنا من الكربون وأذاه.. هذا ما أحسه عندما أكتب إليك.. لأنك يا شو صديق أكثر منك ابنة.. إنك بالنسبة لي الهواء النقي الذي أتنفسه وأتخلص به من رواسب الاحتراق الداخلي.. ولكن من يدري ماذا يحدث.. صعب أن تصور لك الألفاظ ماذا أعني.. ولكن لا بد أنك تفهمين.. من كلماتي المهجورة (إذا لم يكن لديك ما تشتغل به.. فهذه فرصتك المثلى لتكون شاعراً قل ما شئت وما تقدر عليه مهما كنتَ رديئاً ومتخلفاً فستجد من يفهمك ويصفق لك)..

أنا الآن يا شو لا أجد ما يشغلني.. وهذا يعطيني الفرصة للهذيان..

وإذا تجرد هذياني من أي معنى فلا بد أن أجد من يعطيه أكثر من معنى ويصفق له.. لماذا لا تكونين أنت من يحل هذا اللغز؟

لك حريتك في الهرب ولكن حذار أن تعيدي إليَّ رسائلي بالبريد وعليها إشارة البريد التقليدية يعاد إلى المرسل لعدم الاهتداء إلى العنوان..

جادت علينا السماء أمس واليوم بمطر غزير.. تعويضاً لنا عن احتجاب الشمس التي يظهر أنها تحولت إلى ثلاجة نتيجة لتطور التكنولوجيا الحديثة، ترى أين يقف الإنسان في ظل هذا التطور؟!

ليتك تأخرت قليلاً في الإنتاج ليكون حظه من اتساع مجال التقدم أكبر.. تصوري.. طفل إلكتروني تغطي جسمه عشرات الزراير.. هذا للانطلاق في الفضاء صاروخياً.. وهذا لتحويل ماء البحر إلى بارفان.. تكفي القطرة منه لتحويل برميل فسيخ إلى شربات.. وآخر لاستيعاب كل العلوم واللغات والفنون في فترة الرضاع وهذا لتحويل المدرسة والبيت إلى مزبلة والمزبلة إلى سماد.. والسماد إلى وجبة شهية من كل المشهيات في برشامة بحجم الحمصة..

لم تستطيعي الانتظار يا شو.. فأنت المسؤولة إذن عن تخلّف العالم.. كما كانت جدتك الأولى حواء مسؤولة بأنها باعت الخلود كله بتفاحة لا تساوي قرشين. إنها لعنة غبائي تحيط بك.. ولكن لا.. فما بقيت للعالم حياة التخلف بعض الوقت فسيكون كل شيء على ما يرام.. ستكون الرياح طيبة.. وسيبقي كل شيء في مجراه.. ماذا تجدين الآن في رأسك؟ غير قليل من الدوار؟ لا عليك أيتها الغالية اضحكي يا شو وق هـ ق هـ ي وتأكدي أن الدنيا ما تزال على كف العفريت ذاته..

وقبلاتي.

والدك

(٢٧)

ابنتي الحبيبة شو

أول صوت فتحت عليه أذني، هو صوتك الحبيب في رسالتك المؤرخة ١/٨ إنه صباح الأحد ١/١٩ .. الجو بارد جداً.. والغيم داكن.. والدلائل تنذر بأن الشمس لن تجد مجالاً للظهور فيه..

هكذا ونادراً تبدو مطالع بعض الأيام.. ولكن سرعان ما تتحرك فيها المفاجآت وتنطلق..

ولا بد أن أمضغ لساني متفائلاً.. وأقول على الطريقة السكسونية الباردة: حسناً يا جيم يكفي أن يبدأ النهار طيباً وليكن بعد ما يكون.. إنه نبأ طيب أن تكوني على ما يرام..

إن رسالة ما وربما كانت آخر رسالة مني، قد حررت إليك بعد الخامس من شوال.. تضمن حكاية الرد أو عدم الرد على برقيتك بالتهنئة.. أو حماقتك كما ينبغي أن يصطلح على وصفها..

كانت تلك الرسالة قد ناقشت موضوع هذه الحماقة بصفاء وبصدق، وبمزيد من الخجل الخفي..

تقولين في رسالتك اليوم، إنها لم تصل، لا تقلقي لا بد أنها في رحلة جانبية إلى الزهرة.. أو المشتري.. أو عطارد وستهبط قريباً أو بعيداً

عليك أو على سطح أحد جيرانك..

لا تقلقي عليها.. إن كل ما يخلص من جاذبية الأرض يتحرر من قيود الحياة.. أو حياة القيود..

وبهذه المناسبة أسألك فجأة: هل أنت على استعداد لرحلة إلى القمر أو أحد أقاربه؟ إنها رحلة لن تكلف ما تكلفه الرحلة إلى لبنان أو القاهرة.. هي الآن لا تكلف أكثر من الاستعداد للمغامرة.. وبمرور الوقت وكثرة الإقبال عليها.. وبحكم المزاحمة والمنافسة بين الشركات.. والدول.. أو صواريخ التاكسي سوف ينخفض الأجر إلى مستوى أجرة الدرجة الأولى في أتوبيس مصر الجديدة مثلاً.. الذهاب فقط.. فمن المؤكد أن من يفارق الأرض لن يعود إليها.. إلا ليحاكم على جريمة كبرى.. كأن يقتل إنساناً في أحد الكواكب..

إن أية عقوبة لا تبلغ شدة النفي إلى الأرض..

أرأيت كيف يتوالد الكلام.. وينتقل.. السياق إلى ما يهول ويروع.. ويخنق الأنفاس؟ إنها بالضبط حالة الحياة.. وحالة العلاقات.. والحالة في ما لا نزال نحتفظ له باسم (بيتنا) .. بالرغم من أنه لم يعد يمثل غير كهف.. أو حرش أو دغل ـ في غابة منقطعة في الحياة..

بنفس البساطة يتزحلق الإنسان من طور إلى غيره في حياته.. كأنما هو مركب على (بِليّ).. دولاب.. لولب.. لا يدري كيف تبدأ عملية الانزلاق ولا كيف تتم ولا لماذا؟.. تتم على وجه معين ولا تتم على غيره؟

ليس أمراً طيباً أن يصدع رأس حامل رقيقة المزاج مثلك.. بهذا الكلام.. ولكن انسياقي وراء نقطة بالذات ربما بررته لك في النهاية..

وربما فشلت في تبريره.. إنها النقطة التي يعبر عنها هذا السؤال..

لماذا نتشبث دائماً بما يربطنا بالحياة مع إدراكنا التام بأن أسباب الارتباط بها يضعنا في قيود أكثر.. وتوترات أكثر؟.. ويضع لنا ـ كالحضارة ـ مزيداً من الشقاء. إنها غريزة التزحلق المستمر أو دوامته الحقيقة بالتأكيد..

أعرف هذا جيداً.. ولكن لماذا نعجز دائماً عن المقاومة عندما نزعم أننا نريدها؟ ولماذا لماذا لا نستمع إلى ما نريد أن نسمعه.. ولو تظاهراً بالإصغاء والتأثر والقبول.

عندما نعجز عن المقاومة ونحن نريدها.. فالمسألة إما ملهاة أو مأساة.. إما شيء يضحك أو يبكي..

أنا أفضل أن تظلي حيث أنت. حتى تخرجي مما تظنينه معركة.. إنه أمر بسيط جداً.. لا يحتاج إلى مهارة خاصة.. فعندما تكون الحياة طبيعية.. تستطيع المرأة أن تلد وهي جالسة وأحياناً وهي تقوم بعملها في المطبخ أو على طشت الغسيل.. ولكنه تراكم التقدم البشري.. وما جرّه من تعقيدات نابعة من احتياج متزايد إلى العمل والارتزاق على أوسع نطاق وأقل جهد، سلطت المخاوف على الإنسان ـ والمؤثرات..

تصوري أن الإنسان أسهل من أي عمل في الطبيعة.. اصطياد إنسان بأية طريقة أسهل من اصطياد أي حيوان..

أصبح الإنسان هو الفريسة.. وعليه أن يكون مفترساً في نفس الوقت.. ضحية ومجرم.. هايد وجيكل..

كما تستغل الصناعة كل معطيات المادة، استغلت كل جزئية في الإنسان.. كل يعمل من جانبه وبأسلوبه.. وقدرته..

الشعر والحلاقة.. الدمامة والتجميل.. الجمال والمبالغة في الفتنة.. الناس والملابس.. الجوع وصناعات الطعام.. الجنس والكباريهات.. والخمارات.. والمراقص.. والصور.. والأفلام.. وتجارة الدعارة.. المرض والعقاقير والأطباء.. والمستشفيات والممرضات الجميلات.. الأعصاب والتدخين والمشروبات المثبطة والمنشطة.. الصراعات والتوترات.. والعيادات النفسية.. وقراءة الكف.. والتدجيل.. الملل.. الكسل.. الثقافة.. الملاهي.. الكتب.. الموت والتربي والحانوتي وعربات. «هو الباقي وكلنا لها».. والقراء و.. المال والسرقة.. والأدباء والجنون..

الإنسان بكل ملليمتر فيه هو الهدف.. وهو المادة التي تقصد للاستغلال.. ومجاله.. وتربته.. ونقطة الصراع.. كالخروف تماماً.. كل جزء فيه يمد احتياجات بشرية.. ومصانع.. ويفتح بيوتاً.. حتى بعد موته لا بد أن تتحول أعضاؤه إلى مبيعات.. هذا للدراسة.. وهذا للزينة.. كالشعر والأسنان.. وهذه لصناعة السكر.. وهذا لغش بعض اللحوم..

صور قائمة.. ولكنها مع الأسف من نسيج الحياة نفسه..

الجانب الكوميدي فيها.. هي أنها تضحك.. كل شيء فيها عبارة عن نكتة تحمل وتلد بدورها بضع نكات.. على ذات الطريقة.. والمستوى..

نعم ابنتي حيث أنت.. إلا إذا قال لك الطبيب انتقلي إلى الخارج.. وهذا الخارج يجب أن يكون لبنان.. من غرفة في أوتيل أو بانسيون إلى المستشفى.. بعد أسبوع بأكثر تقدير، ستخرجين أقوى مما دخلت وقد أصبحت قوة ٢٠ حصان.. حاولي دائماً أن تتبسطي. ولا تنسي نصائحي الذهبية.. ليكن طموحك علمياً.. وفكرياً وثقافياً.. أما حياتك كلها فلتكن بسيطة لأن ابتعادك عن البساطة يضاعف أعباءك ويضعك على طريق شاق طويل.. يأخذ منك ومن حياتك أضعاف ما يعطي وهو لا يعطي إلا تصورات هبائية..

إن كان لي حق الفيتو فأنا أعترض على أن تلدي بالقاهرة.. ستكون هناك ارتباكات لا تخرجين منها بغير آثار من الإعياء في أعصابك..

أعرف أن نصيحة كهذه لن تجدي وأنها قد تفسر بأنها رغبة في إبعاد المشكلة عن مجالي..

أعرف هذا ولكنني أقولها بكل حزم وبساطة ولك أن تفعلي ما تشائين.. وماذا نقول بعد؟ لقد استهلكنا الوقت.. ولكن أبواب الثرثرة دائماً مفتوحة لاستقبال وارداتها..

ضعي في فكرك دائماً أن الأفضل أن تضعي طفلك في الجو الذي سينشأ فيه وعلى الأرض التي يرتبط بها..

أنت أمه.. ولكن هناك أهله.. يجب أن لا تحرميهم من الشعور بفرحة استقباله.. كان الإنجليز في مستعمراتهم.. وفي الهند يحرصون أن يولد أطفالهم على ظهر باخرة إنجليزية باعتبارها أرضاً ووسطاً إنجليزياً عندما يكون الوصول إلى إنجلترا صعباً أو متعذراً.. أو ليس ضرورياً..

إنها تجربة إنجليزية.. نفسية.. وليست سياسية لأن القانون أعطاها شارة الأفضلية. ألا تخشين أن تخرجي من المعركة بأكثر من طفل وبنفس التكاليف.. إنها فرصة طيبة.. كفرص المزادات ـ والشراء بالجملة..

إن مولداً أكثر أهمية من الوجهة الموضوعية يجب أن تفكري فيه بجد واهتمام.. هو دراستك.. ونتيجتها الموفقة..

ليس عملاً رائعاً أن تلدي طفلاً.. أو أكثر..

ولكن العمل الرائع أن (تحملي) شهادتك الجامعية الأولى وما بعدها..

ربما كانت النظرية قديمة.. ولكنها صحيحة وثابتة ولن يغيرها الزمن.. بل سيزيدها ثباتاً.. كلما تطور الصراع في الحياة..

حاولي وبكل قوتك أن تكوني مسطحة المزاج إلى أكبر مدى.. لا تحاولي أن تتعرضي لأعماق الأشياء.. الآن على الأقل..

ليس هذا أوان التعمق بالنسبة لك.. لا تفقدي بساطتك..

لا ترهقي نفسك بالتزام الكتابة إليّ..

في يوم ما سترينني أمامك فجأة كالمارد أو الكابوس ولن يكون طفلك موضوع اهتمامي.. أنت بالنسبة لي الموضوع وحده..

سيكون أول عمل لي أن أحولك إلى غصن بان بعد رحلة الوضع.. إلا إذا حال بيني وبينك طفلك المنتظر.. وهذا ما ينبغي أن نتوقعه من الآن..

ليس محتملاً أن تكوني أقل حماقة من أية امرأة في الوجود.. تبعد أباها أولاً لتتفرغ لطفلها.. قلت أباها ولم أقل أمها أو شيء آخر..

من السهل أن أعبىء شعوري من الآن لهذه الحقيقة وسأكون سعيداً بها أيضاً.. كي تترجم هذه الحقيقة إلى واقع ملائم؟ هذه هي المسألة المعقدة ولو إلى حد ما..

عندما تصبحين أماً سيكون كل شيء على ما يرام.. بدرجة أنك ربما استغنيت عن الاستماع لأي شيء آخر؟

في حياتنا هنا، كل شيء على ما لا يرام.. لا تخطئي القراءة.. (على ما لا يرام).

الظروف هي التي تضع القرار.. ولكن هذا منطق قد يعسر فهمه.. ولذلك رأيت تدخلك ضرورياً.

من المحتمل أني أفكر بطريقة لا يعتبرها الآخرون مستقيمة ولكن لي ظروفي أيضاً التي تملي على نظراتي وأحكامي..

إن الآخرين ـ كل الآخرين هكذا ـ يتصرفون حسب ظروفهم وضروراتهم ولا بد أن يكون لي نفس الحق.. عندما يتحمل إنسان نتيجة خطئه فالمسألة طبيعية وعندما يحمل أخطاء الآخرين فهذا شيء مختلف..

كانت حياتي الماضية كلها حتى أمس محملة بأخطائي وأخطاء الآخرين.. وكنت أصبر لأن ظروفي كانت تعينني على الصبر والاحتمال.. مادياً.. ونفسياً.. أما الآن فقد اختلفت الظروف بحيث لم يعد هناك احتمال لأخطائي مهما صغرت.. ومن هنا تبدو لك الحقيقة المرعبة في احتمال أخطاء الآخرين.. التي ما أزال عاجزاً عن الإيفاء بجزء بسيط من الالتزامات التي أثقلني بها آخر خطأ للآخرين..

لذلك يتحتم عليّ الحساب الدقيق لكل خطوة أخطوها.. ولكل خطوة يخطوها الآخرون.. وحتى لكل خطوة لا نخطوها..

الأمر واضح.. أليس كذلك؟.. أرجو أن لا يضيع أملي في فهمك وتقديرك لقد عوملت بقسوة.. وبالرغم من هذا ما زلت في نظر الآخرين مسؤولاً عن الاستجابة لكل رغبة.. ولكل نزوة.. ولكل خطأ.. أقسى ما في الأمر، أن من تدهسينه بسيارتك لا تجدين ضرورة لنقله إلى المستشفى.. أو تقضين بجانبه.. بل تهربين منه لتتخلصي من رعب النظر إليه..

لا تتأثري، إنها النهاية الطبيعية لإنسان لم يسر على الطريقة التي يسير عليها الآخرون.. بل ظل يحلم بأن يعلو على مستوى الطين.. والتراب.. ويخالف معرفته للحقيقة التي فهمها الجهلاء.. والأغبياء.. على الوجه السليم..

لا تظني أنني أبكي بهذه الكلمات..

إني أضحك بها وأقهقه ساخراً بنفسي لأني كنت الغبي الذي يتهمه الناس بالفطنة، والضحك بهذا الأسلوب.. هو العزاء الوحيد الذي بقي لي..

لقد فهمت الحياة جيداً.. ولكن بعد فوات الأوان، فلم يعد لهذا الفهم معنى ولا جدوى.. هذا هو كل شيء..

ما أشد ما تروعنا الحقيقة التي تلقانا بها النهاية لرحلتنا العسيرة الشاقة التي ضحينا فيها بكل شيء للاشيء.. وبالدقة لما نحن الهدف الوحيد لضرباته وسخطه.

إنه انفجار جانبي من القهقهة الساخرة.. التي تعبر عن التعاسة عندما تتحول إلى شعور بالسعادة بواسطة الهذيان..

أسمعيني قهقهتك من أو على هذه الرسالة.. أريد أن أحس بأن لك قدرة على تحويل التعاسة إلى شعور بالسعادة بواسطة الهذيان..

افهمي يا بنت أغبى المخلوقات.. وق هـ ق هـ ي!

إن تلمسي الشعور بالسعادة على هذه الطريقة.. لا يقل أهمية عن طريقة برايل.. القراءة بواسطة الأصابع..

والآن.. حسناً يا شو.. هل تحسين كم أنا بحاجة إليك؟؟

إلى أن نلتقي في ردك المنتظر أقبلك وأدعو الله أن لا ترثي عني غبائي.. فيرثه أطفالك عنك..

قبلاتي.. وتمنياتي.. مرة أخرى..

والدك

حمزة شحاتة

(٢٨)

ابنتي شيرين

أسلوب رائع هذا الذي طالعتني به رسالتك وملحقها.. وأعترف أنك تجاوزت كل حد كان يبلغه خيالي المنطلق عما يحتمل أن تصل إليه قدرتك.

الذي يدهشني ويحيرني في ذات الوقت أن يتسع مجال إحساسك إلى الحد الذي تدركين به آلام النفوس وعذابها من خلال البسمات.

هذا الإحساس أيتها الحبيبة هو النار التي أخشى عليك منها، وهي الضريبة التي ستفرضها عليك الحياة، رحلة متصلة.

سعة الثقافة ليست هي مصدر هذا الإحساس ـ ولكنها استجابة تعكس جملة معقدة من المؤثرات الأولى التي يترك كل منها طابعاً معيناً في النفس وتجعل الإنسان تركيباً مختلفاً عن الآخرين.. وسيجيء اليوم الذي تطرحين فيه على نفسك هذا السؤال لماذا لم أكن كالآخرين؟

أنت نموذج لإنسان رائع وحساس ومرهف.. إنسان مختلف تماماً.. ومع ذلك فلا أجدني فرحاً بأنك لم تكوني كالآخرين.. وإن كنت أرجو أن لا تتعذبي بهذا الاختلاف..

إن أي تقدم أو استعلاء يتطلب منا ثمناً كبيراً يتحتم علينا أداؤه هو ضريبة أن نحيا على أن نعيش.. .

إن الذين يعيشون فقط ـ وكالآخرين ـ لا يدفعون هذه الضريبة التي نشعر بقسوتها كلما انطفأت في ظلمة حياتهم شمعة بما يتساقط عليها من دموع جراحهم الصامتة..

كان سيزيف الأسطورة يحمل الصخرة جاهداً إلى القمة معذباً يتصبب عرقاً فإذا كاد أن يصل انفلتت وعادت إلى السفح.. إنه شقاء كتب عليه.. وكذلك من يحلمون بأن يحيوا حياة ترتفع عن مستوى العيش..

ولماذا القمة؟ لماذا الابتعاد عن التراب الذي يعيش عليه ويستقر فيه الآخرون ـ كل الآخرين؟؟

لا تفسير إلا أنها القدرة التي تدع في كل شيء سره وسر الظروف التي تحدد خطوط سيره.. وعزيمة اختياره لكي يختار ما يشاء منها واعياً أو غير واع.. فيكون مسؤولاً حتى في نفسه عما كان ويكون..

لا تخافي من أن تزداد ظلمة المجهول..

أنت تبتعدين عن عالم الآخرين كلما اتسع مجال إحساسك وكلما امتلأ عقلك بمحيطات هذا الإحساس.

حاولي يا شيرين أن لا تبتعدي كثيراً فمن الصعب أن أجدك حينئذٍ وإذا قدر أن نلتقي فلن يعكس أحدنا شيئاً للآخر.. الآخرون هم الذين يعكسون لك صور الرؤية بمعطيات تتكرر لكن دائماً في أشكال جديدة.. تعطيك لذة الاكتشاف والمعرفة لتسلبك نعمة الاستقرار والراحة..

وعندما يأخذ منك التعب لا تجدين شيئاً يريحك سوى الفرار إلى الوحدة التي لا تخلو قط من ضوضاء الآخرين.. ومن جحيمهم.. وهذه الوحدة تتحول مع الأيام إلى مقبرة واسعة تبتلع في جمود وصمت كل ما يدخل في حياتنا ليخرج منها إما مشبعاً بالألم والمرارة أو بالزراية والاحتقار.. مخلفاً فينا مصدراً للحرارة الدائمة..

إنك تجاهدين الآن وترسمين لحياتك أجمل ما تهيم به أحلامك.. وفي نهاية كل جزء من الرحلة ستجدين أن ثم شيئاً ينقصك.. وأحياناً شيئاً يذوب ـ أو يسقط ـ أو يختفي..

إن كل شيء رائع من أحلامنا وأمانينا يختفي عندما يتحقق وجوده وكثيراً ما يختفي وهو موجود..

ليس هذا هو الشقاء ـ ولكن الشقاء هو الإحساس به بعطائه ـ بمرارته.. بعذابه.

دعي كل شيء الآن ـ حتى التفكير في رسائلي ورسائلك.. حاولي أن تكوني كالآخرين لا أكثر ـ اهتماماً بما يجب أن يشغلك كدراستك الجامعية الآن..

إنها هدنة ضرورية تعينك على التفرغ للنقطة الواحدة.. إذا كنت تسافرين قريباً جداً إلى بيروت فكيف تتلقين كتاب علم النفس! سيصلك على كل حال!!

بقي الآن أنني أشعر بخجل عظيم وتضاؤل عندما أراك غارقة في هذه الأوهام التي تخيل لك أني جدير بأن أكون أباً يجوز أن يوجه إليه بعض الثناء..

أكان ضرورياً أن تضفي عليّ كل هذا التقدير لأزداد خجلاً منك ومن نفسي! إنها طريقة مدروسة لتعذيبي والا إيه؟! أرجو أن أراك قريباً ناجحة مرموقة ذائعة الاسم وكاتبة من كاتبات الطليعة في العالم العربي..

قبلي نفسك وزوجك (برفق) عني.. شكراً وإلى اللقاء القريب بإذن الله.

والدك

حمزة شحاتة

[illegible]

أسلوب رائع، [illegible] الذي [illegible]

[illegible]

[illegible]

الذي [illegible]

إلى الحد الذي [illegible] الآلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] !!

آخر رسالة كتبها الأديب الراحل بخط يده بالبقية الباقية من ضوء عينيه قبل أن يفقد بصره نهائياً في أواخر أيام حياته.

(٢٩)

ابنتي أم هاني

لم يحمل حسام إليك رسالة مني.. لم يكن هنا مجال.. لقد كان كل شيء يتحرك بسرعة مذهلة، وحسام كان يتحرك كالدوامة، اختفى بعد قدومه، ثم ظهر فجأة ليحدد يوم سفره، واختفى قبل هذا الموعد، يوماً.. أكد فيه الفندق أنه حمل أمتعته إلى المطار.. وطار.. وحين ظهر فجأة في اليوم التالي كان التكسي ينتظره.. ويادوبك، أخذ الشنطة وعينه على الباب واقفاً لم يجلس.

النقطة الأكثر بروزاً في طريقته الصرامة في التزام المسؤولية، لست أدري، ماذا كان يحدث لو أنه لم يجد الشنطة توضع في كفه بعد فتح الباب مباشرة.. من أول لحظة لقائنا الأول حدد بصرامة أن الشنطة لا بد أن تعاد.. وأكد المعنى تسع مرات قبل انصرافه.. ثم في كل اتصال تليفوني بعد ذلك..

ليس غريباً أن أهديك العربة وأسترد الحصان.. ولكن أن يأخذ الأمر صورة الاتهام والريبة والمهاجمة لذمة المهدى إليه وفيها.. ولكن لا؟

إن لطف المطالبة أو تأخرها يعطي للنية السيئة.. الاسترخاء.. ضرب وبكل شدة وبسرعة.. لكي لا يأخذ الخصم فرصة..

لقد كان رائعاً بهذا اللون العسكري.. ورائعاً بوضوحه..

أعدت بعض التوابل والمواد.. والليات، أعني أكياسها.. الماسية خولنجان.. نارجيل.. إلخ ليس هنا من يحسن أو حتى يسيء تقبلها أو احتمالها.. وإلى متى تظل بلا تفسير؟ وأيضاً قطعت آخر علاقاتي بالجراك.. وملحقاته منذ نصف عام.. شبعت بهدلة.. وتهيجاً من مساوىء الفحم ومشكلاته هنا..

ستحمل إليك الصدفة كميات أخرى مطحونة.. كأعصابي.. من هذه الحماقات.

ما أمتع أن يتحرر الإنسان من فضول الحياة والعيش.. وأخيراً، أن يتحرر من هذه القيود والعادات التي تجعل الحياة رحلة غير محتملة..

في مئات الصحف السعودية التي نقرؤها لا نجد شيئاً لك أو عنك، أهذا بشير بتحررك من هذه العادة السيئة المتناقضة مع حياتك كزوجة وكأم وكقائمة برحلة طويلة وشاقة عبر التاريخ؟ إنها الرحلة التي تفسرين بها دراستك والمجهود الطويل فيها.. حاولي أن تحلمي بها وتحبيها..

أنا تعبان.. ودماغي مشتت، يعني إلى اللقاء،

تحياتي وقبلاتي لقويق وأبيه وعشيرته.

حمزة شحاتة

(٣٠)

الحبيبة أم قويق

كان أول أيام العيد ساكناً بلا حراك، وامتاز اليوم الثاني بأنه حمل رسالتك ١١/٢٦ التي عبرت عن رضاك على قويق الذي قدّر له أن يظل هدفاً لرضاك وغضبك لمجرد أن أباه لم يدقق في الاختيار.

شكراً للتهنئة الرقيقة والتمنيات السخية المستمدة من قلب صادق العطاء والشعور.

افعلي بالصورة ما تشائين.. ولكن لا تنسي أن تضعي لها عنواناً: هكذا كان قبل ٢٢ عاماً ليعرف الناس شيئاً عن قانون الصيرورة أو التغير.

لقد تحطمت قبل أن أبدأ قصة حياتي التي شغلني عنها ولوعي بإنقاذ الغرقى.. وإطفاء الحرائق..

لا تخافي من المستقبل.. واعملي دائبة كل ما تستطيعين في صبر وثبات ودعي المستقبل لله.

إذا لم تكوني واثقة من أن شهادة بيروت ستقبل فلا تجازفي.. وتقبلي زيادة المواد الثلاثة، فسوف يعينك الله عليها.

حسن أن تمتلىء نفسك شعوراً بالخير والرحمة نحو الآخرين ولكن حذار من الشبهات.

ضعي بين عينيك ما ينفعك ويرفعك حباً ورصانة وترفعاً عن الابتذال وصحبة المبتذلين ترتد عنك نظرات الفضول وألسنة السوء..

ليكن كلامك في المجتمعات قليلاً إلى حد الصمت، كوني متحفظة.. ومحافظة.. لا تنتقدي الناس مع الناس حتى لا تكون كلماتك مدار المؤاخذة والتشويه والصديق يروي كلامك إعجاباً واستشهاداً به والعدو يعتبره نقداً موجهاً إليه..

هناك دائماً من يحسدونك فيحاولون تشويهك، وتجريحك.. وهم مع ذلك، أصدقاء وطيبون..

ضعي لنفسك خط سير عملياً.. العلماء دائماً لا يتكلمون كثيراً.. ولا يناقشون، ولا يرفعون أصواتهم.. إنما يسيرون في طريق ما يهتمون به فقط.

لتكن أعمالك ذكية.. وكلامك مع الناس خالياً من الذكاء..

تواضعي.. ابتعدي عن الغرور.. إذا كنت تعلمين أحداً حاولي أن تجعليه يشعر بأنك تتعلمين منه، سيكون صديقاً ومدافعاً صادقاً عنك، وإعلاناً حسناً.

لست صغيرة لأسمعك هذا.. ولكنك بحاجة إلى أن تسلكي إلى نجاحك طريقاً خالية من العوائق والعثرات.

مهما بدا لك أن المجال حولك بسيط ومفهوم وواضح فهو ليس كذلك.. بل على عكس ذلك..

لا تقذفي الآخرين بالكلمات.. يقذفونك بالحجارة.. تجاوزي معاتب الآخرين.. كأنك لا تعرفين شيئاً.. دعيهم يضحكون من غبائك وستكونين

موضع ثقتهم وارتياحهم ودعي معرفتك تنمو وتكبر وتتسع.. إنها صورة من صور إنكار الذات.. ترى أتقبلينها أم ستضربين بها الحائط؟؟

الطريق أمامك طويل، والعمل شاق، فلا أقل من أن تكون قليلة العوائق والمخاطر.. وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة



«افعلي بالصورة كما تشائين.. ولكن لا تنسي أن تضعي لها عنواناً: هكذا كان قبل ٢٢ عاماً، ليعرف الناس شيئاً عن قانون الصيرورة أو التغير».

(٣١)

أخي أبا هاني.. ابنتي أم هاني

ينبغي لكما أن لا تتخذا القرارات التي لا تعرفان وجهة نظر الرجل الصغير فيها.. إلا إذا كنتما على ثقة بأنها قرارات موضوعية غير متأثرة بعواطفكما ومصالحكما الخاصة.. هل كان يرضيك ويرضي الأم أن يظل أحدكما وحيداً بغير أخ أو أخت لكي لا يتعرض لمشكلة الحياة مع أناس يختلفون عنه مرونة وفكراً ومستوى إدراك.

طبعاً لا.. فلماذا تحرمان الرجل الصغير من حق الفيتو وتتخذان القرار لحياته في غيابه؟

مع من يتآمر.. ضد أحدكما أو كليكما؟ ومع من ينتقد سلوككما البين في معاملته؟ ومع من يضحك على جهلكما وتخلّفكما؟! ومع من يتعاون ضدكما إن كنتما تقطعان الطريق على إخوانه وأخواته بهذه الطريقة الحمقاء..

وماذا يحدث لو رفعتما الحجر بعد أن تغدو مسافة البعد بينه وبين اللاحقين غير محققة للتجانس والتلاؤم؟ إنه لمركز يحس به الحرج والتناقض من الآن..

ألا يكفي أن الأقدار وضعته بين أبوين عجوزين حتى يحكم عليه

بالانفراد؟ إنها ليست صرخة احتجاج «أبو الأحفاد» ولكنها في الوقت نفسه علامة تحذير لكما..

إن الصغار لا يغفرون ما يفرض عليهم في حالة عجزهم عن المقاومة.. يجب أن تحيطا الصغير بفرقة من الأطفال تستطيع أن تقاوم سيطرتكما وتهدد السكينة في المنزل كلما اقتضى صالحها ذلك..

شكراً لتهنئتكما الرقيقة، ولدعوتكما الكريمة التي أرجو أن تكون مطلقة من قيد تحديد زمانها برمضان..

كان الله في عونكما، وفي عون الصغير الذي قدر له أن يبتلى مبكراً بعجوزين في زمن متخلّف..

أتمنى لكما جميعاً المسرّة والصفاء وإلى اللقاء..

حمزة شحاتة

(٣٢)

ابنتي الحبيبة أم هاني

تلقيت رسالتك ٣/٢٧ وقد كان ما بها غريباً جملته وتفاصيله.. إن الأطفال في نشأتهم الأولى معرضون وباستمرار لتغير في درجات الحرارة وبعض المتاعب الجثمانية..

في كثير جداً من الأحوال يكون ما نظنه رعاية واهتماماً بهم ورعاية لهم، سبباً في ذلك، مثل الإسراف في إطعامهم، واختيار أطعمة غير طبيعية.. ولسبب عدم تنظيم مواعيدها ومواعيد الإخراج وملاحظة قبولهم أو رفضهم لما نفرضه عليهم من أشكالها وألوانها، وعدم تعويدهم على النوم الطويل وفي موعده وفي تعريضهم للضجة المنزلية والحركات التي تصحب تدليلنا لهم، واتخاذهم لعبة للتنطيط.

لا بد أن يتاح للطفل جو هادىء، ونوم طويل، وطعام لين هين، قوامه الأساسي الخضراوات السهلة الناضجة، والفواكه، والزبادي المخلاة من الدهن، وعصير الفواكه.. وهذا يبعد القبض وعسر الهضم وإثقال المعدة.. إلخ. والهواء النقي في رأس القائمة.. والملابس الخفيفة المريحة الخالية من أي ضغط..

أما شكواك فتزول بمقاطعة المواد الحريفة والتوابل كلها، وتنظيم

مواعيد الأكل، وتناول الخضراوات الطازجة مطبوخة أقرب إلى السلف وغير مطبوخة خير محقق لانقياد الطبيعة، وكذلك الفواكه الخفيفة كالتفاح.

إن تفاحتين في الصباح وعصير قوطه أو حزمة خس خير فطار. كلي نصف ما تأكلين، قاطعي الأطعمة المركبة المعقدة وقاطعي النشويات خبزاً وأرزاً وحلويات.. اتركي الشاي والقهوة.. وكل المنبهات كالتدخين.. قاطعي الدهنيات وخاصة الحيوانية.

هذا التغيير يقضي على آثار الشكوى وفي ذات الوقت يحقق لك رشاقة ويوفر نشاطاً وحيوية.

كلما قلّت مقادير الطعام كانت الصحة أوفر.

الجسم آلة لا بد من دوام تعهدها بالرعاية.. وهي وسيلة انتقالنا في رحلة الحياة وتغيرها ليس ممكناً، ولكن المحافظة عليها ممكنة.. وإلا فستكون الرحلة شاقة وصعبة وخطرة..

إذا لم تحملي نفسك الآن على تكوين عادات سليمة منظمة، فمتى؟؟ أنت لا تسيئين استعمال السيارة.. والأثاث، لكي تضمني لها عمراً أطول وحالة أفضل، فعاملي جسدك هذه المعاملة.

هذا هو المبدأ وليست بحاجة إلى أمثلة وتفاصيل أكثر..

إنها نصيحة.. وفي نفس الوقت تحذير..

لست جاهلة.. أنت تقرئين أضعاف ما يمكن أن أقوله.. الواجب أن لا تكتفي بالمعرفة، بل أن تتخذيها دستوراً للتطبيق وللسلوك.

لم يبق لك في ذمتي شيء من الرسالة غير ملاحظتك عن غازي وعدم توجيه طلباتي إليه. إنها موجهة إليه بطريق غير مباشر.. فأنا لا أجهل أنه منفذها وممولها.. وحامل مشقاتها، ولكن أليس من التفاهة أن أكتب إليه

كلمة عاطفية وأضمنها أو أنقلها بهذا السخف؟

ألا يقول في نفسه: خير إن شاء الله، عندما تقع عينه على رسالة مني؟ ألا أجشمه مشقة الرد على كل رسالة تتضمن طلباً.

أليس أقل سوءاً أن تكوني أنت المختصة بتنظيم العلاقة الخاصة بالطلبات. وعلى فكرة يحسن أن يكون البوتاجاز من أحسن نوع سويدي.. لا تنسي أن تستعمليه وأن تتركي عليه آثار الاستعمال واضحة حتى لا توجد صعوبة جمركية في قبوله أو وجود ترخيص استيراد له، ولا بد أن أعرف ثمنه وثمن أية طلبات على نية تسديدها.. مجرد نية.. فالشغل شغل والنبي عربي وخليكي معايا.. أنا كده.. انت حتربيني على طبعك يا بنت ولا إيه؟ أما كلام فارغ! عاوزاني أحرم طلبات؟ اعقلي يا بنت وبلاش جنان؟ اقتني قاموساً عربياً كالمنجد على أسوأ تقدير وراجعي فيه كل كلمة تشكين فيها.. إنه يعلمك أيضاً غير الكلمات أبواباً واسعة من المعرفة والثقافة حتى عن طريق الصور.

لو كنت في موضعك لاتخذت من هوايتي للخياطة نشاطاً منزلياً أتابع به آخر صرخات الأزياء وتطوراتها عن طريق الاطلاع على ما ينشر والتجول في الأسواق إنه نشاط يفتح متجراً ويمتص كل سخافة أو تفاهة تسللت أو تتسلل إلى المنزل.

بعض ملكات أوروبا وفي عصور الترف والقصور كان الملكات والأميرات يفخرن ويعتززن باحتراف هذه الهواية.

من آلاف الرغبات التي اجتذبتني أن أكون خياطاً وصانع أحذية وطباخاً على مستوى الاحتراف وصاحب فرن.. وحلوانياً مودرن، وصاحب محل ألبان ومطعم.

أشياء لا حصر لها من الرغبات الجادة حالت بيني وبين تنفيذها التفاهة التي كانت وما تزال طابعاً مميزاً وتاريخياً أو مرضاً موروثاً لما يسمى خطأ بعائلتنا ـ مرضاً شديد العدوى ينتقل إلى كل الذين تربطنا بهم وتربطهم بنا علاقة عابرة أو ثابتة..

كم يكون من دواعي اعتزازي أن تصلي أنت ما انقطع من تيار رغباتي وتحققي وأنت جامعية شيئاً رائعاً، كذا يكون فتحاً جديداً في مجتمعنا المسترخي الذي يحبذ الجبن والكسل والتفاهة وعندما تبدئين مشروعاً كهذا فسأكون شريكاً لك فيه، ما رأيك؟

إذا لم يكن ردي على رسائل غازي قد وصل إليه حتى الآن فأنا على استعداد لتقبل الوهم في أني لم أكتب إليه.. وهذا لكي أترك لك شعورك بالانتصار عليّ لحساب زوجك.. ألست أباً طيباً؟! لقد بدأت التربية تؤتي ثمارها إذن وكفانا الله شر اللخبطة والنسيان.

قبلاتي أيتها الحبيبة.

والدك

(٣٣)

ابنتي الحبيبة أم هاني

منذ ولدت أم قويق ابنها اختفى اسمها وظل سراً لم يتح للتاريخ والمؤرخين كشفه، وقدر لك أخيراً أن تنافسيها في هذه المزية.. ولكن لماذا تضنين على الرجل الصغير بنصيبه السماوي من الإخوان والأخوات؟ ألا تجدينه جديراً بأن يخوض المعركة ضد ما لا يطيق احتماله، بجيش صغير؟

إن الحماقة تدل على تقدم السن، وهذه نهاية يجب أن تتكاتفي أنت وأبو هاني على تأجيل بلوغها قبل أن يفرغ الرجل الصغير من استكمال سلطانه على نفسه وعليكما.

هذا خطابك الثالث.. وفيه صور البطل الذي تعدون العدة لتجريده من حق القيادة لفرقة من الإخوان والأخوات.

إنها أنانية صارخة جعلت «الكشرة» تنعقد على وجهه من الآن.

إن العصبية في إبهامي قدميه دلالة فسيولوجية على استعداد خطير لصراع ضدكما.

ومن الحكمة أن «تقصروا الشر» وأن تأخذوا بمبدأ «الباب المفتوح»..

إن البروتين سيستخرج من طحالب البحر ومن الرمل، وجميع العلوم

والمعارف البشرية ستباع في الصيادل في شكل أقراص وبرشام وسفوف وسوائل مجاناً ـ وقريباً.

وعلى هذا لن تكون المساهمة بدستة أطفال مجازفة أو مغامرة.

إن سبب تأخر إجابتي على خطابيك الأولين أنهما كانا عبارة عن اعتذار ووعد بأنك ستكتبين بعدهما واعتبرتهما مقدمة لذلك.. وكنت كل المدة في رحلة شاقة عسيرة عنيفة الوطأة لم أتخلص من تأثيراتها حتى الآن.

وباستثنائها، فلم يتغير من أحوالنا شيء.. سوى أنّا استقبلنا رمضان استقبالاً لم يسبق له مثيل.. خلال ماضي حياتي كله. ليتك بهذه المناسبة تعرفين شيئاً عن حياة غاندي..

تمنياتي لك ولأبو هاني وجده وجدته وكل أفراد العائلة الكريمة..

قبلاتي وإلى اللقاء.

حمزة شحاتة

(٣٤)

ابنتي الصديقة أم قويق

من الخير أن تدعي للناس الحكم على ما تنشرين ـ تقديراً حسناً أو سيئاً.. الذي لك أنت أن تشعري دائماً بأن ما تؤدينه أقل مما تريدين وما تطمعين إليه.. هذه هي العصا الخفية التي تسوق الفنان من وراء ظهره ليكون في وسعه أن يتقدم ويصعد دائماً..

في رسالتك (بدون تاريخ) الواردة مع خطاب غازي ٥/٣١ ـ شعور صريح باغتباطك بالتقدم المستمر في خميسياتك.. مقدار من الرضا والرقة ضروري لتغذية مشاعر الفنان، ومقدار أكبر من مرارة الشعور بتخلف القدرة عن بلوغ ذروة الطموح ضروري أكثر..

عن كثرة المشاغل.. كلما أتاحت لك الحياة، أعمالاً أكثر، وأثقل.. كنت من المحظوظين لديها.. الرخاوة، واللين، والعقوقة، روافد من الوهن والضعف، والتداعي والجزع.. تهدم ولا تبني.. ودائماً الإنسان بحاجة إلى نفسه وحدها، أكثر من حاجته إلى أي شيء غيرها..

الضعف والكسل والتخاذل، عوامل استنزاف، لخير ما في الإنسان من قوى مادية ومعنوية.. أنت تعرفين هذا، ولكن أي عجوز، يقتنص أي فرصة عابرة في التعبير عن الحياة ـ حياة الذات وفي نفس الوقت هي برهان

انطباع الإنسان عن الرغبة في العمل.. حتى عندما يكون هذا العمل ثرثرة في شكل نصح، أو نصحاً في شكل ثرثرة..

نتقل الآن إلى استديو صفر/صفر = صفر.. لنجد المعادلة الصعبة في انتظارنا.. اللهفة على جمع المال = اللهفة على تفريقه + حساب الزمن ـ أبو خاش الزمن = المعلوم + المجهول = صدر - فهم + جهل = ؟..

طبعاً مفهوم؟ وأي شيء في الحياة وعنها.. غير مفهوم، عندما يدخل الإنسان في هذا الاستديو، ويغلقه على ذاته..

لسنا بحاجة إلى الاستديو الآخر.. علم النفس.. لكي نجد تفسيراً لهذه الظاهرة..

يقول طرفة بن العبد.. وهو شاعر قديم: مات في ربيع شبابه مقتولاً أو منتحراً، أو مختنقاً؟! في قصيدة من المعلقات بجوف الكعبة أيام الجاهلية:

إذا كنت لا تسطيع دفع منيتي   فدعني أبادرها بما ملكت يدي

إن الإنسان في سباق رهيب مع الموت، يتقدم أو يتأخر، كل حركة تساوي مثلها فناء.. وبدقة.. كل لحظة نحياها.. هي لحظة نموتها.. وإذا.. فلماذا ندع شيئاً للموت؟!

وإذاً فالحياة يمكن أن تكون مائدة القمار يذهب المال فيها ليعود، ويعود ليذهب، أو يذهب لكي لا يعود.. وهناك دائماً صخرة الروشة على شاطىء العجمي في لبنان أو في كان أو مونت كارلو أو في جبل المقطم أو في أي ركن من أركان الليل والنهار والصباح والمساء.

أليس سباقنا مع الموت صورة من صور المقامر؟ فليكن ما يكون..

أهناك صعوبة ما؟ تعقيد أو غموض أو إبهام؟ هناك من اتهم أسلوبي بالتعقيد وفي الرواية، أن هذا الاتهام منشور في عكاظ أو المدينة، ولاستهلاك كل الاحتمالات في إحدى الصحف السعودية.. هل رأيت شيئاً من ذلك؟.. إنها تهمة تجد ما يزكيها حتى عندي.. وشجاعة من الناقد، رفعته في عيني.. ليس خيراً أن تتحول الإرادة والأفكار إلى معتقدات وأن تتحول المعتقدات إلى جبال..

إذا كان كل شيء يموت ويخلى مكانه لأشياء أخرى.. فلماذا تتمتع بالبقاء المتحجر بعض الأسماء، وحيث لا يوجد مبرر لبقائها؟

متى تبلغين هذا المستوى من الشجاعة؟

بدأت معزوفتك الخالدة، لماذا لا تصابين بلحسة التهديد إلا في شهر يونيو وما يليه؟ أعترف بسذاجة سؤالي..

طبيعي ألا يتهيج المصابون بجنون القمر قبل ظهوره وتكامله؟

سامحيني.. إن المفاجأة مذهلة.. كنا انتهينا من التهديد بنشر الرسائل وترشيحي موضوعاً لرسالة جامعية، من عهد وفاة الBANDيت جواهر لآل نهرو والد أنديرا غاندي نجمة الهند المتألقة ـ كنت أعتقد.. ولكن ما جدوى الاعتقاد، عندما يبدو لزلزال أن يتحرك أو يرقص؟!

أكبر الحماقات أن نصنع تاريخاً، لمن ليس لهم تاريخ.. كثيرة الأشياء التي تمكن استعارتها: الشعور المستعارة، الشوارب، اللحى، الأهداب، الحواجب، وأحياناً بعض أجزاء الجسم، ولكن هناك ما لا يستعار ولا تستعار له الوسائل.. الشموع لا تضاء أمام العراة والعميان.. وأظنك بغير حاجة إلى التفسير.. لن تسأليني، ولن تسألي أحداً، حتى نفسك لماذا؟ إن الشعور المتطرف الحاد بالكرامة، يكون أحياناً عقدة نقص أو حماقة.. أقل

صورها الشراسة.. إن الكرامة ليست سيفاً يسل في وجوه الآخرين.. إنها سلوك متعقل يلتزمه الإنسان.. وليست حتى شعاراً يضعه على صدره أو يعلقه على رأسه.. ما في داخل الإنسان لا يمكن أن يمس بالكلمة العابرة ولا بالسلوك الشائن من الآخرين..

ضعي نفسك دائماً في الدائرة الواضحة المضيئة، وستجدين أن كل ما يسدد إليك، يعود في هدوء إلى صدور مطلقيه..

إن كلمة التقدير التي تلقيتها من معالي الوزير وهو على مستوى الإدراك الحق، دليل على أنه لا يصح إلا الصحيح.. حاولي دائماً أن تضعي مقاييسك على أساس اختيار الصحيح والتزامه.

هل كانت خواطرك كل تجاربك وتلخيصاً لحوار طويل مع نفسك.. في داخلها؟ أم هي انبعاثات خاطفة؟!

أول ما تتطلبه الخواطر أسلوب متميز بالذكاء والعمق والبساطة.. في داخلها؟ أم هي انبعاثات خاطفة؟!

أول ما تتطلبه الخواطر أسلوب متميز بالذكاء والعمق والبساطة.. لن أحللها مكتفياً بعمومية النظرة إليها..

كلها شيق وجذاب، ولكنها لا تعبر عن أزمات داخلية..

الخطر في هذه الخواطر أن يتكرر مضمونها وتتقارب نصوصها وأن يخلو أسلوبها من الحذق والمهارة وومضات اللمحة الخاطفة في مناوشة مع النقصية البشرية أو اقتناصها أو الرمز إليها أو السخرية بها أو تهكماً عليها.. أحياناً لإبراز خلل المنطق فيها.. تجارب الإنسان متشابهة، ولذلك كانت المعاني متقاربة متجانسة.. وكذلك أساليبها.. تمايز الأساليب في بناء

الشكل.. التشابه والتقارب في المضمون.. ولا بد أن يتمتع الإنسان بذاكرة قوية لكي يتجنب العثرات..

سأعطيك في ورقة أخرى شيئاً من التعديل في نصوص بعض الخواطر في أضيق نطاق من التدخل، لترى فيه رأيك الخاص.. وهذا في جملته وتفصيله ليس أقل ولا أكثر من اقتراح.

مقدمة خميسيتك عن الجفري كانت تفيض برصافة الأستاذية وعمقها وإشراق أسلوبها..

وشعارك فيها (إذا لم يكن بإمكانك أن تتحدث.. إلخ) أفضل وأكمل منه الحديث الشريف (قل خيراً.. وإلا فاصمت)..

لا تقرئي هذه الرسالة ولا تجيبي عليها إلا بعد انتهائك من موقف الاختبارات.. نجاحك أيتها الحبيبة هو المهم عندي وفقك الله ورعاك.

والدك

حمزة شحاتة

(٣٥)

ابنتي الحبيبة أم قويق

أرجو أن تكوني وأبو قويق وعشيرته كلها في خير، كما أرجو أن يكون موكلاً بكم جميعاً إثارة وإزعاجاً وعطاءً لا ينفذ مما تعرفون وتجهلون حتى يردكم جميعاً إلى الصراط المستقيم، صراط الإيمان بأنكم مخلوقون جميعاً لخدمة الصغار واحتمال مغارمهم حتى يكبروا، وتجرع المرارة من عقوقهم وسوء عداوتهم لكم بعد أن يكبروا وقبل أن يستغنوا عن امتصاص آخر رمق من أرماق حيويتكم.. ومن الإنكار والتجاهل والقطيعة بعد أن يستغنوا..

إن ذوات الأذناب من الحيوانات لا يرضيها أن تكون بغير أذناب.. وكذلك الإنسان لا يمتعه ويبهجه أن يظل بلا ذنب وبلا عدة أذناب وأن الحيوان يجر من ذنبه كثيراً ويهان ويحقر ولكنه على ذلك يحب ذنبه ويتشبث به.. أكان يسرك ألا تكوني من ذوات الأذناب؟ ماذا كنت تفعلين بنفسك؟ كيف تقيمين الدنيا ولا تقعدينها؟ وكيف تشغلين الناس من حولك وبأي شيء إذا لم يكن هناك ذنب يتكون حوله كل هذا التراكم التاريخي من الاصطلاحات؟

ربما كان الحل أن تعتبري هذا القويق نكتة لاذعة ولكنها مضحكة.. بدل مضحكة ولكنها لاذعة أقل ما فيها أنها أعطتك وأعطت أباه وجده

وجدته وكل فرد في العشيرة شيئاً ينسب إليه ويطبق عليه تجاربه ومعلوماته إلى آخر ما يتسع له سخف الحياة وهو بحمد الله شيء لا آخر له..

أبادلك التهنئة برمضان وبعيد الفطر وأتمنى لك حياة هادئة مستقرة وإذاعات موفقة تتسع بها مساحة الراضين عنك وتضيق مساحة الساخطين عليك.

لحسن حظك لن أكون من أحد الفريقين لأن الإذاعات السعودية لا تصل إلينا ولا نادراً فإذا كنتِ حريصة على أن يصلَ صوتك إليَّ فاسألي عن الأسباب الفنية التي تحجب إذاعتنا عنا.

أطيب التمنيات وتحيتي وقبلاتي.

حمزة شحاتة

(٣٦)

ابنتي أم هاني

يظهر من سرعتك في الإجابة على رسائلي، أنك تسرفين في أكل المخللات والمواد الحريفة والنشويات.. وفي هذه المرة لن يكون لدي نصح جديد.. لا بد أن تتولى نصحك إرادتك، قبل أن تجدي نفسك أمام مجموعة معقدة من المشكلات الصحية والتحولات الجثمانية، التي تتحول بسهولة إلى مشكلات نفسية..

إنها غلطة لن تغفريها لنفسك.. أقول غلطة وبودي أن أقول جريمة.. لا سبيل للتخلص من آثارها..

حسن جداً أن لا تفقدي إيمانك بالخير.. وبأنه وقاية.. ما الحياة إذا خلت من هذا الإيمان؟ نعم ما هي ومهما كان الاختبار قاسياً ومريراً؟.

أرجو أن أشترك معك في عملية اختيار الأثاث الذي تتطلعين إلى اختياره، فلا تتسرعي.. فاللقاء قريب بمشيئة الله.

إذا كانت هذه فرصة مناسبة، فهي لا تكلفك إلا الانتظار بعض الوقت مش كده ولاّ إيه؟

الوقت والظروف تزيدني تمسكاً بفكرتي في أن تتابعي دراستك بجامعة بيروت.. ولك أن تختاري.. لن أكون بحاجة إلى أي نوع من الليات

لبضعة أعوام لاحقة.. فحاذري أن تصنعي شيئاً منها بعد الآن..

لم أبعث ولن أبعث إليك كتاباً أو كتباً في تربية الأطفال.. سأكتفي بأن أصرخ!

دعيه للطبيعة فهي أرحم وأحكم من كل كتب التربية.. الطبيب فقط عندما يمرض.. دعيه لظروف الحياة بجميع تغيراتها ليكتسب القوة والقدرة والتكيف.. دعيه يمارس الرياضة الحرة بطريقته.. لا تعترضي طريقه إلا بقدر ما يجنبه المخاطر..

حاولي تنظيم نومه وطعامه.. ودعيه بعد ذلك لمزاولة نشاطه على الأرض وتحت السماء..

هذه مجرد نصيحة أرجو أن لا تجدي صعوبة في مراعاتها.. جنبيه الخوف والفزع لينشأ شجاعاً ثابتاً.. وفي بساطة!!

هذه كلمة مختصرة ليحملها مسافر صباح الخميس.

تحياتي وقبلاتي على الهواء.

والدك

(٣٧)

ابنتي الحبيبة شيرين

هل كان هناك أي مبرر للانزعاج والقلق والتوتر على رجل عجوز فشل في أداء مهمته كحي من الأحياء؟

ثم ما هو الذي حدث، تأخرت رسائلي عنك، عن المعتاد؟ وهذا المعتاد لماذا لا يرقع بالصوت عندما تخالفين أنت؟

ألم أقل لك في رسالة سابقة إني تأخرت عنك لأني كنت في رحلة شاقة عسيرة، ما زلت أشقى بملحقاتها وعقابيلها؟

دعي كل شيء وفكري في «عقابيل» هذه! هي كلمة ليست من غريب اللغة ولا من مهجورها وتعني بقايا وآثار ومخلفات، الغريب فيها أن أربعة أسداسها من الحرف الأول «ع» حتى «ب» كلمة عقاب، وبإضافة السدس الخامس «ي» تصبح «عقابي» نسبة إلى العقاب، أو عقابي نسبة إلى المتكلم. .

والآن قولي ألا تنسيك تخريمة كهذه إطالة الوقوف عندما يبدو لك أي عدم اهتمام من جانبي بقلقك؟

إني أريد أن تكوني أقل استجابة للمؤثرات، فهذا يصرفك عما بين يديك. . الرجل الصغير وأبيه. . وتبعات اليوم والليلة وكفى بها وحدها شاغلاً. .

لقد أصبحت أماً أيتها البلهاء.. ومعنى هذا أن محيط حياتك يجب أن يكون عبارة عن «طشت» لا أكبر فهو مساحة كافية قد يعجز عن تغطيتها نشاطك وأنت مطالبة من الآن بأن تتعلمي السباحة فيه.. فتلك هي المهارة التي يجب أن لا يفوتك اكتسابها..

أدعو لك بالخير والتوفيق والاستقرار..

تحياتي إلى كل أفراد الأسرتين الصغرى والكبرى..

شكراً مع أطيب تمنياتي لك وللجميع وتهنئة لاحقة برمضان ومقدمة العيد.

والدك

حمزة شحاتة

(٣٨)

العزيزة أم هاني. . .

حتى الآن لا أعرف كيف يحتفظ الناس بآلاف المناسبات العامة التي يتبادلون التعليق عليها عادة في أشكال معينة. . ومنذ أن وعيت نفسي، وما حولي حتى التقيت بالخريف لم أكن أعرف أكثر من ثلاث أو أربع مناسبات معرفة لا ينبه شعوري بها مظاهرها المادية العامة في المدن والقرى، مثل أعياد الفطر والنحر، وعيد مولد النبي ﷺ، إلخ. . .

لم يكن لرأس السنة مناسبة، ولا وسطها، ولا لآخرها ـ هجرية وميلادية، وشمسية. . وما يمكن أن يمتد إليه التعوّد، واحتمالاته بين أمم الأرض. .

ويعد تبدل النظرة في بلادنا إلى هذه المناسبات والانتهاء بها إلى حد الاقتصار من جميع الأعياد والمناسبات الموروثة والمحدثة، على عيدي النحر، والفطر. . لم يبق هناك ما يعترف به.

طبعاً ليست هذه المقدمة للهروب من مبادلتك التهنئة بمناسبة ما يسمى رأس السنة. . الميلادية طبعاً. . فتقبلي شكري، ومزيداً من تقديري لأن المعركة التي تخوضينها داخل البيت، وخارجه لم تصرفك عن تحين هذه المناسبة وكل مناسبة أخرى في وقتها. .

إنك ما تزالين متمتعة بصفات المرأة الاجتماعية، وهذا دليل المرونة وقابلية التطور وهما بابان واسعان من أبواب النجاح، والسؤال الآن لماذا لا تنجحين النجاح الذي تتطلعين إليه باعتبار أنك من ذوات الطموح.. لا من ذوات الأربع؟ ولكن من يدري، ماذا يحدث على طريق التطور.. لقد أصبح لك ذيل (هاني).. وهذا الذيل من ألصق الأشياء بك وأدلها عليك، إن المسألة ليست أحجية ولا طلسماً، ولا لغزاً محيراً.. إنه ذيل حقيقي، وسينمو ويكبر حتى يمسح الأرض.. ومن هنا يتضح أنك تتكاملين. إن العالم يسير ـ وسيظل يسير إلى الأمام ـ إلى الوراء؟ هذه مسألة أخرى.. لا بد من أن تقبل الحضارات وتمرض فتذبل وتنحط وتموت لتخلف نسلاً متغيراً يبدأ المحاولة من نقطة ما في جو من النقص والحيرة ليكون هناك عالم جديد يثير الطموح والتطلع. ربما ارتدت عوامل الضعف بالإنسان الحضاري بعد تعرضه لعوامل التقهقر.. ربما ارتدت به إلى أن يلوذ بالغابات والكهوف هرباً من حطام عالم مقوض أو محترق.

من جديد وعلى هذا النحو قد يبدو للحياة أن تغير ثيابها ولو مرة في بضعة آلاف من السنين.. وهذه الثياب هي الظروف..

يكفي أن تتغير ظروف الحياة في بيئة ما لتقلب هذه البيئة جحيماً لا مقام فيه لحي من الأحياء.. التكيف أو الفناء..

الإنسان بين الظروف والتكيف ـ وككل الأحياء ـ وعلى رأي المثل: احنا في حلاقة ولا في تقليع ضروس؟ ما كانتش دي تهنئة برأس السنة ولا حتى برأس الرجاء الصالح.

في الواقع إننا في مجموعة من الظروف تفرض الصمت ولكني ذكرت عنفك في المطالبة بأكبر مقدار ممكن من الكلام بمجرد أن تعطسي عطسة واحدة في خطاب كل جهدك فيه لمسة أو لمستان رقيقتان.. أيتها اللئيمة!!

أستأذنك في أن أسدل الستار قبل أن تنفجر مخازن الذكريات مع فقدان القدرة على التكيف..

أليس الاعتراف بالعجز والضعف خيراً من المكابرة؟

قبلاتي وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(٣٩)

ابنتي الحبيبة شيرين

ماذا جرى؟ هل أعلنت في عقلك حالة طوارئ؟ لقد كنت أخشى دائماً أن أتعرض لما يثير حماقتك، فمن يا ترى هو المسؤول عن إثارتها الآن؟

كان معروفاً أن تعليم الصغار، أو مخالطتهم، ينتهي بالمخالط إلى الحماقة؟ فهل استطاع رجلك الصغير أن يحقق المعجزة؟ أو الكارثة؟.

إن آدم الكبير على ما يبدو قد تأثر بهذه المخالطة فقد أهداني بغير مقدمات ساعة ضخمة تشبه بيج بن الإنجليزية.. وعلى الأقل فهي أشبه بأية ساعة حائط.. علاوة على أنها ساعة.. مؤرخة..

ولأنها مفرطة اللمعان يتعذر عليّ الانتفاع بها إلا إذا استخدمت إنساناً يلازمني ويحدد لي التاريخ صباحاً.. ثم المواقيت بقية اليوم والليلة.. ويحملها في نفس الوقت على رأسه.. أو على ظهره..

إنها حماقة تاريخية.. وزلة عاقل أيضاً..

عندي ساعة في عشر وزنها ومع هذا فأنا لا أطيق حملها ولذلك فلا أستعملها خارج المنزل..

قولي للسيد آدم إن كان لا بد من ارتكاب حماقة كبرى أكون ـ دون الناس كلهم ـ هدفها، قولي له... يلعب غيرها.. وغيرها، هذه ساعة

تكون في خفة دم الرجل الصغير (هاني) وبالدقة في خفة عقلك يا بنت أغبى رجل في العالم..

والآن إلى حساب حماقتك.. تنشرين رسائل؟ هل أنا عملت لك حاجة؟؟ هل أنا نهرو؟! أو تولستوي.. أو نابليون؟!

أمّا جُنَانْ بصحيح!!

رسائل إيه وخبص إيه وليه؟ أنت عاوزة إني أصبح نكتة القرنين العشرين، واللي بعده؟

إن هذا أخطر تهديد واجهته، ويمكن أن أواجهه في حياتي وأعتقد أنها دسيسة ضدي، لتحطيم أعصابي، كده لله في الله..

أحذرك من التفكير.. مجرد التفكير في جريمة كهذه، على الأقل ما دمتِ بنعمةِ الله خارج مستشفى المجانين..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

عليك اللعنة، مع الاحتفاظ بحق يوسف وهبي أصلاً وإعادة..

احذري وإلا كانت وقعتك أسود من شنب جوزك اللي لازم يكسر دماغك..

يا هوه يا عالم! شوفو بنتي الطيبة بتفكر لي في إيه؟

ده أكبر مجنون في التاريخ، أعقل عقلائه بالنسبة لك..

أتوب والله أتوب.. وأبقى طوع جنانك.. بس اعتقيني من حكاية النشر دي، الله يعتق رقبتك من النشر والنار..

بلاش يا ستي من الجراك.. ومن كل الطلبات ـ توبة ـ توبة ياكل بدنجان العالم!

وأخيراً أرجو أن المسألة مجرد نزوة عابرة لن يظل لها أثر في رأسك.

احنا في إيه ولا إيه؟ مش كفاية اللي أنا فيه.. ليه تخليني مسخرة على آخر العمر؟ مش كفاية ساعة زوجك اللي عايزني أعملها قايش واتحزم بها في وسطي؟ يا فرقة آخر ساعة.. يا عيلة مرزوق أفندي؟.

هي دي آخرة الصبر؟ حكمتك يا رب!..

ليست في انتظارك بقدر ما أنا في انتظار نتيجتك الدراسية.. وموفقة بعون الله..

شكراً.. وأشواقاً.. وتحية.. وقبلاتي لك وللآدمين الكبير والصغير.. مع أطيب التمنيات..

لا تفكري في نشر الرسائل بتاتاً.. احذري لا تسيئي إليّ إساءة لن أغفرها.

والدك

(٤٠)

ابنتي الحبيبة أم هاني

وقبل أن تودع رسالة التعليق على أسبوعيتك التي لا نعرف لها أولى إذا كانت الثانية، ولا الثانية إن كانت الأولى، ـ جاءت رسالتك ٣/١٤، صباح الثلاثاء ٣/٢٣ ـ وبلا مقدمات، أو مبررات، رجعت ريما لعادتها القديمة:

الخيالات، الأوهام، الانهيار العصبي، إنه الإيحاء، التنقل من المجموعات المتناقضة التي تحيط بك.. التاريخ.. زرادشت، نيتشه، شوبنهاور.. علم النفس، التداعي، التحليل، فرويد، إلى آخر هذه العصيدة التي لا آخر لها، إلا في الخانقا.. وهذه الخانقا، هي التي تنطق في مصر الخانكا، وترجمة في لبنان إلى العصفورية، وفي بلادنا بالمرستان، وهي لفظة تنطبق على أصلها الفارسي ـ مارستان ـ.

لكي يعرف الإنسان، ظاهرة، لا بد أن يعرف أسبابها.. وهذه الأسباب أحياناً، تكون ملابسات، وأحياناً إشارات إليها.. أو دلالات أو قرائن أو شبهات، يدل فيها الشاهد على الغائب.

أعتقد أنه لم يفتني في الماضي، التحدث إليك طويلاً، وجداً، بطبيعة الحال عن سلطان الألفاظ، على الأذهان، والنفوس، والأحاسيس البشرية

وخاصة في لحظات الاستعداد التي هي لحظات الإرهاف والحدة والاكتظاظ بالانفعالات، أو بالانفعال الواحد.

لا تخافي لن أحطم رأسك، بهذا الحديث مرة أخرى، ولكني أحمل، الإشارة بأن للكلمات سحرها وسيطرتها، في حال انعدام المقاومة.. ومن هنا، كان خطر الدعاية وخطر كتب التوجيه.

خذي مثلاً، تأثير كلمة الحب وأحبك قوي، ومشتقات المادة التي تحتاج في حصرها إلى ـ كمبيوتر ـ أوسع استيعاباً من كل ما شاع وذاع حتى الآن.

الوجود المنطقي.. والوجود في منطقة الإيمان والاعتقاد.. والوجود في منطقة الجواز العقلي، الوجود في قانون الأحتمال، والوجود الذي يقتضيه القياس، والوجود الذي يتطلبه قانون التناقض، والقضاء.. كل منها موجود، لا يدخل في ميزان الوجود الحقيقي للمخلوقات.

وأنت تعرفين، أن كل المحسوسات، وكل المدركات، لا يمكن أن تتداخل وتختلط وأن هذا حتمي حتمية القوانين..

حتى ما يتدخل ويحتك، أو يتصارع، أو يتجاذب، ويتدافع، لكل منه مجراه، وخطه السيري، ونشاطه وانتهاؤه.

التفاعل، وتبادل التأثير بين المتضادات، والمتجانسات تتصل، وتنفصل، وتتجاذب وتتنافر بقوانين الارتباط بينها، أصلاً.

لذلك، كان تفاعل الجن والعفاريت مع الإنسان، وتأثيرهما عليه، ليس مطلقاً، وكل ما يمكن أن يكوناه هو قيامهما بدور السبب أو ظاهرة الاقتران دون فاعلية التأثير، وإلا، لما أعطي الإنسان القدرة المسؤولة على

مقاومة الشياطين، وهزيمتها، وعلى الشيوع في تفادي، أذاها، ومساسها به.. ولما ظل لها خفاؤها.

إذا كان هذا، موضوع الشياطين، والعفاريت والجن.. فأين تضعين موضوع الإنسان مجرداً من الإرادة والرغبة والإحساس، في حالة أن يعنيه تأثيراً على الآخرين؟

لا شك عندنا في وجود الجن والعفاريت والشياطين والأبالسة.. ولا شك وجود غرائز الإنسان في الإنسان وفي أنها هي مصادر ميوله، ورغباته وأحاسيسه، ومشاعره، ومده، وجذره.. ولا شك أن مشتقاتها الطمع والغيرة والحسد والحقد.

فإذا قلنا: إن للحسد تأثيراً بالقوة والانطلاق، سواء أكان نابعاً من إرادة الحاسد، أو من طبيعة مغناطيسيته، أو سيال سحري فيه، وجب أن يكون للحسد جانب إيجابي، لأن الحسد هو أن يتمنى الحاسد زوال نعمة المحسود، أو عافيته، فلا بد أن يكون لتأثير هذه القوة، تأثير مضاد، فكيف يتم هذا القضاء أو ازدواج المقابلة في نفس الحاسد أو تأثيره؟

البساطة من صفات القوة في الإنسان، ولكن، على ألا يكون معناها السطحية والتفاهة.. وإلا كانت عبط فتقلب صفة من صفات الضعف.

من المحتمل أن أكون مخطئاً كما أنت مخطئة وذلك ولكي تدركي أنني مصيب أو أنك «مصيبة» عليك أن تتأملي الغيرة لتدركي مدى تأثيرها على من تغار عليه.. وممن يغار.. فالغيرة تحرق وتهدم وتجنن وتفضي إلى جريمة قتل.. ولكن الفاعل دائماً والمؤثر هو ليس القوة أو الإرادة المغناطيسية المنطلقة.. بل إنها دائماً وبشكل ثابت الجوارح والسلاح.. أي التقيد المادي لمطلب الإرادة (الجريمة).

والآن وقد انتهينا أو كدنا أن ننتهي، فاسألي نفسك في هدوء، وموضوعية، وعلى طريقة أستاذك توينبي: على ماذا يحقد عليك الحاقدون؟ في ما يتوفر لك، ولا يتوفر لألوف من أمثالك في جميع المدن والقرى.

يجب أن تستقبلي كل علامة من علامات ما تحسبينه حقداً، معلناً أو مكتوماً.. ومصرحاً به أو مرموزاً له، بغاية الرضى والمسرّة، وحمداً لله ظاهراً وباطناً على ما أتيح لك مما يثير اهتمام الناس واستكبارهم بشأنك، وشأن نعمتك وصحتك ـ افعلي ذلك وستشعرين، بأن أندر لحظات السعادة هي التي تكتشفين فيها حاقداً أو حاقدة.. ورمت يمين أختك زلفى من استمرار الكلام الذي لا ترى من ورائه أي طائل، وأخشى أن يكون شعورها صحيحاً، فلا يكون لهذا الكلام أي طائل.

قبلاتي لك ولقويق وأبيه وعشيرته.. وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(٤١)

يا أم قويق

لا بد أن تكون هذه كنيتك الدائمة..

خففي قليلاً من حدة حساسيتك.. لقد تحدثنا في ذلك طويلاً ألا تذكرين؟ إن الحساسية تعني الاحتراق..

إنك بالتزامك لمثل هذه المشاعر المرهفة تسيرين على رأسك بدل قدميك.. عادة لا تفسر هذه الأشياء إلا بأنها أسلوب يختاره الإنسان اختياراً ويروض نفسه عليه حتى يصبح مفروضاً عليه كما فرض ويفرض كل زائد وناقص.. وليتك تدركين.. كم يتعذب الإنسان بمثل هذا الإحساس..

المشكلة المعقدة أني لا زلت لا أكتب ولا أقرأ، وإذا فلا مهرب من أن يكون بيني وبينك وسيطاً وبيني وبين هذا الوسيط دائماً ما بين الأرض وزحل من البعد..

أنا أعيش في داخل هذه المشكلة منذ أعوام طويلة.. وطبعاً لمن يقرأون ويكتبون عني ولي علماً مشكلة أسوأ ملايين المرات من مشكلتي..

إذا كان من الصعب أن نصطاد ونقود أسداً من ذيله أو من فروته أو من إحدى شفتيه فإن هذه الصعوبة بسيطة جداً بالنسبة إلى صعوبة اصطيادي من يقرأ ويكتب لي..

عندما بعثت إليك بخمس رسائل متلاحقة ومحشورة في غلاف واحد لم يكن هذا شيئاً يذكر..

وأما أن تمضي الشهور كخيول السباق وأنت صامتة فهذا شيء مختلف.. أرأيت يا أم هاني من فينا المقصر؟

أرجو ألا تعاودك هذه التخيلات.. لأنني أخشى ألا تجدي من يفهمك إذا تطورت. ابتعدي قدر الإمكان عن نيتشه وشوبنهاور وزرادشت.. واكتفي بالقراءات الخفيفة والتفتي إلى دراستك.. لأنني في انتظار أخبار تفوقك وأنتظر نجاحك بنفس الشوق الذي كنت أنتظر به نجاحي حينما كنت في مثل سن حضرتك!

كوني كما أردتك دائماً الابنة التي أفخر وأعتز بها.. ودعيني الآن أقبلك.. وأدعو لك بالصحة والنجاح والتوفيق..

لا تنسي قويقاً وأباه وعشيرته وإلى اللقاء..

والدك

حمزة شحاتة

(٤٢)

ابنتي الحبيبة شيرين

كيف طرأ لك أن تستعملي هذا الورق الرقيق لكتابة رسائلك.. ألكي تقيمي دليلاً على أن الإنسان في العصر الحجري كان يستعمل الصخور ورقاً لرسائله؟

ولكن الإنسان تخلص من هذه العادة الغليظة عندما اكتشف أشياء أرق.. لا بد أن اشتغالك بالمشروع لم يترك لك مجالاً للاختيار..

ألا توافقين على أنه مشروع إنسان هذا الفأر الصغير الذي يبدو لك أنه الشمس والقمر؟!

ما عليك كل الحمقاوات يرين ذلك، وهذه نقطة ارتكاز لها خطرها في توازن العالم..

لا تخافي من تشكيله غير المستقر.. دعي له تجاربه.. إنه سوف لا يشبه أحداً غيرك أخيراً.. هذا إذا ظلت العلاقة بينكما على ما يرضاه.. فحاذري أن تربيه دعي له أن يربيك فهذه هي مهمته الأساسية!

إليك بياناً بما يلزمني من بيروت:

أولاً: كتاب علم العربية خمسة أجزاء للمعلم سعيد الشرتوني.

ثانياً: كل ما صدر من دواوين شعر وملاحم للأستاذ بولس سلامة

وهو موجود شخصياً ببيروت ويمكن التعرف إليه بالسؤال عنه والاتصال به لتحقيق هذا الطلب (ضروري جداً).

ثالثاً: زجاجتا الدواء المذكورة في الرسالة السابقة.

رابعاً: المقدار الممكن من الفحم الجيد لعدم وجود فحم مناسب الآن.

خامساً: مجموعات قوائم المكاتب والمطابع اللبنانية الشهيرة مثل مكتبة صادر.. ما لا يمكن من هذا الطلب أهمليه إلا بولس سلامة وعلم العربية على الأقل.

سادساً: اسألي عن الدكتور البستاني صاحب دائرة المعارف الجديدة واسأليه إذا كان قد تم طبع كامل الدائرة وكم قيمتها.

قبلاتي لا تحصى لقويق ووالديه وعشيرته..

قبلاتي وتمنياتي لك بالتوفيق وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(٤٣)

ابنتي الحبيبة أم هاني

ليتك لم تحرقي الرسائل التي آثرت أن تحرميني منها.. إن شيئاً عفوياً كذا له دلالاته الصادقة على ما تتعرضين له..

اقرئي صورتي الرسالتين اللتين لم تصلا إليك في بيروت واسألي نفسك أين ذهبتا؟! لقد استلمت رسالتك وتخلى عني إدراكي كله وشعرت بأني أحمل على عنقي كرة من الطوب.

هنالك ما لا حد له من الاحتمالات.. والحياة لا تمتلىء بغير الممكنات.. وهكذا تضيق الدائرة فليس هناك مستحيل ولا مستبعد.. وبما أنك زوجة وأم فنحن (أقصد أنا) أمام احتمالات وممكنات موضوع يمكن تحديده.

أنت على الأقل أمام أخطر اكتشاف في حياة أغرب امرأة، ألوف القصص والحوادث عرضت أبسط وأخطر الاكتشافات في العلاقة بين الناس.. كل شيء من هذا وجد مع تاريخ وجود الإنسان وعهد الكهوف.. والأشجار..

إن ظل الأجسام يمتد ويتقلص حسب موقعها من الضوء ميلاً واعتدالاً.. وكذلك الأوهام في ظل الحساسية بها ونحوها..

ومقتلك الخطر أنت هو فرط الحساسية..

إنك لا تطلبين النجدة وترفضينها مقدماً.. الأمر واضح فأنت تدفعين تهمة الإفضاء إليّ بما يؤلمك (وهذا يؤلمني أكثر) كأنك عاهدت الله على ألا أحل لك إشكالاً.. السلاح الخفيف الذي وضعته بين يديك لدفع بعض المفاجآت سلاح فطنة الإحساس.. وضعته بين يديك لا لتنتحري به أو لتصوبيه إليّ لأكون هدفه وفي كل مأزق تتعرضين له.. أتفهمين كلامي؟! ربما كنت مسؤولاً عن هذه العقدة.. لا أسألك ماذا حدث فأنا أدرك من البداية أنه وهم تحول إلى حقيقة أو حقيقة تحولت إلى وهم..

إن الناس يكتشفون يومياً أنهم يسيرون بخطى حثيثة نحو الموت ويظلون مع ذلك يسيرون..

اطردي المخاوف التي حدثتيني عنها في رسالتك الأخيرة.. هذا مجرد إفراط في الحساسية..

ألا أصلح أن أكون مستشاراً لك أيتها الحبيبة كصديق لا كأب؟! إنك تقولين إنك لا تريدين أن تقحميني على متاعبك أو تقحميها عليّ..

مرحى أيتها البنت الباسلة هكذا يقف أبطال القصص والأساطير في مواجهة الأعاصير وحدهم.. ويقف العظماء ليؤدوا دورهم التقليدي على مسرح الخلود..

أنا معك دائماً.. وفي انتظار أن تقولي كل ما في داخلك.. ولن أكون معك إلا وأنت تؤمنين في داخلك بأني معك.. لا تتحركي وأنت غاضبة.. أليس هذا ممكناً يا أم هاني؟

قبلاتي ودعواتي المخلصة لك.

والدك

(٤٤)

ابنتي الحبيبة أم هاني

في ذهني كل عبارة من عبارات خطابك الأخير وهو ليس الأخير بالنسبة إلى ما قبله.. لقد كانت فجوة زمنية واسعة وعميقة ابتدأت منذ كنت مزمعة الانتقال إلى بيروت لتأدية الامتحانات..

كنت منقبضاً لصمتك.. وشعرت بالقلق بعد وصول خطابك.. وبدأت أحس إحساساً غريباً بأنك تتعرضين لأزمة واتجهت إلى أنها ستكون عثرة في الدراسة ولأن الإنسان دائماً يميل وبأوتوماتيكية غريزية إلى أن يضع حداً لقلقه.. فقد درت في جمود حول نقطة عثرة الدراسة.

وتغير الأمر عندما امتد الصمت.. وعندما تمت العودة في صمت أيضاً.. وبقيت أنتظر.. حتى خطر لك أن تبددي الصمت بهذه الصرخة المكتومة. التفاصيل ليست ضرورية.. إنك تصرخين وحسب.. فلا بد أن تكون هناك مفاجآت مؤلمة.. إن النضج لا يعني غير الصبر.. ماذا نتعلم من الحياة إن لم نتعلم الصبر؟

إن الفشل في عملية الصبر يعني التوقف.. العجز عن الحركة.. السقوط وليس هو غاية من غايات النفس ولا العقل.. حتى إذا كانت الحياة كلها عبارة عن مواصلة السير إلى غير غاية معينة لا بد من الصبر فيها وعليها..

وحتى عندما يتجرد السير من كل معنى.. فهو خير من السقوط في صورة العجز عن الحركة، والحركة كما نعرف جميعاً هي التي تحدد الفارق بين الحياة والموت.. هذا كله أبجديات لا نحتاج إلى الإشارة إليها.. ولكن ينبغي أن لا يسقطها النسيان من حسابنا إلى الأبد.

إن الصراع الدرامي الذي يعيش فيه الإنسان مع نفسه ومع ظروفه هو الذي يلون صخرة الروشة بالألوان الرومانسية..

ألا تسألين نفسك.. ألا يسألك عقلك: إذا كان الإنسان يسير بخطى حثيثة نحو الموت وهو يحيا.. فأي شيء يمكن أن ينقص من استعداده للحياة وتوقع واستقبال أروع مؤثراتها وأعنفها.. الإنسان لا يقف في مواجهة الموت.. وإنما يسير نحوه.. ويتعلِم، يحلم ويستقبل الموت فيزحف إليه.. ولا يقف لينتظره..

ما الذي ينقصه إذن من مزايا الصبر والشجاعة؟

ما الذي اكتشفته إذن؟! إن الحياة تعني الموت.. والشبع أولاً هو الجوع ثانياً.. ما دام كل شيء يتغير ليتحقق بهذا التغير أنه حي.. علينا دائماً أن نتوقع التغيير لا الثبات.. الحب.. الوفاء.. الصداقة.. القيم.. الفكر... الظن.. الشعور..

ما الذي يمكن أن لا يتغير في الخلق كله؟ الخالق وحده ولا شريك له..

إن الحياة لا تمتلىء بشيء غير الممكنات.. أسوأ الممكنات واحد منها، وأقلها سوءاً واحد منها، وأيضاً ولا شيء غير ذلك..

إن عليك واجب الصبر والثبات والاحتمال لتكوني ابنتي التي أعتز بها الجديرة بأن تملأ مكاناً ممتازاً.. قبلاتي.. وتقديري لموقفك..

حاولي أن لا تتحركي وتتخذي قرارات إلا بعد زوال غضبك تماماً.. أليس هذا ممكناً يا أم هاني؟!

إلى اللقاء العاجل ولو تلغرافياً.. وقبلاتي وتقديري مرة أخرى.

يا أم هاني

ممكنات (٢)

٢ + ٢

٢ ـ ٢

٢ x ٢

٢ ÷ ٢

أجدّد التحية.

والدك

(٤٥)

ابنتي الحبيبة شيرين

من أمثال العرب (كل فتاة بأبيها معجبة) وينبغي أن لا يفهم هذا الكلام على إطلاقه في زمن المثل.. وهو اليوم أضيق مجالاً من أن يتسع لعشرة من المائة وربما من الألف.. فقد تحول قانون المزايا واختلفت الموازين والمقاييس والاعتبارات على مستوى اختلاف القيم.

وعلى أنك بنت عصرك وبنت معاييره وقيمه.. ما الذي يمكن أن يجعلك معجبة بي؟! وأنا الأب الذي لم يحقق ذاته في كل مجال طرقه في طريق حياته!

قد رأيتني أرفض كل ثناء عليّ لأني أعرف الناس بتجرّدي من مسوغات استحقاقه..

إنه اعتراف لا أجد مرارة ولا أحس صغاراً عندما أدلي به فلو اعتبر مزية لما فيه من الصدق فليس لي بعده ولا قبله من مزية..

على هذا الأساس العقلي يجب أن تحاولي فهمي أو تفسيري.. فهذا ـ لا غيره ـ هو الذي يقنعك بأن تخففي من غلوائك في إعلان الإعجاب بي..

دعي هذا الإعجاب في نفسك ولها وحوليه في هدوء إلى محبة مشوبة

بالرثاء.. كوني الابنة التي أعتز بها دائماً وامنحيني المزيد من حبك هذا هو كل ما يرضيني منك.. أما أكثر منه فلا..

ماذا كان يمكن أن أكونه.. وماذا كان ينبغي أن أكونه شيء.. وماذا كنت في آخر جولة، شيء آخر هو الذي يبدأ منه القول وينتهي إليه.. النهاية هي التي تعطي البداية أو تسلبها معناها..

لا تسيئي فهمك للصغير فهذا يعقد المسألة.. لا أنت ولا أكبر الأطباء تعلمون عن حقيقة تكوينه العصبي والخلقي شيئاً قاطعاً.. عليك بالصبر في تعويده على التزام أسباب سلامته ما أمكن ـ وعليك أنت أن تكيفي نفسك وأعصابك ـ أنت تجربة له وليس هو تجربة لك.. إذا نجحت في أن تكوني هادئة وباردة أخذ عنك وقلدك.

قبلاتي وتحياتي وإلى اللقاء.

والدك

حمزة شحاتة

(٤٦)

ابنتي الغالية شيرين

أنت تحترقين بحدة الشعور وبفرط الحساسية.. إن الحياة يا ابنتي ليست سوى معركة صبر واحتمال واتصالك بالسماء.. هو علاجك الشافي!

صغيرك كملايين الصغار من أمثاله، إنك تَجهلين ما يحسن تكوينه.. والله كفيل به وأنت مستخلفة عليه!! لا تملئي سمعه وأعصابه بالقلق والصوت المرتفع والعصبية.. تعلمي أن تسمعيه صوتاً رقيقاً هادئاً.. وتريه ابتسامات حانية.. دعيه يتحرك كما يريد، وضعي في متناول يده أشياء صغيرة متنوعة براقة يشتغل بها يحركها يدفعها يناغيها.. تكلمي معه بهدوء كما لو كان يفهم..

في الدنيا أطفال يولدون وفي أعصابهم حركة العاصفة.. قد يكون الواحد منهم زعيماً أو قائداً يرج عصره ويقيم الحياة ويقعدها كما يقيم أمه ويقعدها..

ألا يسرك أن تكوني أماً لهذه العاصفة؟!

صبراً يا أم قويق فالحياة هي الصبر.. ابحثي عن قصة اسمها «الأم» إقرئيها.. وكتاب «دع القلق وابدأ الحياة» لتحلمي دائماً بالانتصار على نفسك أولاً وعلى المتاعب ثانياً..

دربي نفسك على أن تتكلمي بصوت منخفض ـ وحاولي دائماً التخلص من السرعة.. وخصوصاً في الإذاعة وأكثر في البيت وأكثر جداً في حضرة الصغير..

هذا التدريب البسيط سيضمن لك السلامة وسيفيدك جداً.. اقرئي القرآن وصلّي الفروض واقرئي على صدر الصغير ثم إسألي له ولك الهداية والعافية.. وواظبي واثقة بالاستجابة..

قبلاتي أيتها الحبيبة وإلى لقاء قريب بمشيئة الله.

والدك

حمزة شحاتة

(٤٧)

ابنتي الحبيبة شيرين

رسالتك برهان جديد على أنك لم تبلغي سن الرشد بعد، وأخشى أن لا تبلغيه.. بمعنى أنك ستظلين متعلمة طوال حياتك..

وبرغم أني المسؤول الوحيد عن هذه الحماقة إذا كان الغباء مجرد حماقة ولا أكثر.. فهذا لا يعفيك من الاصطدام بانتقادي الذي يجيئك عادة في شكل نصائح أبوية لتفهمي بغبائك أني بريء من حماقة عدم الانتفاع بالتجربة..

إن أمامنا مبدأ (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) و.. (المسلم كيِّس فَطِنْ) وأرجو أن لا تقرئيها (كيس قطن).. أو صوف أو لباد كما يشاء التجديد والخروج عن سنة الآباء والأمهات.

نعم يا سيدتي الصغيرة إن الإنسان الطبيعي أو (اليانورابل) هو الذي لا يكتم مشاعره ولا يضحك حين يجب أن يعبس ولا يقول أهلاً وسهلاً بلسانه ووجع في قلبه.. أو على عيني بكل سرور ثم يترك الشنطة بالمطار لتسمعي في اليوم التالي وبكل أسف وكسوف أنه نسيها!!

إن علينا يا حبيبتي أن نفرق بين الواقع والحقيقة.. فإن كليهما بالنسبة للآخر شيء مختلف، وبدقة أكثر.. إن واقع البشر من حيث هو ملموس

وظاهر لا يعني الحقيقة دائماً.. ولذلك فليس لنا أن نعتمد عليهم في حمل أثقالنا بمجرد أن بيننا صلات وروابط..

ربما كان احتمال المشقات ضرورياً ومعقولاً في سبيل النفس ومطالبها ولكن احتمالها في سبيل الصديق أو القريب والبعيد فهو غير طبيعي، والذين يخالفون هذا المنطق العام ليسوا طبيعيين ولكنهم يمارسون (اليوجا)، ينامون على المسامير، يحملون على أنفسهم ما لا تطيق، فهم شيء (مصنوع)..

ماذا تفضلين أنت للرجل الصغير (ابنك هاني)، أن يكون طبيعياً أو (مصنوعاً)، وحذار أن تدركك الرحمة على مستقبله..

ربما تقولين الجمع بين الصفتين، خليطاً من السمن البلدي والسمن الهولندي.. والمزج بين الصدق والكذب.. لا يصنع شخصية مريضة ولا سليمة.

ألا يعجبك الإنسان الذي يحمل تفسيره على جبهته فلا يسبب لك دواراً من الجري وراء فهمه؟!

إن صديقي هذا الذي رفض أن يحمل هديتك لي إنسان طيب القلب جداً ومطبوع على النجدة والكرم والارتياح إلى فعل الخير والجميل، ولكنه لا يزيف مشاعره ولا يحمل نفسه على ما تكره لأجل الآخرين.

وبالاختصار.. لك أن تنامي على المسامير.. ولكن لا يدهشك أن لا يفعل الآخرون مثلك..

ولك أن تتوقعي من الآخرين أن يفعلوا مثلك ولكن ليس عليهم أن يحققوا آمالك فيهم..

حاولي دائماً أن تدعي للآخرين حريتهم في أن يكونوا طبيعيين فليس لهم جميعاً القدرة ولا الرغبة في ممارسة اليوجا وخصوصاً لمصلحة غيرهم

مهما صغر قدر المساعدة التي تطلبينها من الناس والآخرين.. فإن الذي يحدّد ثقلها نظرتهم إليها لا نظرتك وهذا غير حساب الظروف والملابسات..

أتدركين الآن لماذا أنت حمقاء؟! أو كيس قطن؟!

إنها ليست تجربتك الأولى مع الناس، فإذا لم تنتفعي بالذي مضى ليس في قطع العلاقات بالآخرين.. ولكن في تقبل ما هو طبيعي تقبلاً طبيعياً أيضاً.. هل فهمت شيئاً؟! ولا أنا وحياتك..

قبلاتي لك وللآدمين الكبير والصغير!!

والدك

حمزة شحاتة

(٤٨)

ابنتي الحبيبة أم هاني

وصل خطابك مع الأخ على دفع، ووصل الزيت والشوربة والمستردة، والفروة وأبوها وتحويجة اللب والحمص ومبشور جوز الهند والليف والجونلتين السوداء والحمراء، وكده كفاية، لا تعني نفسك بإرسال أي شيء من هذا البحر والقافية سوى ما نضطر لطلبه من الأشياء اللازمة.

سيصلك مع أحدهم، خرامات ورق كبار، أرجو المحافظة عليها حتى لا ينثر شيء من أجزائها، كذلك سيصلك قريباً عود مع الأخ محمد منصوري، أرجو أن تعملي له كيس وقاية من القماش العادي جداً حتى لا يتأثر بالرطوبة، والغبار، وربما أبعث معه أيضاً بعض الأدوات الكتابية، وكل هذه الأشياء وخاصة العود، أرجو أن لا تعرضيها للاستعمال وعلقي العود في مكان أمين بعيد عن متناول يد قويق.

قبلاتي وأشواقي لك ولقويق وعشيرته وللأخ غازي وأيضاً له خطاب مع هذا.

ألا يلزمكم من هنا بعض المطالب؟

والدك

حمزة شحاتة

(٤٩)

الحبيبة أم هاني

هذا رد على خطابك (بدون تاريخ).

لا تعرضي حياتك للتلف.. إن تجربة الكآبة فقدت متعتها بعد آلام فيرتر.. كانت الكآبة لغة للتفاهم ولكنها اندثرت.. ولفظت آخر أنفاسها..

ما نتظاهر به طويلاً يتحول إلى صفات ودوافع ثابتة.. وما نستسلم له بضعف أو بعدم اكتراث أقوى من التظاهر وأعمق فعالية في التأثير علينا..

لا تفقدي سيطرتك على نفسك، إنك دائماً قوة خارقة في دفع ما لا تريدين.. أليس هذا هو الحد الأدنى للإرادة البشرية؟

لا تعتنقي الحزن والكآبة، ولا تستسلمي للضمور والتداعي.

إذا لم يوجد في حياتك ما يتحطم فأنت هراء، ولستِ إنساناً يحيا.

لقد حققت أكثر بالإرادة وبقوة الرغبة في الحياة. فلماذا تحملين كل هذا إلى المحرقة في لحظة مرارة؟.

أهي قنبلة هيروشيما وناجازاكي؟ إن نهاية الحياة الموت، وهذا وحده أقوى حوافز الحياة.. أنت دائماً أقوى من كل ما يحدث.. لقد ناضلت فيك إرادة البقاء كل التحديات الظاهرة والخفية ضد أن توجدي وأن

تنجحي.. وأن تحققي مطلباً من مطالب حياتك.. ومضى كل ذلك وبقيت أنت.. فلماذا تقتلين نفسك؟

إني أذكرك فقط بما تعرفين، وأشير إلى ما تذخر به نفسك من قدرات على النهوض ومواصلة السير، والضحك، وتحدي أسباب العجز والضعف والانهيار.. إني أشاركك الحديث.. والضحك.. والبكاء.. ولا أدري من الموضوع شيئاً.. فأنا لا أختلف عنك في الموقف إلا قليلاً.. أنت أيضاً تخوضين معركة لكي تتصوري أن لك مأساة.. مأساة لا وجود حقيقي لها.. ولكنك ستصنعينها.. أي أنك تبعثين «آلام فيرتر» إلى الوجود مرة أخرى. إنها بضاعة لا تجد زبوناً.. اليوم..

هل يكفي المبلغ المتواضع؟ اطلبي ما يلزمك من لبنان ليصلك هناك، قبلاتي لك.

حمزة شحاتة

(٥٠)

أم قويق وأبوه

توفيراً للوقت وللأعصاب هنا، وهناك، سيكون الرد مشتركاً بينكما.

وصل عبد الرشيد وكان كعهدي به في الماضي إنساناً متميزاً بأفضل المزايا. . اتصل بي تلفونياً، معرباً عن استعداده للوصول بالدواء إلى البيت وحرصت على أن أوفر عليه المشقة حتى أزوره وأشكره. . وكانت أختك زلفى البارحة في وسط القاهرة فمرّت بعنوانه واستلمت الأشياء واتضح فور وصولها أن العلب الثمانية جاءت كبسول بدل حقن واتضح أيضاً أن الكبسول أضعف مفعولاً من الحقن التي كانت هي المطلوبة أساسياً. . وكذلك الثلاث علب النورجكس كانت هي المطلوب ومطلوب معها حقن من نفس الصنف علبتين، فأرجو إن كان ممكناً أن تبعثوها.

من هذا البيان يتضح أننا نحتاج الآن ما يلي:

٤ علب حقن من العلب الحمراء الكبسول ـ نفس الاسم.

٢ علب حقن ـ نفس الدواء الأقراص. .

هذا يصلكم ساعة الميدان والليف (ستة أكياس).

طبعاً لن يغضبكم موقفي في إعادة الليف. . كونوا رحماء في التفسير. . لقد أردت أن أضطركم لاستعماله إذا لم تنجحوا في رده

واستبداله.. فتجربة كهذه كافية جداً لتحدد لكم الفرق بين جلد العجوز وجلد الشاب في معدل الاحتمال والحساسية والتفاعل مع المؤثرات الخارجية.. بالاختصار أنه أسلوب بدائي في سبيل الانتقام.. عندما يقدم لك طبق رديء من الطعام فأفضل رد فعل للموقف أن تحكم على مقدم الطبق أن يأكل ما فيه.. اتشطروا بقى واستعلموها وابعتوا غيرها. إن هذا النوع من الليف كان يسميه شاعر النيل حافظ إبراهيم (بغيره) وعندما سئل ما معنى هذه التسمية (أنشد):

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوّعت الأسباب والموت واحد

أرجو أن لا يطول انتظاري للعدد البديل لأني أستعمل الآن كيساً من الخيش الطري وأخشى من طول استعماله أن أتعوده وأترك الليف، ولكم النظر تمنياتي لقويق بالشفاء وشكراً.

حمزة شحاتة

(٥١)

العزيزة أم هاني

طال إقناعي لك بلا طائل، بأن تخففي التزامك الكتابة إليّ، وإلى الآخرين، المنتشرين في آفاق الدنيا العريضة، لكي تتخلصي من الشعور بالاختناق، الذي ينعكس تأثيره اضطراباً، وانصهاراً، على حياتك كلها، وحياة من يجاورونك.

هذا في ذاته، قد يكون من الأخطار التي تأتي السيطرة عليها، إلى حد ما، ولكن؟.. أتكون عقيمة أم ستلد، وجامدة أم ستتطور؟ وبغير تعمق إلى أين؟

إن التزام، أي شيء مهما بلغ من الصغر والتفاهة معاناة ينمو الشعور بها باستمرار، وخاصة عندما لا تكون من ضرورات الحياة، الآلية، الحتمية، حتى المتصل منها بهذه الضرورات تثقل استمرارية على النفس والأعصاب وعلى المخ نفسه. نأكل.. نشرب.. نلبس.. ننام.. نمرض.. نقوم يومياً بما لا يصدق من الرحلات، من هذه الواوات، ماذا نأكل اليوم، صباحاً وظهراً ومساء، وغداً، وألف غد من بعده ومن قبله، وماذا نلبس وماذا نفرش، وماذا، وماذا إلى يوم القيامة؟ ولك يوم من أيام عمرنا يوم قيامة.

لا أريد أن أضع الرجل الصغير ولبنان وعلاقاتك بالآخرين في قائمة الجرد، فإنه من الأشياء الإضافية التي تسمى بكلمة ميزان.

ألا يكفي كل هذا أو بعضه ليحملك على تحديد موقفك، من الرسائل، التي تدور بينك وبين الآخرين، لا أنكر أنها دعاية طيبة، التأثير لحاضر الإنسان ومستقبله، أن يكتب الإنسان إلى كل من يعرف رسائل ويتلقى منهم مثلها توثيقاً لروابط الوجدانية، أو استثناء لها، لا أنكر ولكني أعتقد أن نشاطاً كهذا مجلبة للجنون أو سبيل من السبل إليه، عندما يضاف إلى ما تتخبط فيه حياتنا اليومية من جهود وعناء لكي تظل رؤوسنا فوق الماء لا تحته.

لن أعيد نصحيتي هذه مرة أخرى، إن الرسائل كالمنازل بالنسبة لمن تضمهم في داخلها، ليست تعبيراً عن الارتباط الودي بين النفوس والقلوب، إنها مظاهر فقط، تمثل واقع الحقيقة أو لا تمثلها.

هذه ليست تهماً لك ولرسائلك ولا اتهاماً لي ولرسائلي، ولكنها صورة تساعدك على التحرر من التزام ما لا يلزم.

كان صمتك هنا وهناك وتقلصك أمامي هنا أبلغ الرسائل تعبيراً عما تعانيه في داخل نفسك وداخل أعصابك، ورأسك، وكنت أنت كما كنت أنا هاربين من المواجهة خائفين أن تفرض المواجهة علينا التزاماً لها أو لشيء يتصل بها ويتولد فيها الهرب والخوف أكبر عوامل السيطرة على حياة الإنسان اليوم، الهرب من معركة الالتزامات، خوفاً من أن تحوله تحت الأنقاض، وحديث الأنقاض هذا يطول ولا ينتهي وأنت وأنا ومن أملي عليها رسالتي في أقصى الحاجة للنعاس.. طلباً للراحة من مشقة الحياة ومتاعبها شعوراً بها أو ممارسة لها.

قبلاتي وأشواقي وشكراً.

والدك حمزة شحاتة

(٥٢)

يا أم هاني

صلّي على النبي واعقلي وسمّي بالرحمن..

المثل يا بنتي بيقول: اللي يتحرق من الشوربة.. ينفخ في الزبادي.. واللي يقرصو الحنش يخاف من الحبل..

أقول لك الحق.. التفكير في نشر الرسائل، بلاهة، إن لم يكن انحرافاً في التفكير.. والحمد لله أهيه العدوى انتقلت إلى آدم.. ويا خوفي على منقرع الصغير.. أديكي لسه ما أخذتِ شهادة التاريخ وقد أصبحت عقولنا جميعاً في ذمته.. أمال لما تاخديها، ح يكون مصير العالم في ذمة مين؟

عصارة بالكهربة إيه؟ وتشتغل دقيقة! ويخشى عليها من الماء، دي لازم كبسولة فضاء، يلزم لإدارتها عقل إلكتروني، ومحطة متابعة..

اللهم لا اعتراض.. ليه تعملي كده؟ طلبات شطبتها؟ يعني مش عايزها.. يبقى لزومها إيه؟

وجراك عاوزه وبألح في طلبه في كذا خطاب ومع كذا والد ووالدة، وفي كذا وكذا مناسبة، وأطلبه من القريب والبعيد يبقى يتأخر ليه؟

وبس هات يا بهارات.. وعصارات.. وجوابات.. ويا أعظم بابا في

الدنيا ويا نابليون الحتة، ويا تولستوي الحارة، ويا نهرو البلد..

يا بنتي روقيها وخلينا في حالنا؟ احنا مش لاقيين علبة جراك.. احنا مش لاقيين بني آدم يوحد الله ويفهم اللي عاوزينو.. وإلا مش.. جبنة.. كلّو محصّل بعضو.. فلقتيني والله.. حتى جوزك حصّلك وبقينا على الله.. عاجبك كده مبسوطة؟ شطبت البوتاجاز وكل طلب سابق ولاحق.. وكفاية كده وحياة جيوكنده وبيكاسو..

وداعاً يا تاريخ ما هرب منه التاريخ ليلقي بنفسه في نهر الجنون.

حمزة شحاتة

(٥٣)

ابنتي الحبيبة أم قويق

خطابك هذه المرة مشحون بنقاط لا حصر لها ولذلك يكون حتماً أن أختصر الإجابة لكي أجنبك الإرهاق..

لا تعليق على ما تكتبين وتنشرين لأنيَ أسمع عنه ولا أراه إلا خطفاً ومقطعاً بين الفينة والفينة.. إذا لم يكن لديك قاموس، فاسألي أقرب شاعر بأي شيء ـ بس من شعراء الدقة القديمة. أنا سمعتها كده وما اعرفش معناها بالضبط والربط.. وعلى فكرة، أوعي تتعرضي من قريب أو بعيد للشعر، استشهاداً أو نشراً له، أو حتى إشارة إليه.. مجرد نصيحة لله، والوش من الوش أبيض. كتاب مصطفى محمود، سيصلك تحت إبط أحدهم لأن الكتب كما تعلمين تضبط وتبعث إلى اللجنة العليا للرقابة.. الكتاب الآخر سيصلك تحت طاقية الإخفاء لأحدهم أيضاً ـ الناس الآن أكثر وعياً وأبعد نظراً من أن يعرضوا إياطهم (جمع إبط) للنتف لحساب الآخرين.. من الذي ناشدك بنشر رسائل أبوكي وأبو أبوكي؟ الحقيه، بالرعيل الأول من حمقى التاريخ البشري..

أنا شخصياً أناشدك الله أن تسيبيني من حكاية البانديت لآل نهرو وابنته الجوهرة اللامعة وبلاش وحياة أبوك من الرسائل ونشرها.. دي حاجات هايفة ما تجيب كيلو فستق.

خلينا في الجد وحياة الأب، وإلى اللقاء وقبلاتي.

قبلاتي لقويق وعشيرته.. ماذا عنه من جديد؟ أبوه يقول إنه أصبح ميالاً إلى الهدوء. ألا يدل هذا على الاحتجاج بصمت، أو الإذعان لجمود الواقع وتحجره؟ إنكم تدفعونه إلى أن يتفلسف، أو ينحرف فيصبح شاعراً؟ فكّري كم تكون هذه كارثة.. لا شيء غير هذا الطوفان من الشعراء؟ إنه مستقبل تستولي عليه العفاريت.. والأشباح.. لا يموها بقى وكفاية لخبطة.

والدك

حمزة شحاتة

(٥٤)

ابنتي الحبيبة أم هاني

لا يمكن أن تخلو الحياة من بواعث الشكوى، وأسباب الشعور بالمرارة.. الإنسان وظروفه، الإنسان ونفسه، الإنسان والناس.. وتحت كل شيء مشتقات لا حصر لها.. نفس الإنسان تغير دائم من حب وبغض وانبساط وانكماش ومشاعر متباينة متناقضة تتنافر لتنشد الاستقرار، وتستقر لتقع في التنافر..

والناس بحر لا حدود له وصراع لا نهاية له، ولا نجاة منه، والظروف ما ينشأ من كل ذلك، وما ينشئه أيضاً، وما يجيء مفروضاً علينا من خارج ذواتنا وحياتنا، من غامض وظاهر وبسيط ومعقد ومحتمل وغير محتمل ـ إلى آخر ما تصلين إليه، بخيالك.

والحياة في إجمالها ليست اختياراً، ولكنها شيء فرض علينا فلا بد من استقبال متطلباته على أي نحو، وإذن فعلينا أن نحتفظ بكل قوانا وحواسنا، وأعصابنا في حالة توازن واستعداد للسير مع السائرين.

في مسألة الحياة وقبولها وتقبلها لا يستطيع الإنسان أن يهرب ليعيش وحده.. إنه حيث يعيش منفرداً سيقابل الحياة وتناقضاتها وصراعها ومرارتها.. وسيجد من البداية.. وفي النهاية أن وجوده بين الناس ومعهم

أكثر من ضروري، وأن أي تعقيد في الحياة وسوء انعكاساته على النفس والمشاعر، أهون من تعقيد حياة يختارها ويحسبها خالية من المؤثرات والضنك.

تستطيعين أن تستقبلي الحياة وظروفها وكافة مؤثراتها بفهم بارد لا أثر فيه للانفعال..

هذا يساعدك على تغيير نظرتك إلى الأشياء..

إن الحياة لا تدار لحسابنا.. وليست متجراً نأخذ منه ما نريد.. كل شيء نتطلبه فيها عبارة عن خام.. أو كتلة من الشوائب، لا بد منها بالعمل والإنفاق حتى نستخلص منها ما نريد..

هكذا العلاقات والصداقة والحب.. والأسرة.. والروابط.. والمعرفة وغايتنا منها، وهكذا الحياة بعبارة قصيرة..

انصرفي إلى دراستك أيتها الحبيبة.. ولا تلزمي نفسك بالكتابة إليَّ إلا بالقدر الذي ترين أنه ضروري جداً.. ولا يمكن تأجيله.. قبلاتي وتمنياتي لك.

والدك

(٥٥)

ابنتي الحبيبة أم هاني

يبدو أنني سأكون أكثر اطمئناناً عليك من اللحظة التي فرغت فيها من رسالتك ١٢/٢٠ إذا لم يكن ما جاء بها من بعض اللقطات واللفتات الذهنية، عابراً، مجرد عبور..

إني أحس أن هذه الالتفاتات باعتبارها حصيلة تجربة تغلب عليها المرارة، لا بد أن تكون أكثر ثباتاً من أن تكون شيئاً عابراً، وإذا كان هذا الإحساس خطأ، سأكون المسؤول عنه وحدي.. إنك تضعين قدميك لأول مرة على الطريق الصحيح الطويل.. طريق السعادة في الحياة.. السعادة غير الزائفة.. إنه طريقها فقط.. ومن الخير أن تعرفي أن السعادة لا توجد في طرقه الأخر، تنتظر القادمين من الطرف الأول.. إن السعادة كلها بين الطرفين دخولاً وخروجاً موزعة على كل جزء صغير من الخطوة..

إن الثراء والعلم وكل ما يطمح الإنسان لتحقيقه يتحقق أجزاء صغيرة.. وأكبر الأنهار تكونه قطرات الأمطار، لذلك كان العمل المتواصل والمشقات المتتابعة والفكة الصغيرة.. والملاليم هي مفاتيح المجد والثراء، وتحقيق الذات في أية صورة من الصور.

إذا لم تكن هذه اللمحات والالتفاتات عابرة فأنا أمام صورة رائعة لك،

سيكون بعدها دائماً ما هو أروع، كلما جدّ بك السير لطريق السعادة..

إن أحفل موارد السعادة في هذا الطريق هو العمل.. مزيد من العمل، يعطي مزيداً من النشاط، يشمل كيان الإنسان كله ظاهراً، وباطناً..

إن الحياة غالباً لا تهبنا الأعمال التي نهواها، فعلينا أن نخلق حتى من الأعمال التي تفرض علينا كرهاً هواية لنا.. فكل عمل تجربة وخبرة، وكل عمل نشاط، ومعرفة.

ومن الجمل التي كنا نرددها صغاراً كالببغوات، جملة خالدة.. «أي كتاب تقرأ تستفد».. لم نكن ندري أنها أحد المفاتيح الملقاة في طريق السعادة.. ومع هذا، وخطأ أو صواباً ذهبنا نقرأ كل شيء.. وكانت القراءة عملاً شاقاً ونصباً مريراً.. وأحياناً عملاً تافهاً، ربما كنا نمارسه لأننا لم نكن نجد ما نفعله بعد أداء ما يفرض علينا من أعمال، لم نكن نجد لمعظمها معنى أو قيمة، أو سبباً في معظم الأحيان..

صحيح أن من الخطأ أن يعمل الإنسان عملاً يكرهه بدل عمل يحبه، ولكن هذا لا يكون ممكناً إلا إذا وضع الإنسان أمام الاختيار.. وأين هذا الاختيار في الحياة.. وأين ضمانات النجاح في ما نختار؟

العمل المتواصل هو الذي يصنع الشخصية، ويبني الاعتماد على النفس وينمي قوى الذهن والنفس ويضفر عضلات العقل، ويطرد سموم التفكير، والتفاهات الذهنية والعاطفية.

إن الحياة نشاط والموت هو توقف هذا النشاط فاعملي على أن يكون نصيبك من الحياة أوفى وأوفر.. حتى الأعمال التافهة عندما يكون أداؤها ضرورياً تضيف إلى حصيلتك من الحياة مقداراً صغيراً مهما كان ضئيلاً، فإن له وزنه..

إجمالاً لهذا البسط.. إن أداءنا عملاً نحبه، إنما هو ممارسة لمتعة لا مشقة فيها، أما رياضتنا لنفوسنا على أداء ما تقتضيه ظروفنا، وحياتنا، من أعمال ومشقات وتبعات، فإنها هي التي تضع أقدامنا على طريق السعادة ـ وبغير تعمق ندرك أن طريق السعادة نفسه لا يهبنا السعادة إلا أجزاء هي في نفس الوقت الخطو والسير والدأب المتتابع.

أرجو لك ارتقاء دائماً في سلم التفكير الصحيح الذي هو ثمرة العمل، الدائب.. اجعلي من كل عمل شاق هواية.. هذا ممكن وليس عسيراً وسيعطيك فرصاً بنفسك لا يأتي إلا عن طريق الشعور بتحقيق الذات أجزاء صغيرة..

إن سكوت الأزواج وابتسامهم، ليس إلا تظاهراً بعكس ما في النفوس في ٩٩٪ من الحالات.. ولا بد من الوصول إلى الحقيقة عن طريق ذاتك بعيداً عن التحيز لها.. إن حقيقة الإنسان.. حقيقة مشاعره الخفية قد تبدو في خشونته وفظاظته، ولا تبدو في لينه ونعومته.. والسكينة أحياناً تعطي أخطر أنواع الاحتجاج كما أن لها دلالتها الطبيعية أيضاً، لماذا لا تجعلين مسألة الحقيقة هنا متحررة من تأثير الظواهر؟ وإذا كان هذا بطبيعته مفضياً إلى بعض القلق، فلوذي أنت أيضاً بالصمت والسكينة والاستغراق في العمل.. فالعمل وحده هو المنقذ من الاستغراق في التأملات الطويلة المعقدة في الذات وكل ما يتصل بها..

إن آدم غارق في عمل متواصل بين داخل البيت وخارجه لا يترك له مجالاً لممارسة خير ولا شر.. وإذاً فلا بد أن تكون سكينته ورضاه الباديان عليه ومنه نتيجة لاعتقاده بأن لا جدوى من أية محاولة مضادة للواقع.. وهو ذاته هو هذا الواقع!!

وإذن فكيف يكون ضد ذاته؟

مسألة زواج هاني.. الحقيقة أنها أجدر الأشياء بالتفكير ـ ولا أدري كيف تأخر اهتمامك بها وبإثارتها حتى الآن ألا يمكن أن نتوقع أن المستقبل القريب سيلغي مسألة الزواج من حيث هي اختبار واختيار، ويحلها بنفس الطريقة التي حلّت بها مسألة الطعام المحفوظ في العلب أو الطعام الذي سيطرح للتداول العام في الصيدليات في شكل أقراص.. أو بتحويل بقايا الطحالب التي ستضمن للإنسان غذاءه بالكامل من البروتينات إلى ـ مطالب عاطفية وزوجية.. أو بإضافة البضاعة إلى مجال التصدير في الأمم المتطورة إلى الأمم الأخرى، بضم الهمزة.. أو باكتشاف نساء، أجمل، وأرقى، وأقل تكاليف وعناء من نساء الأرض ـ في الكواكب المعرضة للاكتشاف!

إن الدنيا تسير الآن بسرعة مذهلة ليس إلى الأمام فقط، بل إلى فوق وتحت.. ربما كانت في هذا السير متجهة إلى الفناء في لحظات أو إلى البقاء الطويل الأمد.. ولذلك وربما كان من الحماقة أن لا يقصر الإنسان تفكيره على اللحظة التي هو فيها، بمرارتها أو بحلاوتها، اكتفاء بما يحمل ويضع من متاعب أيامه ولياليه..

قولي لزوجك العزيز بعد تحياتي إليه أن زميله وصل وشكراً له..

تحياتي وقبلاتي لك وحفظ الله الجميع إلى أن تتم عملية اكتشاف الكواكب كلها.

والدك

(٥٦)

أخي غازي

ابنتي شيرين

اليوم ١٤ شوال، وكان علي أن أجيب على برقية تهنئتكم بالعيد قبل اثني عشر يوماً على الأقل..

حتى هذا كان متعذراً علينا جميعاً، وقد سبق أن وضحت كتابياً في العيد الماضي.. أن بيننا وبين مكتب التلغراف أكثر من كيلومتر وأقرب مكتب بريد يبعد ثلث كيلو..

وأن الخطاب أحياناً يلقى في البريد بعد أسبوع من إنجازه..

وأن المسافة بين المطبخ والمائدة تستغرق للوجبة الواحدة من الصبح إلى الخامسة مساء.

وليس هذا اتهاماً لأحد فأنا المسؤول حتى عندما أغيب عن البيت أسبوعاً..

إنها غلطة كل رجل عجوز لا يفارق الدنيا بعد أن يبلغ أولاده سن المراهقة.. وبلا أخطاء..

كل عام وأنتم والآخرون جميعاً في راحة وسرور وتآلف مع الحياة وكل أشكالها وألوانها..

كل رجائي إليكما أن تغفرا لي ما لا يمكن أن يسمى غير القصور وأني تحت وطأة الخجل منه لا بد أن أجد الشجاعة لتقديم اعتذاري..

إن برقية المعايدة ألطف شكل من أشكال الهروب.. الإنسان يفضل أحياناً، وأنا في جميع الأحيان أفضل أن أضرب عشرين عصاة على أن أكتب رسالة مختصرة.. إن الرسالة بالنسبة إليّ مشقة قصوى، وعبء ثقيل..

كلام كهذا يعطيكما الحق في سوء التفسير.. ولكني مضطر لاحتمال مسؤوليته أيضاً وأؤمل أن لا أفقد رحمتكما..

جاءتني بطاقة معايدة من صديق بالرياض.. صباح العيد وحتى هذه الساعة لم أرد التحية..

وهكذا الحال عندما نحتاج إلى الآخرين..

الجحيم هو الحاجة إلى الآخرين.. إنها تجربتي.. وأرجو أن لا تكون تجربة أي إنسان له موقفي وإحساسي.

العذاب يهون عندما يكون هناك أمل.. وعندما لا يكون أمل فهي الكارثة.. هذه نفثة كان من الممكن كتمانها ولكن لماذا الكتمان؟ لماذا لا نسخر من آلامنا في إعلانها؟

أي شيء من الآلام يستحق احتمال كتمانه، ألكي لا يسخر أو يشمت منا من ليست لهم آلامنا وعذاباتنا، ولماذا ننطوي على ما يعذبنا في داخل نفوسنا؟

نعم إنه لا فائدة في أية شكوى، ولكن تفريغ الانفعال لحظة شيء ضروري للتوتر..

هذا ملحق المعايدة أو جانبها الفكاهي وفي نفس الوقت جانبها الفلسفي أيضاً..

كيف يكون لهذه الصغائر والتوافه كل هذا التأثير؟ ولكن هل الحياة بالدقة غير هذه الصغائر؟ وبعد أن ينتهي الإنسان من دوره الجاد المرهق فيها!

طبعاً سيتحول كلامي إلى ما يشبه الرمز أو الهذيان ولن يفوتكما إدراك أني أتعذب عذاباً نفسياً مريراً من أن قيودي لا تسمح لي بالانطلاق بعيداً خارج هذه الدائرة المغلقة..

مرة أخرى أرجو لكما التوفيق والاستقرار، وإلى اللقاء..

حمزة شحاتة

(٥٧)

ابنتي الحبيبة أم قويق

في خطابك برهان قاطع على أنك تسرفين في تناول الأطعمة المؤثرة في الأعصاب وملحقاتها من كفايين ونيكوتين ومخللين ورحم الله من يقول آمين. .

هناك نساء ورجال تضيق صدورهم وأعصابهم أو تثقل أجسادهم بأسباب هذه المؤثرات فيتلمسون تفسير حالاتهم بطريقة ميتافيزيقية، فإذا كان لهم غائب افترضوا أن زلزالاً التهمه، وإذا كان غائبهم هذا بمصر وجاءت أنباء الزلزال من كوبا فلا مانع من افتراض أنه انتقل إليها بالطائرة ليدرك موعد الزلزال قبل فواته وإذا كان مريضاً في مستشفى فلا بد أن تكون روحه قد صعدت في رحلة طارئة إلى الفضاء الخارجي. . وإذا كان كاتب يوميات في صحيفة ما. . فلا بد أنه قد تعرض للانزلاق في حفرة ما بسبب طول لسانه أو لسان قلمه وبما أن انزلاقاً من هذا النمط يؤدي عادة إلى السجن (واصل) فمن المؤكد أن يكون سجيناً من وقت طويل وإلى الأبد. . وإذا كان. . وإذا كان. . وإذا كن إلخ، وهذه (الإذا كانات) لا تفرغ ولا تنتهي لأنها أكثر الاحتمالات توالداً في النفوس، والأفكار أكثر من الذباب هنا ومن الصراصير هنا أيضاً ومن البني آدمين في الصين. .

للمرة الألف أحذرك من التعامل مع الأوهام والتخيلات والتلغرافات

والتليفونات سلكية ولاسلكية.. وفري نفسك وأعصابك وعقلك لمسؤوليات واقع حياتك بعيداً عن كل ما عداه.. وأرجو رجاء حاراً لا تشغلي بالك فيَّ إلى هذا الحد!

إن مسألة أن يمرض الإنسان ويشفى ويسقط ويقوم ويختفي ويظهر ـ هي مسألة أنه يحيا.. ويحيا لكي يموت في النهاية ومعنى أنه يموت أنه يختفي اختفاء أطول نسبياً من كل اختفاء يتبعه ظهور..

لا تضحكك كلمة (نسبياً) فإنها لا تغطي المساحة من الأبدية التي يشغلها اختفاء الموتى..

الحديث شاحب ـ أليس كذلك ـ الشحوب يعدي أسرع مما يعدي الزكام وقد أعداني حديث أوهامك وهواجسك وحديث المغص الكلوي ومستشفى الجامعة ـ إن في هذا دلالة على أن الإيقاع أصل الحياة أو من أصولها الأساسية كل شيء وكل جملة.. أشياء تساير إيقاعاً وكل الإيقاعات أخيراً تساير الإيقاع العام..

لن أدافع عن ما عددته قصوراً مني في الرسائل.. إن الحساب في هذه المسألة ضدك بالتحقيق، ولكن ماذا يجدي أن تعرفي في النهاية أنك المقصرة أو المدينة (الجامعية أو المعلقة في آشور وبابل ونينوى)؟ الجواب لا جدوى.. إذن فلا حساب!!

المرض الكلوي يصيب الحساسين غالباً فهو دليل الحساسية، والحساسية دليله.. الحساسون دائماً يحملون كلى مصابة (كليات) لا تقرئيها (كليات ولا جزئيات) ـ لماذا؟ إنها الظاهرة واقترانها حتى الآن.. أما بعد؟ فمن يدري. إن الحياة لا تخلع أثوابها إلا قطعة قطعة وبمعنى أدق جزءاً جزءاً من كل قطعة..

لا تنزعجي.. إن الكلى المصنوعة من البلاستيك أكثر وأيسر ما تكدس من الإكسسوار البشري الذي سيباع قريباً بالكيلو بسعر البصل والثوم..

شكراً لدعواتك وتوجهاتك.. إن دعواتي لك دائمة وغير معبأة في كلمات..

تحياتي وتمنياتي لك ولقويق وأبيه واللي خلفوه..

حمزة شحاتة

(٥٨)

ابنتي الحبيبة أم هاني

عندما، قرأت لك أسبوعيتك، كانت المفاجأة، أكثر مما أنتظر، ويخطر لي الآن أن أسألك، هل هي وليمتك الأولى للقرّاء؟

لا يدهشك أن تعرفي أن الذي اكتشف الوليمة لم يكن واحداً منّا.. كان صديقاً، وتبعه صديق آخر، وكان الخبر مقروناً بإعجابهما.. لم يكن الأمر، هزلاً ولا مجاملة، وإنما كان تقديراً جاداً للوليمة الفاخرة.

وسرت العدوى في مفاصلي، ووقعت في حبالة الإعلان.. وهكذا، قرأتك متأثراً بعامل نفسي وذهني من أقوى العوالم التي كشف عنها اتساع مدى المعرفة في عصرنا الحاضر..

في دقة وبغير تفصيل، كانت وجبة شهية ممتعة، توفر لها من حسن الذوق وجمال العرض والتنسيق ما جعلها تتفوق على الوجبات المثقلة بالألوان الكلاسيكية، إنها مائدة عصرية، كل جزء منها يشبه باقة من الزهور انتقتها يد مدربة.. النكتة الخفيفة.. اللمحات الذكية.. الابتسامة الجذابة، اللفتات المتألقة التي يظن كل ناظر أنها موجهة إليه وحده..

إن علاقتك بتويني، وشو وبأمثالهما من العواجيز الممتازين، يدل على أن نجاحك مع القراء سيكون باهراً، ولكن حذار أن تخطئي.. فمن المعتاد

أن يخسر الإنسان بسرعة من يكتسبهم بمجرد الفهلوة العابرة..

ليس هاماً أن يبدأ الإنسان من أي مستوى، فالسفح دائماً هو أول المستويات، ويمكن أن يظل الإنسان مرتبطاً به ارتباطاً أفقياً.. الصعود يقتضي الانتباه والتفكير، فالسؤال هنا.. ليس كيف أصعد، وإنما ماذا ينبغي، أن أفعل لكي أحتفظ بمستواي الجديد.. ولكي لا أتدحرج؟.

أنت الآن كاتبة، والقراء لا يتسامحون، ولا يغفرون عندما تقدم إليهم وجبات أقل إمتاعاً مما اعتادوا، وأحياناً مما يتوقعون،.. لغتك وأسلوبك في نثر الأطباق على سطح المائدة كان خروجاً عن التقليدية الرتيبة، ولا بد، من أن يحدث انفجار عام بين القارئين والقارئات.. وجه الغرابة فيه، أنه اتخذ من مجال الجد المحض، معرضاً للنكتة.

الصحيفة اليومية تجد مبرراً، لأن تختص إحدى صفحاتها بالفكاهة، أما الصفحات الجادة كالأولى، والأخيرة، فلا مجال فيها للنكتة باعتبارها غرضاً مقصوداً، لا ضمنياً مندرجاً.

أعتقد أن الناس الآن على استعداد لتقبل هذه الفروق وهضمها على أنها من ألوان التجديد الذي يزداد تقديره كلما ازدادت نسبة الجرأة والغرابة فيه.. الفكاهة ليست النكتة.. النكتة فرع من الفكاهة.. وإذاً فالذي أعنيه هو النكتة ـ الفارس ـ (النكتة التي يخاطب بها الذهن أو الفكر أو العقل) نكتة برنارد شو، الزهور ورؤوس الأطفال فكاهة، وليست نكتة..

خفة الروح، التي يمتاز بها أسلوبك، والسخرية الخفيفة، فكاهة يتشبع بها الذهن أو الروح والأسلوب وتفيض في ما يكتب ويقال، ويعرض.. ليست النكتة شيئاً من هذا.. النكتة الفارس لها مواضعها الخاصة..

لكل صناعة تقاليدها التي تفرضها ظروف الممارسة، وتجاربها، وتغيراتها المستمرة..

سيتكيف القراء لما تكتبين، وستتكيفين أنت، لما يضمن رضاءهم وإقبالهم على ما تعرضين.

هناك دسائس تدور في الخفاء، بين أفراد الحرفة، حتى المسؤولين يدس بعضهم لبعض، ويضيق بعضهم ببعض، وفي المثل الدارج ـ شحات يكره شحات، وعلمناهم الشحاتة سبقونا ع الأبواب..

وسبقونا ع الأبواب هذه تمثل لك الصراع على المكانة بين الجماهير.

مما يلفت النظر خلو الصفحة من الأخطاء المتعلقة بالشكل.. المحافظة على مستوى الدقة في هذه الناحية، يعتبر تزكية لك، ـ إلا من سوء استخدام لبعض حروف الجر والتعدية على ما أذكر الآن، والأمر ليس خطيراً على كل حال!! من وراء هذه المهارة يا ترى؟

ستصلك قريباً، أو بعيداً، مجموعة كبيرة من أمهات كتب التراث، ستمدك بذخيرة لا تنفذ، لنشاطك الصحفي.. أي لمادة النشر..

ومن الخير أن يخفف الضغط على أعصابك في هذه الفترة.. وأذكرك ببيروت والدراسة!

تمنياتي وتحياتي الطيبة.

والدك

حمزة شحاتة

(٥٩)

ابنتي الحبيبة أم هاني

الشهرة هي الضريبة الفادحة التي نقدمها ثمناً لنجاحنا، وسيكون عليك أن تؤديها مغلظة كلما اتسع نطاق شهرتك.

إن أوعر الطرق وأشق الرحلات هي التي يتحتم على المشاهير قطعها والقيام بها.. والشهرة تضع صاحبها دائماً أمام أقسى الاختبارات التي لا تنتهي..

إننا نتصور أن الإنسان يحتمل المشاق حتى يشتهر.. فإذا اشتهر أمكنه أن يرتاح.. العكس صحيح..

والشهرة كالخطيئة تطارد الإنسان.. وأحياناً تخنقه..

وكما أن القمم الحادة لا تتهيأ فيها أمكنة الراحة والاسترخاء، فلذلك الشهرة لا تعني الاستقرار بحال.

إني بشرتك قبل أن لا تبدئي بالسير في الطريق الطويل، بالسطوع والتوهج، وكنت تسخرين بهذا الاحتمال.. أو كان هذا ما تظاهرت به..

وها أنت تلجين أبواب النجاح في سرعة ويسر..

إن المجتمع يفتح ذراعيه لك ويحتضنك، ويوليك من الاهتمام الصادق، أضعاف ما تعطينه من ثمرة جهدك الصادق.

شيء واحد يبدو أنك لم تفكري فيه.. تراكم الضريبة.. ضريبة النجاح، وضريبة الكسب..

إن الشهرة.. نجاح ونجاح يعتبر هدف الإنسان عامة.

لن تكون الضريبة فادحة فقط.. بل أفدح الضرائب على الإطلاق.. إنها تعني عدم التوقف.. وتعني التدفق الدائم بالعطاء وتوطين النفس لحرب مستمرة لا يحسمها الانتصار في معركة من معاركها المتصلة كحلقات السلسلة..

لن تهوبك المتاعب فهي شارات التقدير التي تضعها الحياة على صدور من تحابيهم بأفضل منحها وهباتها..

أنت الآن تلعبين بمهارة على حبل يبعد عن الأرض بقدر يثير الخوف.

أقل تشتت أو اشتغال يصرفك عن تركيز انتباهك لحظة كاف ليصل بك إلى الأرض بغير انتظام..

ينبغي ـ وقبل كل شيء ـ أن تصرفي نظرك وسمعك عن متابعة أي مؤثر من الخارج أو دافع من الداخل.

لا داعي للاكتشاف ومتابعة الخفايا والترصد للظواهر.. فأنت قد بدأت رحلة يجب أن لا يشغلك عنها شيء مهما كانت تفاهته أو أهميته..

اقتلي حساسيتك قبل أن يصرعك بها الآخرون أو الظروف..

لماذا تغرقين والشاطىء أمامك.. والنجاة ممكنة؟

هذه هي الاستجابة الثالثة لصرختك المكتومة فعسى أن لا تحملها الريح إلى صخرة الروشة..

تحياتي وقبلاتي لك.

والدك حمزة شحاتة

(٦٠)

أخي أبو قو . . غازي(*)

سررت برسالتك الرقيقة لأنها كانت تعبيراً صادقاً وأميناً عما تنطوي عليه أعماقك لي من حب ممزوج بالحنان . . هذا الحنان الذي أحسست دائماً بأنه طابع وجدانك الأصيل . .

لا بد أن يأخذ الرجل الصغير فرصة كافية للراحة من عناء رحلته الشاقة معكما . . ولا بد أن توفروا له جواً من الهدوء بعدما تجشم من صعاب!! إنه لا يزال أصغر من مشقات المغامرات والرحلات حول العالم . .

إني أود له أن ينشأ أقل انفعالية من أمه مثلاً، فالحساسية والانفعالية احتراق ـ حتى للمواهب . .

أنا على يقين أن «شيرين» ستجد الطريق ميسراً لاستمرار نجاحها حتى النهاية، فهي بارزة الطموح . . وتدرك تماماً أهمية أن يتحقق لها نجاح في أي خط علمي . .

(*) المقصود الأستاذ غازي عبد المجيد زوج السيدة شيرين وفيها يؤكد عدم نشر رسائله وذلك بعد أن علم أن هذه الفكرة تراود ابنته شيرين.

من الدلائل الطيبة على توفيق الله وحسن رعايته أن تكون أنت من البداية مدركاً لأهمية مواصلتها للدراسة الجامعية.. والوقوف إلى جانبها في جميع المواقف..

إن الحياة ليست شيئاً ذا قيمة بغير مواصلة الجهد للتقدم العلمي والثقافي.. فالحياة تمضي في الصغائر المعتادة وبنفس الجهد اللاهث خالية من هدف بارز..

كانت «شيرين» حلمي.. وقد صار مستقبلها حلمك، وستكون مثلك حلماً للرجل الصغير.. الذي سيبدأ نقطة انطلاقه الرائع منكما بتوفيق الله، هو ومن يليه إن كنتما أو لم تكونا بحاجة إلى المزيد.. فتعهدها قدر الإمكان برعايتك وتشجيعك.. ولا تنس أن هذا رجاء!!

وصلت هديتك وشكراً من الأعماق.. وستقرأ في رسالتي «لشيرين» تعليقاً جاداً وعنيفاً عليها ـ إنها الحقيقة في قالب الكاريكاتير!!

ماذا أصنع بالساعة؟! لن أحتفظ بها ـ إذا وجدت لها زبوناً وسأطالبك بأخرى متى التقينا ـ ساعة خفيفة الوزن وواضحة..

إن الشباب يتعلق بالمظاهر.. والعجائز يتعلقون بالنفع، ستقدر ذلك عندما تصبح عجوزاً..

والآن قل لي بربك هل أنت راضٍ عن حماقة زوجتك؟! لا تدعها تفكر وحدها.. وعلى الأقل في ما يتصل بي..

عندما كنت في مثل سنها لم أكن أحمق بهذه الدرجة وخاصة في مسائل النشر.. إنها لا تدرك الخطورة في نشر شيء لإنسان اختار أن يظل متحرراً من المجال الأدبي..

وهي مسألة فرغت منها منذ زمن طويل ولم يطرأ على موقفي منها أي تعديل.. حتى الآن..

أرجو أن تحملها على التعقل.. وعندما تكتسب معرفة أكبر.. وإدراكاً أصح.. وتجربة أوسع.. ستغير نظرتها إلى الرسائل وتعرف أن الرسائل الخاصة شيء مختلف عما يعد للنشر.. وحينئذٍ ستحمد لك أنك أعنتها على عدم التعجل..

إنك ستسدي إليّ جميلاً عظيماً إذا أحكمت رقابتك عليها في هذا ـ وسأعتبر أنك وعدتني بهذا.. وأشكر لك ذلك مقدماً!!

إني أصارع الذين ينشرون لي أو عني أي شيء.. فماذا تريد أن تفعل بي هذه الحمقاء؟!

أكان ضرورياً أن يكون أبوها أديباً أو مفكراً؟ إنه أبوها وحسب.. فإذا كانت مقتنعة بأن له جانباً إنسانياً.. فلتكتب هي عنه ما تشاء مما أحست به نحوه من حب وتقدير بغير أن تدينه بدقائق يرى الآخرون فيها من التفاهة ما لم تره هي ـ بحكم أنها ابنته ـ وكما قلنا في السابق وما زلنا نردد «كل فتاة بأبيها معجبة»..

إن الرسائل الخاصة لا يبرر نشرها شيء أقل من أن يكون نماذج من أدب أو فلسفة أو علم..

ورسائلنا لم يقصد لها من الأساس أن تمثل عنصراً من هذه العناصر وإلى هذا فهي لم تلج باباً من أبواب حرية التعبير عن مقاصد ذات مستوى يبرر عرضها للناس..

أرجو أن تكون أنت بريئاً من الاشتراك في هذه الحماقة ومن مثيلاتها..

لقد أصبحت أباً وهذا يحتم عليك أن تزيد رصيدك من الرصانة

والتعقل وإلا أصبح البيت فرعاً لأكبر مستشفى مجانين.

ألست معي في هذا أم تريد أن تكون من ضحايا البدنجان؟

لقد أخرجت حواء آدم من الجنة.. فهل تدخلك حواؤك إلى جنة البدنجان؟

حاسب.. وإلا كنت المسؤول عن سلامة عقلك يا أبا هاني..

شكراً لك ومزيداً من تمنيات الخير والتوفيق أيها الصديق وإلى لقاء يجمعنا في ظل من الحب والسكينة والحنان.. قبلاتي وتقديري.. وأطيب تحياتي للوالدين الكريمين والأخوة وإلى اللقاء.

حمزة شحاتة

بابا.. الغالي الحبيب «حفظه الله»(*)

أقبّل يديك الكريمتين.. وأبعث لك بأرق تحياتي وأجمل أمنياتي.. أنا الآن بخير كن مطمئناً.. فكلماتك العظيمة هي سندي في كل ما يعترض طريقي.. وأحاول دائماً أن أقلدك فأتحدى بدوري المشاكل والظروف.. وكثيراً ما أصارع الأفكار والقلق في نفسي حسب توجيهاتك.. وأنجح أحياناً وأفشل أحياناً.

ولكني سأنجح أخيراً ما دمت بجواري الصديق والأخ والأب وإلا فلن أكون جديرة بأن أكون ابنتك التي تعتز بها!!

كل ما أرجوه منك ألا تبخل عليّ برسائلك.. لأنها تسعدني سعادة تفوق الوصف من الصعب أن تصورها لك كلماتي التي لم تقو بعد على التعبير عن المشاعر العميقة.. ولكني متأكدة أنك تفهم ابنتك جيداً وتفهم ما يدور في نفسها حتى ولو لم تحدثك به..

دعني الآن أحكي لك ماذا حدث ونحن أمام دائرة البرقيات.. عندما دخل غازي إلى الدائرة لبعث البرقية.. سرحت بأفكاري.. وتخيلت كيف كنت أجيء إليك مداعبة وأنا أردد الأغنية الشعبية المشهورة «حل الكيس واعطينا بقشيش لنروح ما نجيش يا حلللو» وكنت تضحك بسعادة وتغيظني قائلاً «روحي وما تجيش» ها هي الحياة تباعد بيننا ورحت وما جيت..

(*) اختار الناشر هذه الرسالة كنموذج للرسائل التي كانت شيرين تتبادلها مع والدها.

لكن على مين؟! وراكم والزمن طويل.. حتى لو ذهبت إلى آخر الدنيا!!

من أخباري.. أنا مشغولة.. فاختبارات الجامعة على الأبواب ولذلك تجدني غارقة في بحر من الأبحاث التاريخية.. وكنت صباح اليوم مع هوميروس وملحمتيه الشهيرتين «الإلياذة» و«أودسا» وللمعلومية لقد أصبحت شغوفة بالتاريخ اليوناني والشعراء اليونانيين إلى أقصى درجة.. هل تذكر يا بابا كيف كنت مستاءة في بادىء الأمر لأني لم أوفق في الالتحاق بقسم دراسة علم النفس؟! إنني الآن تقريباً متآلفة مع جميع المواد.. إلا مادة «الدولة البيزنطية» لا أعتقد أنه سيجيء اليوم الذي يعقد فيه صلح مشترك بيني وبينها.. كيف يحدث ذلك وهي كتاب من ألف صفحة غلافه كئيب أكل عليه الزمان وشرب ومع ذلك فإني أعدك بأني سأنتصر عليها وأهزمها بدرجة جيد جداً وأنت تعلم بنتك ودماغها الناشف عندما تصمم على شيء.. ولعل النجاح يكون حليفي..

بودي يا بابا أن أكون أنا وأخواتي عند حسن ظنك.. في كل ما كنت تحلم به وتخطط له في طريق مستقبلنا.. لأنني أشعر في داخلي بالحسرة والأسى لأنك لم تنجب ولداً.. ولا أودك أن تأسف أنت أيضاً لأنك أنجبت خمس بنات.. أنا «الكوبرا» فيهن (الله يسامحك يا بابا).. وكم كنت كبيراً لأنك لم تشعرنا بذلك في يوم من الأيام..

كثيراً ما أحدث نفسي لو كنت رزقت بولد؟! ولكنها إرادة الله.. ليتنا نكون عزاءك عن كل ما فاتك.. كما كنت لنا نعم الأب وعزاءنا الوحيد..

لن أطيل عليك أكثر من ذلك وإن كنت أود أن أتحدث إليك حتى يدركني الصباح فأسكت عن الكلام المباح..

قبلاتي وأشواقي لأخواتي الحبيبات، وأنا في انتظار رسائلهن وكفاية كسل وقبلاتي لبابا الغالي وكل حبي وتقديري.

ابنتك

شيرين حمزة شحاتة

أحلام الخالدين

من حمزة شحاتة إلى محمد عمر توفيق[1]

(١) من كتاب «الرسائل» لمحمد عمر توفيق الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٢م.

أحلام الخالدين

أخي محمد عمر

إن كل ما جاء برسالتك الأولى في التزام فكرة العودة العاجلة إلى الحجاز ـ حق لا غبار عليه.. وأنا إذا كنت ـ كما قدّرت ـ أعرف ما أوردت من الحقائق في هذه الرسالة، معرفة العليم، فإني ـ وهذا اعتراف لا معدى عنه ـ أجهلها جهل العاجز عن العمل بمقتضاها.. فهذا الجهل معرفة ولكنها تُضحك وتُغيظ، لأنها لا تُفيد ولا تُنهض.

والعودة إلى الحجاز ضرورة، سواء تحقق بها أمل من هذه الآمال العريضة، أم أنتعش وهم، أو زاد بها المصير سوءاً على سوئه. هي حركة لا بد منها.. كالحركة ممن تغلبه بطنه..

وما تقوله من فرص النجاح والتزيُّد خليق بأن يحفِّز القادر على الوثب والقفز والمبادرة، إلى الاستجابة.. أما أنا فلست أرى في أي نجاح يتهيأ لي الآن غير تكملة للمعنى الساخر الذي ركبتني به الحياة حتى استنزفت نشاطي.. وما خير أن تظفر بالطعام بعد تحقق عجزك عن هضمه، أو بعد انقضاء اشتهائه؟ إنه وصال الهاجرة على الارتخاء، تزداد به النفس ازدراء للحياة..

قل إنه فساد الطبيعة وتخثرها وانحلال قوامها وتماسكها.. وهذا إن كان مرضاً فهو المرض الملازم على اليأس من شفائه.. وإن كان مجرد شعور فالحقيقة ليست أكثر من شعورنا بها في الواقع والخيال.

وقد سرني سروراً عميقاً أن تكون قد استخرجت من واقع الخيال، أو من حاصل الدنيا، هذا الوهم الذي ترضى به عن دوام الحركة في الدولاب الدائر.. فالحق أن الحياة هي هذه لا أكثر.. وما دام كل شيء إلى زوال فما جدوى التأثر والغلظة في علاج الأمور.. إن القانون الطبيعي هو استمرار التسيّر على نحو لا يكدّ الأعصاب ويثقلها بأعباء الانفعال والتوتر.. ولكن الفكر.. هذه العجوز الشمطاء التي ما تكفّ عن الثرثرة واللوم والثورة والتسخُّط ـ كيف تموت وتنطوي. أو تنقطع بها العلاقة الآثمة؟..

إنه المشكل ولا شيء غير هذا..

إن حديثك عن المركاز وأحلامه (الخالدين) فتح لي نافذة من الخيال على تلك الحياة التي كان كل شيء فيها (له) ذلك الطابع الخيالي الذي يطبع الأشياء والأشخاص بطابع التغلب على الحياة من طريق إهدار التزاماتها، وما أعرف هرباً يحقق غاية الانتصار إلاّ ذلك الهرب. هربنا من واقع ضيق المسالك، إلى واقع مصنوع بقوة الوهم والخيال والتصور.. وإنها لقدرة يفوتني منها اليوم أنني أعجز عن توليد وهم تعود به الحياة خفيفة المحمل عليّ..

أما زلتم تتجادلون.. وتتفلسفون.. وتنتقدون.. وتضربون في مجاهل الفكر ومعالمه مضرب أرسطو وأفلاطون.. أم غدا الحديث أرقاماً.. ومذكرات.. وإحصاءات؟ والشجرة؟ ألم تعرفوا المجرم الذي اعتدى عليها؟

لقد كانت بالنسبة إلينا نقطة تحديد.. ولقد كانت صديقة.. ومستودعاً.. وشريك خيال.. أو هي بالنسبة لزيدان ـ دوننا ـ شريكة حياة طيبة يفضي إليها إفضاءة يرخص بها شيئاً من أذاه.. أو يميطه.. كما كان يفعل رجل من خير أنساب العرب في سنة كذا من التاريخ مع امرأة من بني أنف الناقة مثلاً.. أفما زالت لزيدان هذه العقدة التاريخية أم تغير بها (جدّ) الديوان.. وسمته.. ومتاعبه.. لا فائدة.. وعريف! أأتاحت له البلدة من وصلها حراماً.. أو حلالاً ما يجعله يفكرك بأن مجتمعاً عصرياً قد بدأ يتكامل في هذه البلاد السعودية، بدليل كمثل الشعور بإلحاح الحاجة إلى بروز صحف يومية تسند النهضة وتعمق مجراها؟

وبعد فما أخشى شيئاً، كما أخشى أن تكونوا فقدتم ذلك الطابع الخيالي.. الذي كان مشوار الحياة البهيج في أوسع مدى لحرية الفكر والنفس، فأنتم رمز القوة في المحيط الناعس.. أفتراني على حق؟..

ما أشوقني إلى الحجاز.. وإليكم.. وإليك أنت لنتلاحم فتعود بك صحبتي قليلاً.. أو تقودني إلى الأمام وهيهات!..

دمت يا صديقي وعشت سعيداً..

أخوك حمزة شحاتة

أغاني التقدير

أخي محمد عمر

هذا خطاب رصين العبارة غلب الوقار على كل كلمة فيه فكادت أن تكون رجلاً يحمل في إحدى يديه عكازاً وفي الأخرى سبحة.. ويقطر الخير وآثار الصلاح من محياه المنطلق صفاءً. ولو كانت على هذا الخطاب دلالة من التاريخ أرده بها إلى زمن صدوره، لكان في وسعي أن أحدد أو أعين مؤثراتك النفسية التي وجهت أسلوبه ومقاصده.. ولعلّ ميسم الوقار فيه، أثر من آثار الصوم في النفس، أو اثر من آثاره في الجسد منتقلاً إلى الفكر.

قد انتهى ـ والحمد لله ـ أمر المائة، جداً ومزاحاً.. ولم يبق إلاّ أن تحسن التسرية عمن أزعجتهم بالمشاركة في مصابها شعوراً به،واشتغالاً بملابساته، وسيبقى بعد ذلك في كل نفس ما قرَّ فيها من الفهم الخاص والتفسير الخاص.. وهذا شر لا يُهَوِّنه اعتيادي الطويل له وارتياضي به وأنه حظي الذي لا مفر منه بل يهونه ضعف الذاكرة ووهنها عن أن يحيا فيها المؤثر مهما كان عنفه أكثر من يوم وليلة.

وسترى أن أسلوب الوقار في خطابك قد أعداني، وأن أثر عدواه لن

يكون إلاّ جدًا لو تكلفت غيره، لما انتهى بي الأمر إلاّ إليك، ولا يسرني أن أفتقد دلالة من دلائل مرحك الذي يخرج بي من محبس انقباضي، فالجِدُّ ممن اعتاد معك غيره، نذير الغضب أو التغيير وكلاهما انقلاب، أو هو دلالة كبت النزوع الطبيعي في النفس، وإيثار نقيضه عليه وهذا تكلف.

أما عزيز، وقناعه الكثيف، فدليل على أنه نضج في دلهي نضوجاً لم تحصل له به الفائدة إلاّ بعد فراقها.. ولكن للأمر جانباً آخر وهو أن حكمة الصمت تتعيّن بعد استنفاد وجوه الكلام وأغراضه.

إن الذي أردت أن أعرفه يا صديقي عن عزيز أنه وجد مجالاً طيباً لتحقيق رغباته، وتقديراً صحيحاً لمواهبه وكفاءته وقدرته على الاضطلاع ـ اضطلاعاً بارزاً ـ بأكبر الأعمال وأدقها.. وهذا كلام أطلت فيه على مسمع الشيخ إبراهيم في مناسبتين كان فيهما هو البادئ..

وأشكر لك أنك طويت عني ما استفاض به الحديث منذ عدت أنت إلى الحجاز، فلا يزال الكلام سبباً من أسباب إثارة انفعال النفس، وإلاّ ففيم كان الحرص عليه استماعاً ورواية؟ ولا سيما في ما يشبه هذا الباب من أبواب الحوادث والوقائع. لقد كنت أبعد مني نظراً يا صديقي..

وفي ليلة دخول رمضان جاءت الأخت زائرة تفيض مرحاً وسعادة، وتوكيداً لهما بالادعاء العريض.. وقالت إنها منذ انتفاء أسباب المشكلة نعمت بالحياة.. وفاضت ـ والله ـ نفسي فرحاً بأن الله فتح لها من أبواب السعادة والفرح والرضى والراحة، ما لم يكن في الإمكان تأتّي بعضه لها في الماضي القريب.

إن أمر عودتي إلى الحجاز وقف على ما يمكن أن يتهيأ لي من عمل

فيه، فإذا عدت وتركت الأخ بمصر.. وجب أن أؤدي عملاً غير التجارة.. فهب أن الوظائف تنتظر مقدميّ.. فهل أنال أكثر من ١,٠٠٠ ريال فإذا سألتك أن تنظم لي حياتي في نطاقها فماذا يسعك أن تقول؟ البيت، والسيارة، والقراج، والخادم والخادمة، والتصييف وخمسة العيال.

دعني أتحدث إليك بطريقة أوروبية.. أيها السيد: لكي تعرف أهميتك في بلد ما. ابتعد عنه قليلاً.. وانظر من بعيد.. إنك ستجد في الغالب إن كل شئ يسير في اتجاهه.

هبني عدت فما الذي سيحدث؟ وظيفة بألف ريال؟ أهناك شيء غير هذا؟ التجارة؟ فهمت. ولكن رأس مالي كله لم يعد صالحاً للتداول. إنه عملة باطلة.. لم يعد لها رصيد ضمان.. أفلا يتحتّم أن ابدأ من جديد فأتعلم كيف أعيش.. إني يا صديقي لم أعرف كيف أعيش في مجلس الشيخ إبراهيم.. الرجل الذي أبدى من التلطُّف لي والاهتمام بي ما كاد يفقدني عقلي.. لقد غدوت كالمرأة التي عاشت وراء سترها حتى بلغت الكهولة.. فإذا دفعها الضنك لالتماس المعاش وجب أولاً أن تتعلم كيف تصطاد رجلاً أو كيف تحمله على أن يصطادها. إني أسمع أغاني التقدير لكفاءتي ولأخلاقي ولقوتي من أصحاب السمو ومن أصحاب السعادة، أعواماً طويلة ممتدة: ولكن أهناك شيء محدد؟ كلا.. فإذا نظرت لأعرف أهميتي، وجدت كل شيء يسير في اتجاهه.. حتى أنا.. أسير في اتجاهي.. وأتمتع بالاستماع إلى أغاني التقدير وطقاطيقه! صحَّ عزمي على الانتقال ورأيت أن أضع عيالي في مدرسة داخلية.. وسألت عما ينبغي أن أدفع فإذا به ٤ x ٥٠٠ = ٢,٠٠٠ جنيه سنوياً ـ والسنة ٩ شهور فهل

تحسن أن تحسب معي هذه العملية البسيطة؟

ومع هذا فالعودة أكثر من ضرورة وستتم على نحو ما كرهت أم رضيت.. إنك عميق الصلة بالشيخ إبراهيم فلماذا لا تسمع منه شيئاً محدداً؟ وعميق الصلة بسمو الأمير عبد الله وهو يعرفني فلماذا لا تعرف منه شيئاً معيناً ـ شيئاً يحملني على المبادرة بالحركة أو تقريرها؟إنها مأساة هاردي: «من يحفر عند قبري»..

علمت أن أحمد فتحي عُيِّن أو سيعيَّن سكرتيراً عاماً لوزارة الداخلية في عهدها الجديد، فهل هذا صحيح؟.. وسألتك في خطابي الماضي عن مصيرك أنت وهل ستندفع في هذه الحركة أم تظل حيث أنت؟ إنها أسئلة تنتظر كلاماً.. كلاماً يراد به حركة يدفع بها السكون، أو يتم التنفيس فهل تضع لها على وجهك الستار الكثيف؟

لقد أطلت. فإلى اللقاء وحفظك الله.

أخوك حمزة شحاتة

صنوف الناس

أخي محمد عمر

كان الله لي ولك. إننا نحمل على الحياة، ونوجِّه إليها اللوم والزراية ونراها مليئة بأسباب الشقاء والتنغيص، وكل هذا ليس فيها، إنما يجيء من داخل نفوسنا. . تصنعه مشاعرنا وأحاسيسنا المرهفة أو المنحرفة أو المريضة أو الشاذة، فتصنع به هذا المضض الذي نغصّ به ونضوي.

لقد كنت خليقاً بأن أقول كلاماً ضد هذا تستقيم به الحجة، ويؤيده الواقع المطّرد، ولكنني قلت إذا لم يكن الأمر هو هذا فما بال غيرنا من الناس ينطلقون في سبل الحياة أو في سبيلها الواحدة، يأخذون ويعطون فيربحون ويخسرون. .

فإذا نظرت إلى عيونهم لم تر فيها معنى من معاني الاختناق أو الإنكار أو القلق أو عدم الرضا؟ أهي البلادة التي لا تتألم لأنها لا تحس، ولا تفجع لأنها لم تحرز؟ كلا. . إنما هي دلالة الصحة وأثر العافية، وتوفر القدرة الطبيعية على الهضم والتمثيل، إنما نقيضتها فينا الضعف والمرض الذي يستحيل به كل سبب من أسباب الرضا والبهجة إلى سبب من أسباب الضجر والانقباض.

والناس يا صديقي ثلاثة صنوف: صنف يرتبط بالماضي.. وصنف يتطلع إلى المستقبل، وصنف يأخذ بخاصرة الواقع أو يأخذ الواقع بخاصرته.. فالأول يهيم بفائت.. والثاني يتعلق بغيب محجوب.. وكلاهما يغمض عينيه ويستحضر الصورة التي يهواها في اللحظة التي يريدها على الحال التي تلذّه، فإذا هو في عالم طري من صنع يده يستوي على ما تريد منه ويقدر.. فإذا فتح عينيه تفكك وتناثر واحتل محله عالم بغيض لا تستطيع اليد أن تصنع فيه شيئاً مما تصنع في ظلمتها الخاصة.. فإذا بالتنافر أو التباين بين العالمين يفيض ببواعث التنغيص والاصطدام والأسى. ولن تستطيع أن تقول له إن الحياة التي يسعد بها الناس هي التي تشقى بها أنت، وما يسيغون فيها هو ما تعاف منها فإنه يعرف أن هناك عالماً يستوي فيه كل شيء على ما يريد ولكنه لا يفتح أبوابه للوالجين إلاّ في كل أربع وعشرين ساعة مرة! وهذا كل ما في الأمر.. فمن يقول إنه يهيم بباطل أو بما تعجز الحياة عن تحقيقه؟.

فإذا أقبلتُ عليك أسألك، أو أقبلتَ عليَّ تسألني: من أي الصنوف الثلاثة نحن؟ قلت إننا من الصنف الرابع الذي يعيش ذووه نصفاً في الماضي ونصفاً في المستقبل كما تعيش «البرمائيات» بين الماء واليبس.. فإذا كنا أوفى إحساساً وانقباضاً، فلأننا أبعد نظراً، وأوفر علماً وأوسع رقعة أو أملاً أو خيالاً.. إنها مشكلة الارتباط بين الأحزان والفجيعة.

هذا الكلام ـ إن كان كلاماً ـ هو من وحي رسالتك (١٥رمضان ١٣٧٠هـ) التي كان فيها شيء يتأجج.. أو هو الشيء الذي يصور معنى النضوج على النار الهادئة.. هذه النار التي تسوى عليها آمالنا ومطالبنا طويلاً لتنقلب شيئاً يصلح

لأن يكون غذاء تقوم به البنية لا شيئاً يمتلئ به الفراغ الرغيب وحسب.

أكان في نفسك من قبل أن يتم انقلاب كهذا في وضع البناية الثابت ثبات البد؟ إنه الواقع يأخذ بخاصرتك فمل إليه بكل ثقتك ولا تنتقل بفكرك إلى ضباب المستقبل. وسيأخذ الله بيدك ـ إذا شاء ـ في طرفة عين فإذا أنت على ما تريد.

سافر الشيخ محمود أبار ولم أره. وكان آخر اجتماع لنا ليلة عرس ابنه وظللت كل المدة بالبيت أدفع، بتفادي الحركة، التهاب قدمي في بوادره.. والحمد لله فقد كان لهذا الهدوء أثره في تأجيل المرض أو دفعه إن شاء الله.

أرجو التلطف بإبلاغه سلامي واعتذاري.

لقد كنت أود أن يكون عندك شيء عن هذا الخلاف بين شاكر وباخشب وعن أحوال الشركة.. فأنا كما تعلم أضع بيضي كله في سلتها، وما أحب أن يدور العراك فيفضي إلى نتائج لا تحمد مغبتها على المساهمين وأنا من سوادهم.

إني أرى أن الشيخ إبراهيم يحاول بذكائه وفطنته النافذين محو شعوري بوجود عقبة في سبيلي. ولا أكتمك أن هذه العقبة مجرد فرض حسابي من وضعي وارتجالي يعينني.. التظاهر بالإيمان بوجودها على اكتشاف الميول وتفسيرها.. وهي في ذات الوقت مبرر فلسفي من المبررات التي أفسر بها هزيمتي المؤيدة تفسيراً يرى فيه الآخرون تعويضاً خفياً عن مرارة الفشل.. والمسألة ـ مني ـ لا تعدو التماس الستر أو تحريك الالتفات إليه كما في قصة لعلّك فأخذت؟ وإلاّ فبماذا تُفسَّر الرغبات الطيبة على تأتّي الإمكان لتحقيقها كل هذه الأعوام المتلاحقة من ذوي الصلاحية؟

هو نوع من أنواع النشاط الرياضي، ميدانه بواطن الفكر، تفسر به بعض العلاقات الطيبة بين نمطين من الناس تابع ومتبوع.

مات ابن فوزان كما قد علمت الآن وآلمني أن يموت. لقد كان رحمه الله من هؤلاء الرجال الطبيعيين الذين لا يصرفهم النجاح والارتفاع عن تقدير آدميتهم بميزانها الصحيح. وكنت أرى أن هذا هو دليل أصالته وأن في فكره حياة..

أفلا ترى كيف تكون خاتمة المطاف بهذه الكلمة الخافتة الجرس: مات؟ رحمه الله فقد كان ذا بصيرة بالحياة على النحو الذي نفهمه، وكان حريصاً على أن يحيا.. تقبل تحياتي.. وإلى اللقاء يا صديقي.

أخوك حمزة شحاتة

من أراد أن تطول لحيته..؟

أخي محمد عمر

عرفت أنك لم تكن مازحاً عندما فرغت من قراءة خطابك الأخير.. الذي كانت كلماته ترتعد وتتصبب عرقاً. أهذا هو انفعال أصحاب الفكر؟ إنك لم تنتفع بديل كارنيجي على ما يظهر.. لماذا لم يسعك أن تدع القلق وتبدأ الحياة؟ الأن مائة جنيه مصري كانت على كف عفريت؟ ألم يكن في وسعك أن تفرض للمشكلة أسوأ الفروض فتنام قرير العين عنها وعن كل المشتركين فيها؟..

وإذا كان لا بد من الكلام في الموضوع فإن القصة.. قصة المائة جنيه بدأت في الصيف الماضي.. كان هناك شيء يثير أعصابك إلى حد الهياج.. وهذا الشيء لا يزيد عن حرف من حروف الهجاء.. لعلّه صوت خافت من رجل يتجول بين الموائد.. وفي المماشي.. هادئاً لطيفاً.. لقد تذكرت.. إنه تكرار لا أكثر. لقد كنت تندفع إلى الشراء في كل دقيقتين تقريباً لتتخلص من إلحاح هذه الحركة المكهربة.. وقلت في نفسك وأنت تغلي.. أتراهم علماء نفس؟ كنت تعني هؤلاء الباعة.

ولقد كنت أتصور شعورك على حقيقته.. وفي الواقع أنه شيء مثير..

لكل مواطن الحساسية في باطن الإنسان.. وظاهره..

ورحت. وخطر لك أن تجرب هذه الطريقة على الورق.. كما طبقتها عليّ في تعاملنا اليومي.. وبدأت المشكلة في نفس الحرف مسبوقاً بأداة استفهام هي «هل.. س.. س.. س.. ـلمت المائة جنيه؟».. وعرفت من أول (رس.. س.. ـالة)، أنك تحاول أن تغيظني.. وفي الوقت ذاته.. عرفت أنك تنتهز فرصة تسديد المبلغ.. لتجعل من قصة حرصك على (تـ..س....س..س.. ـديد المبلغ).. مظهراً بليغاً من مظاهر أمانتك.. وتقديرك لأمرها.. تقديراً يندر مثاله في هذا الزمن. مضيت تشكر في الاستلام، وتمعن في السؤال.. برغم أن الأمر انتهى بمجرد أن إبراهيم صرح بأن المبلغ عنده.. وبأنه حوّله إلى المَهندس.. للصرف.. وبأنني استلمت.. وكتبت سنداً بالاستلام..

عد إلى رسالتي المطوية في مذكرات دوق وندسور.. تجد أن الأمر أوضح ولا يتقبل الشك.. لقد كنت في كل سطرين.. أقول لك.. فإني قد استلمت المبلغ.. ثم أعود فأقول.. ولا يفوتني أو أؤكد استلامي المبلغ.. وهكذا ـ على ما أذكر ـ حتى انتهت الرسالة وكانت مطولة.. لقد كانت هذه الطريقة نقداً لإلحاحك في (الا س.... تفهام.. عن الاسـ..تلام)..

وكنت لا أتوقع أن يأتيني جوابك.. (بنفس..س.. السـ.. ـؤال). وهكذا كان.. وأعطيتني أنت طريقة أخرى.. للبحث في الموضوع.. طريقة التشكك.. والتشكيك.. (والوسْ.. س.. وسه).. فذهبت أغيظك ولم يكن يدور في خلدي أنك جاد.. فأسلوبك ليس (أس.. ـسلوب جد)..

وأنت تعرف جيداً أن المزاح المكشوف.. لم يصبح الطريقة المثلى.. (ولا س.. ـسيما) عندما تزمن الصداقة بين رجلين.. فلا بد من سوقه.. مساحة الجد في التعبير.. أما المعنى.. فيظل مزاحاً.. أو مزاحاً أوضح..

كل شيء كنت مستعداً للتسليم باحتمال حدوثه.. إلاّ أن تكون جاداً.. وحتى في رسالتك الأخيرة لم أتبيَّنه وأحكم بصحته.. إلاّ بعد أن زارني الأخ محمود أبار.. وفتح باب البحث في الموضوع على مصراعيه.. مؤكداً باستعداده لدفع المبلغ.. وأريته خطابك.. وقرأه.. وضحكنا..

وبعد وجب الاعتذار إليك.. ووجب أن أردد لك كلمة صديقك «ديل» وأقول لك أترك القلق وأبدأ (التـ..س.. س.. ـديد!)..

وبمناسبة «ديل».. أذكر أني قرأت كلمة تشبه كلمته من بعض الوجوه.. قالها الحجاج عندما كان يشرف على بيع بعض أسلاب فارسية ليودع ثمنها في بيت المال.. وتم عرض صندوق محكم.. ففتحوه.. فوجدوا فيه صندوقاً محكماً.. ففتحوه.. فوجدوا صندوقاً محكماً.. وهموا بفتحه.. فقال: لا.. وازداد ـ في المزاد ـ شعور الفضول لما في الصندوق، ورأى أن يباع مقفلاً.. وصعدت حرارة المزاد.. وبيع كذا.. وكذا.. وذهب الشاري يفتحه.. فيجد.. صندوقاً.. داخل صندوق.. فسأل الحجاج سائل.. ماذا يقدّر أن يكون فيه.. فقال.. حماقة من الحماقات.. فحين فتح آخر الصناديق.. وجدوا بداخله ورقة فيها هذه العبارة «من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل»..

ألاّ ترى أن ديل قد حل المشكلة الإنسانية بنفس الأسلوب الذي حلت به مسألة «من أراد أن تطول لحيته؟».

بقي يا صديقي أن مشكلة المائة جنيه أخذت عليك كل السبيل.. أين أخبارك، وأخبار الوطن.. وأخبار عريف.. والبلاد السعودية.. والشركة ونكتة ترشيحي مراقباً عاماً للشركة التي أسفر غبارها عن انتخابي مراقباً في الدرجة الثانية؟ على أن ينسحب المنتخب الأول.. رافضاً..

وقد أخبرني المسؤول يوماً.. قبل سفره.. أن عزيز ضياء قد عاد إلى الداخلية وأنه سيدير قلم الإقامة.. أو مكتبها..

هناك خبر كنت أنتظره منك.. ولعلّك لم تفرض له الأهمية.. ولماذا لم تنتهز سفر الأبار لتبعث معه (جـ.. جـ.. راك؟) أم تدري من أمري أنني سأعود.. أم بدا لك رأي آخر؟ ثم ألم تجد أن ذلك بحق يحملك على طلب إجازة تقضي بها شهراً في القاهرة بحيث لا تدع في جيبك آخر مليم تملكه؟..

وتقبل تحياتي وإخلاصي،

أخوك حمزه شحاتة

أخطر الأصدقاء وشرورهم

أخي محمد عمر

نعم، لقد وردتني رسالتك الأولى، ولم يصدر الرد مني عليها حتى الآن.. وجاءتني تاليتها وفيها الدليل أيضاً على وفائك برغم ضعف الحفاظ مني.. وليس عندي ما أدفع به تهمة الإهمال والتراخي إلاّ أنني في هذه الطاحون التي يدعوها الاصطلاح مصر، وقد بلغ بي الإعياء أقصى حدوده ولم يبق لي من الجهد إلاّ ما أدور به مغمض العينين أو أتنقل.. وقد أعفاك ذلك من أن أردد على سمعك الكريم قديم شكواي وبثي، فأحمد الله على السلامة.

وعجبت لأنك لا تزال موفور النشاط في الإقبال على الحياة، هذا الإقبال الذي يزيده الحماس الدائم إعجازاً.. على وفرة العيال، وقلقلة الحال، وغموض المآل.. زادك الله صحة وقوة وأخذ بيدك في سبيل التوفيق، حتى تحقق أقصى ما تصبو إليه من الآمال في حياة طويلة، عريضة، زاخرة بأسباب السعادة والمسرة.

أما صديقك ديل، صاحب دع القلق.. وكيف تجتذب الأصدقاء، فإنه خليق منك بهذا التقدير.. وقد عرفت أن عريف حمل إليك خمس نسخ

من كتابه، فما حاجتك بكل هذا العدد؟ وعلمت أن عبد اللطيف جمجوم قدم إليك نسخاً أخرى منه، وهذا يشير إلى أن هناك طارئاً عقلياً يركبك أو تركبه. بعد أن قرأت ديل..

إن المسألة يا صديقي بالنسبة لي إني كنت أول من قرأ خلاصة وافية مترجمة عن الكتاب. ثم أول من قرأه بعد أن طبع، ثم أول من اقتناه بعد أن قرأه.. وكنت أيضاً أول من قرأ كتاب كيف تكتسب الأصدقاء عند صدوره.. وأنا إلى ذلك غير قلق على ما فات، ولا على ما يأتي، ولم أشعر قط بالعجز عن اجتذاب الأصدقاء واكتسابهم.. وكل ما في الأمر أني كنت ولا أزال وسأظل على الدوام متعباً من ممارسة الحياة على هذا النحو.. أما التصرف على قاعدة فرض أسوأ الاحتمالات فهذا شأني منذ انتهت بي التجارب إلى هذا المصير..

ولست بحاجة إلى من يقول لي إن شعوري بالتعب خطأ، بل إلى من يصف لي علاج هذه الحالة بغير الراحة التي أعرف أنها العلاج الطبيعي لها لولا أنها لا تتأتى..

أما أن الكون جميل.. وأن كل ما فيه مشرق مفعم بالمتعة، فدعوى لا تفتقر إلى دليل، بل هي صدى ما في نفس كل حي.. ولكن هذه الجهود التي تفني وتضعضع قدرتنا على الاحتمال ـ وهي: أي الجهود، ثمن الحياة الذي لا معدى عن أدائه ـ هي مصدر التعب لا القلق..

إن الموت وهو أكبر كارثة تنزل بالإنسان، لم يعد يشغل بال حي من الأحياء، لا باعتبار التسليم به كنتيجة لا محيص عنها أو منها، بل باعتباره ضرورة يستدعيها منطق الحياة ذاته..

وعلى هذا فأنا لست قلقاً على أخي، لأن قلقي لن يدفع مصيراً محتوماً.. ولكن تعبي من معاناة هٰذا الجزر والمد اليومي في حالته، وما يترتب عليهما من مضاعفة الجهد على متعب مكدود ـ هو الشيء الذي لا يعالجه ما يقول ديل..

لست خائفاً من الحياة، ولا على شيء فيها.. ولكن أنيني هو أنين المتعب يلتمس الراحة، والفرصة لها، ليقبل على الحياة إقبال ذي شعور مستقر..

ولقد ظلمتني عندما قذفت في وجهي بحقيقة أني ضد الإطراء، في رسالتك الأولى، فلو كنت كما تعتقد أو تظن لما نزلت أنت بجملتك وتفصيلك من نفسي ورأيي فيك هذه المنزلة.. وأنا لا أسلب الحياة ولا الناس محاسنها ومحاسنهم، ولكني أقرر حقيقة الطبع، والغريزة الإنسانية. ولا أخرج في هذا التقرير عن حقائق سجلها العلم، والعقل باستقرائهما.. وهذا لا يعني التقبيح، وإنما يعني التصحيح، وما زال العيش بالأوهام مطلب نفسي وعقلي وخيالي، ولكن أين هي الأوهام وقد استمر فيها الفناء والتلاشي؟..

إنك تُقبل على الطعام بالشهية، والشهية رمز القدرة على الهضم والاستخلاص. وشتان بين انصرافك عن طعام تعافه، وانصرافك عنه بفقدان الشهية.

فإذا كان من دلائل القدرة، والصحة، أن تأكل حتى ما تعافه النفس، فليس من دلائلهما أن تأكل على فقدان الشهية، والاستغناء..

وصديقك ديل بسيط الفكرة خفيفها.. فهو لا يعرف أن التفاؤل

والتشاؤم لا يغيران من الحقائق شيئاً سوى أن التفاؤل يعدل المزاج.. والناس يعرفون على الدوام ألوف الأسباب لتعديل أمزجتهم.. حتى بالوهم عندما تتاح أو تستعصي أسبابه..

التوتر ـ لا القلق ـ هو مرض الناس في هذا العصر.. والتوتر في حالتي ـ وأشباهها ـ منشؤه التعب، وتوارد أسباب الكد، والمتعب لا يشكو إلاّ متى آمن بأن هناك راحة ممكنة وإلاّ لانتفى سبب شكواه بفقدان ما يتطلبه ويأمله، بل بوجوده، وهل في الطبيعة الإنسانية أن تتشبث بمعدوم؟

والكلام هذا يطول ويثقل.. ويمكن الاقتصار على أن الناس أمزجة، أو أنهم أحاسيس، فبهذه الأحاسيس يتعب المتعب، ويرتاح المرتاح.. أفلا ترى رجلاً تقوم حوله الدنيا وتقعد، وهو موزون الخطو فيها؟ إنها ليست القدرة بقدر ما هي الإحساس والفهم والتلقي..

ولا أنكر أن مرد بعض حالات الشعور بالتعب، يعود إلى علّة عقلية أو إلى سبب من مرض.. ولكني قد تخلصت من هذه الزوائد.. ولم يبق إلاّ التعب (الصافي)، ولا بد أن يتوازن الجهد مع الطاقة يا صديقي ليكون الاحتمال ممكناً.. والحمّال الضليع يحمل أضعاف ما تحمل أنت في الوزن ولا يرزح أو ينوء فهل تُعاب أنت بأنك لا تحمل ما يحمل، على تساويكما في الجِرم ظاهراً.. إنها الطاقة العضلية.. وهذا الحمّال ينوء بما تؤديه أنت في ديوانك ويتضعضع به بنيانه الوثيق.. أيضاً.. وهو في منطق الوزن لا شيء..

إن ديل كارنيجي ـ إن كان اسمه هكذا ـ يعالج المشكلة بتركها، فكم من المشاكل تُطرح عن عوائق الناس بهذا (التعديل)؟.. أليست هناك

مشاكل تطرحها. .ولكنها لا تتركك. . وتركبك بلازم من المعاناة. . والمحاولة؟

ابنك المريض المتهافت. . عرفت من طول علاجك لمشكلة مرضه أن لا حل لها. . في وسعك أن تخرج مشكلته من دائرة حزنك وقلقك على مصيره. ولكن أين هو المصير؟ وكيف تخلص من عناء السهر عليه، وجهد العناية بأمره وبأمر هذا الوجود. . الملح عليك بحاجاته. . المتضاعفة؟. .

إنه كتاب ولا شك من أجود ما يقرأ قارئ ويقتني. . إنه ينهض بالعزيمة الخابية، ويجلو النظر الكابي، ويدغدغ النفس، ويحمل على الاسترخاء. . ولكنه لا يحل المشكلة، إلاّ بما تحلها به الخمرة. . والحشيش. إن بلغ هذا المبلغ وما أراه بالغه. . أفهذا كلام تشمله حقيقة أني ضد الإطراء؟

ليتني أفرغ لدراسة هذا الكتاب، أو ليته الآن أمامي، لآخذ منه وأعطيك.

أما كيف تكتسب الأصدقاء. . فهو خبطة من الخبطات الأمريكية. . خبطة موفقة، تصور لك الطرقات تحت الضوء الملون، والمكياج المتقن، أما ما تحت هذا ووراءه من حقائق الوجود، والنفس، والغريزة، والطبع، والاكتسابات الإنسانية المعقدة، فمتروك بجملته «للواقع» الذي لا حيلة فيه لديل. . ولغير ديل. . وعليك إذا أردت أن تشتري السعادة والبهجة من المتجر. . أن تضرب، وتتلقى الضربات في سكون طالما أن الأيدي في قفازات من الحرير الناعم. . فهذا هو كل قانون «اللعبة!» في العالم الحي.

لقد كان ديل خليقاً بأن يسمي كتابه كيف تتفادى خطر الأصدقاء وشرورهم، فإن كيف تكتسبهم أمر في غاية اليسر والسهولة. .

وبعد فما يطول الكلام إلاّ على هذا النحو.. وهو ليس سلباً لمحاسن الرجل أو الكتاب وجهدهما، في تعديل «الأمزجة» كما سيقع في اعتقادك على أرجح الظنون، ولكنه تحقيق لدعواك عنهما.. فقط! وما آمل أن أنجح في زحزحتك عن اعتقادك.. ولكني أقول ما يستوجبه القول عندما تسنح فرصة للثرثرة..

ولقد أردت أن أعالج حالة أخي، فأغريته بالكتاب، وأعجب هو به إعجاباً كإعجابك، وراح يعالج مشكلته النفسية، أو العقلية على أساس إيمانه به.. ونهض برغبته في النهوض، متشبثاً بالسلامة.. ولكنه تعثر بعامل التضعضع. إنه متعب تحت ثقل يؤوده.. ولكنه ثقل ملازم، لا ينزاح إلاّ بالطرح.. والطرح هنا البتر.. وما زال مجال الجراحة، الجسد، لا الدم، ولا النفس، ولا العقل..

ادع إلى الله يا صديقي أن يردّ الطمأنينة إلى النفوس بالإيمان، والصحة إليها بالعبادة والإذعان، وأن يزيل الكدّ وأسبابه من شتى المتاعب، بالتوفيق والعون منه. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ودمت.

أخوك حمزة شحاتة

سنة «الفِتَــــاق»

أخي محمد عمر

نعم يا صديقي، أنا مريض، ولم أبرح البيت خلال مرضي إلاّ مرات معدودات.. كنت أتحامل فيها على نفسي لباعث قاهر، فأعود أسوأ حالاً.. وهكذا حتى تعذرت مهادنة آلام المرض على طول السكون..

لقد دعاني والأخ عمر رفيع، للغداء عنده، الشيخ إبراهيم السليمان.. وكنّا حتى ذلك الوقت دائمي التعقيب له في البيت، وفي المفوضية، وإن ندر أن نلتقي به.

رأى هو أن يدعونا.. ولم يكن بد من القبول.. وأكلنا شاكرين.. ولم نلتق حتى اليوم..

وجاء الزائر الكريم واقتضى الأمر أن أتحامل.. وخشيت أن لا يعلم الشيخ إبراهيم من مرضي شيئاً.. فذهبت إلى زيارته بداره في اليوم السابق.. وكان كالمعتاد قد تغدى ونام.. أو هكذا كان يقال لنا.. وكانت مشاوير حامية لا تبردها ـ في بعض الأحيان ـ إلاّ حرارة «العدّاد».

ورأيت الزائر الكريم لمحاً وهو يجتاز صالة سميراميس، وقبّلتُ جبهته بعد أن أخذ الألم من «عصعصي» ما أخذ فمضيت أطوي الطريق في غمار

الطاوين، حتى أُغلقت غرفته.. وراءه.. وكأن هذا لم يكن شيئاً منتظراً فوجم الناس ووجمت فقد يكون الباعث يستوجب الوجوم.. وإذا بطلعة الشيخ إبراهيم وصوته ينطلقان في كياني فأقبلت عليه أتعلق بما واتاني منه، وإذا به يدفعني وفي صوته رنة التوبيخ. ولم يفتني أن أضع كفي مشرعة الأصابع على جبيني.. وأن أمثل حيرة من لم يهتد إلى الزائر بعد، حتى أخذ الشيخ.. يدي، ووضعها على ما ظننت أنه كتف الزائر.. وأنا أقول.. الظُّلمة.. الظُّلمة..

لقد أطلت.. وما أردت إلاّ أن أريك كيف ترسم مقدرات الحظوظ، صور الرجال في عيون الرجال..

صورة مهزوزة في ضوء غير كافٍ.. أو في ضوء يتعدى حدود الكفاية التي يتزن بها الغرض.. هذه هي صورتي تحت عين الشيخ.. وفي كل الظروف.. والملابسات. وفي ليلة أخرى سابقة.. قديمة، أصرّ عريف على أن نلقى الشيخ.. وذهبنا.. أخي وعريف والمنديلي وأنا.. وكان الشيخ متدفقاً، فأصغيت، وأحسست به يتحدى، لأن حديثه كان لوماً صريحاً لمن يعرف الحق ولا يذب عنه، أو يؤلب له، أو يدعو إليه. ورأيتني محاصراً فقلت كلمة حارة في الحرية ولزومها. وأنها أساس البناء، وأساس العزة المفتقدة.. وشعرت بعد قليل بأن المجلس قد انقبض.. وأن ريح الحديث والحركة ركدت ركودها.. فتجمعت، ولممت أطرافي، ونظرت إلى عين الشيخ لأستأذن.. فإذا بها تستأذنني في الانصراف.. وشعرت بكلمة يا لك من بسيط! يقولها الشيخ بكل شيء فيه إلاّ لسانه.. أكُلُّ هذا يقال؟...

إنها صور مهزوزة لا شك.

أما مائة الجنيه التي أردت أن تضرب مثلاً من نبوّة الوفاء على حساب أدائها، فقد وصلت.. استلمتها عداً ونقداً، من الأخ المهندس، واستكتبت بها إيصالاً أُمليت عليَّ ألفاظه إملاءً خاصاً يلخص قصة المائة الجنيه منذ كانت ملكاً خالصاً لي.

ولقد هالني ما رأيت على وجه الزائر من تهجم وخمود، وقلت لعلّه اختصني بهذه السيماء دون غيري.. أفما كان الجميع يظنونه متهلل الأسارير؟ وذهبت ألتمس الأسباب في هذا الانقباض، وأستعرض العلل.. فكان أن انتفى كل شيء تحت محاكمات العقل.. ولم تبق إلاّ احتمالات صبيانية أخشى أن يصح أنها السبب..

أما كتاب اليوم، فهو مذكرات ملك إنجلترا المتنازل عن عرشه لأجل حبيبته مسز لامبسون أو سامبسون.. لا أذكر.

وأظن أنك كنت قد قرأتها منشورة بأخبار اليوم، أو بآخر ساعة، أو بهما معاً فإن طريقة الأخوين أمين لا تختلف عن ذلك كثيراً..

ومع هذا فسأبعث إليك نسخة بالبريد الجوي صباح الأحد وهو اليوم الذي تصدر فيه المذكرات إن أمكن الحصول عليها، فإنه قد بلغني أن المطبوع منها لن يزيد عن ٥٠٠ نسخة ستوزع على موظفي أخبار اليوم وآخر ساعة، ولحظة. لتعاد الحكاية عند نفاد النسخ أو إلحاح ملايين القرّاء في إعادة طبعتها.. فإن صح هذا فإلى اللقاء في الطبعة الثانية الأولى.

أعتقد أنه لا بد من التوكيد بأنني قد استلمت المبلغ (إياه) من الشيخ إبراهيم.. وبهذه المناسبة ينبغي أن أقول إنك أول إنسان عرفته، يعنيه أداء ما عليه بنفس الحرارة التي يعنيه بها أمر حاله..

وإذا صح أن توضع هذه الحقيقة في قالب عصري فسيكون «ليس في الدنيا سوى مغفلين، ذلك الذي يقرض نقوده، والذي يرد ما اقترض».

أنا الآن في دور النقاهة وقد أستطيع الخروج بعد أسبوع بإذن الله.

وأخي محمد نور بخير ونشاطه للحركة في ازدياد بطيء جداً.

عيالي بخير أيضاً. وأرجو لك ولأسرتك وعيالك الصحة والسعادة.

لا صحة لما بلغك عن ترشيحي لمراقبة الشركة.. إنما هي إشاعات يقصد بها التهديد من بعض المسؤولين لبعض، فتكون أساساً للتفاهم..

كم أود أن أعود ولكن مشيئة الله هي الغالبة وقبل أن أختم رسالتي أرى من المستحسن أن أشير إلى وصول المبلغ المحوَّل مع الشيخ إبراهيم، وإذا لم يكن من المعقول أن لا أكون قد استلَمته حتى الآن، فلا بد من الاعتراف باستلامه مع التحفظ بجواز سحب هذا الاعتراف وتعديله متى اتضحت حقائق أخرى تنافي الاستلام أو حتى الوصول.

الصيف في مصر له بشائر بهيجة. وهذه سنةُ الفِتَاق فقد أُجيز به عدة موظفين، فلماذا لا ترى مصر على ضوء ما أفدته من تجارب في سنة «البواسير»؟ شكراً، إلى اللقاء.

المخلص حمزة شحاتة

خوارق العادات

أخي محمد عمر

لا أدري ألك عندي رسالة أو رسالتان. ولكن الذي أدريه أن الجواب سيكون عليها أو عليهما في هذه.. وهي التي أرجو أن يكون ردك عليها سريعاً.. لتدفع عني خطر الوسواس الذي أصبت به في موضوع المائة جنيه، هل سدّدت أم لم تسدّد. والأمر كما ترى مهم بالنسبة لي على الأقل. أما أنت فربما كان في وسعك أن تتركني مهبة الشك في أمري وتنام قرير العين. لقد أختلط عليّ الأمر، وتداخلت الملابسات وراحت الدنيا ترقص في عيني رقصة الشيطان ـ إن كنت تعرفها ـ وصرت كالإنسان الذي حبس في مكمن «البراغيث» متسلطة على جسده من كل جانب.. فكل سؤال من الأسئلة التي يوردها وهم الشك والوسواس عليَّ، يشبه «برغوثاً ذكراً» لا يشعرني بوقعه إلاّ حر لدغته وشرّ ما في الأمر أني عندما ألححت على المسؤول بزياراتي بدأت أشعر بالضيق في وجهه وكل ما يأخذني ـ أو آخذه منه ـ حتى أطراف أصابعه ـ والله ـ أرى منها انقباضاً وتقلصاً، ورجفة غاضبة.. وفهمت من مساعده إلغاء التعقيب على المسؤول بخصوصها. وهكذا أعود عليك بالمطالبة.. فإذا كان أحد يزعم أنه أعطاني فعليه أن يثبت.. وهناك أسئلة جديدة: أتراني أخذت المبلغ بإيصال استلام؟ أو

بدونه؟ وهل كتبت إيصالاً بالفعل؟ ومن مألوف عادتي أن لا أنسى «إيصالاً أكتبه».

ولقد وجدت في أسلوب علاجك للمسألة، ما يحمل على أن في الأمر مزحة.. وهذا إذا صح ـ وما له لا يصح ـ فإنها تكون مزحة ثقيلة على مزاجي كادت تفضي بي إلى الجنون على أنني الآن في ما يشبهه وقد تؤدي إليه.

والآن يرحمك الله. إنه بعد وقبل، قرض لم يجدِ مغنماً من مغانم الدنيا..

فلقد كانت تعوزني اللقمة أمسك بها رمقي في دارك، وعلى تشبثك الجائر ببقائي، فلا أنالها إلاّ بأن أشتري، وأعالج، وأطبخ، وأقضي حاجة الملتفّين حولي من الملتفّين حولك، وإلاّ بعد أن أخوض عباباً من صنوف الأذى وجرائر لها تنخع ما في عظمي.. وماذا بعد ذلك إلاّ أنني احتملت المخاطرة على حسبان عدم سداد في هذا الزمن المرير الذي يعرف ناسه عن الدين أنه فضلة تفيض عن حاجة المتطوع به.. أو حماقة ينبغي أن يعاقب صاحبها بهذا التأديب الصامت.. وبهذا الجري وراء خلق الله عشرات المرات في الهرم والمفوضية وسميراميس وباحتمال ما يبدو من انقباضهم، وفي هاته الجفوة التي تُبذل بسخاء بالغ، لكل من تبغض حقاً..

وعندك بهذا الكلام دلالة على ما ينصب في نفسي من مرارة وألم..

أفلم أكن خليقاً بأن أعفى من كل ذلك لحرمة ودي عليك إن كانت لمثل هذا الود حرمة عندك؟ أو لسابقة العارفة وخلوصها من الغايات؟

وبعد فما أود أن يجري الكلام هذا المجرى، وأن من الحزم أن يقتصر

على لب الموضوع، واللب هو هذه «المائة» التي ما زالت حائرة حتى لتوشك أن تنقلب ذاتها إلى علامة استفهام بعد أن كانت كمية تمثلها ثلاثة أرقام.. والأمر ـ لا شك ـ خليق بالجد من جانبك..ولولا حرصي على أن يزداد الأمر بإطالة الكلام فيه على هذا النحو، أشكالاً، لسمحت بمئات من الأسئلة التي تؤدي كلها معنى الشك فيك على ادعاء السداد. ولكنك لم تدعيه.. وهذا يبعث الاطمئنان بعض الشيء إلى نفسي. ولم يبق إذن إلاّ أن يخبر الله لك في التعجيل بسداده على شريطة أن يجيئني بطريق «بنك» فهذا أصون لجهدي وكرامتي من الجري وراء عباد الله.

وإني لفي انتظار ما يسفر عنه هذا الاختبار لمروءتك بعدما ورد عليّ من موصول الأذى. ويحسبك ما تعرضت له من المتاعب في سبيل مطاردتي لهذا الوهم الذي صنعت منه حقيقة حتى شاء الله له الفضيحة.

عبد اللطيف جمجوم غارق إلى ما فوق أذنيه في التهيؤ للاختبار.. وهو يرفض أن يسترد من «حلمي» هذه القمصان التي استحالت عليه أخلاقاً بالية من طول الإستعمال.. أو من سوئه.. فماذا تقول؟

علمت أن المسؤول سيغادر مصر يوم الأحد، واليوم هو الأربعاء. إن كان لا بد من أقول شيئاً بهذه المناسبة، فهو أني قد فقدت وجودي كآدمي ذي وزن في نفسه ورأيه وتقديره.. وما يحزنني ذلك ولكن يحزنني فشل مسعاك في أن يحدث عكس هذا.. ولكن المشيئة لله وحده.

لقد عقد لي المسؤول امتحاناً عقلياً لم أحصل فيه إلاّ على الهزيمة المنكرة.. الصارخة.. وقد أعداني بانقلاب رأيه فيّ، فغدا رأيي في نفسي أنني لم أعد أصلح لشيء مما يصلح له الناس.. فقد أبدلني الله بعقلي

الطبيعي «لولباً» يزداد في كل يوم «طيّة» والأمر يتعذر على الإصلاح بلا ريب، وهذا أسوأ ما فيه.. ولكن لله خوارق العادات، وجميل الستر.. فلو شاء لي النجح لجعل من هذه «اللولبية» في رأي المسؤول وغيره شيئاً يروق ويحرك الإعجاب.. أو ربما أثار الدهشة.. وما أرضى أن تحجب نصحك لي عني فأنا بحاجة إليه.. وفي هذا الظرف على الأخص.

هل عندك لي أخبار.. وفي هذا الظرف الأخص.

هل عندك لي أخبار.. أخبار من أي نوع؟ فأنا في حاجة إليها وهل وصلك كتاب «ملك إنجلترا السابق وعشيقته». إنك لم تنبئ بوصوله،وهذه طريقة لا تريح.

سلامي إلى الإخوان زيدان وياسين وعريف. وإلى اللقاء.

أخوك حمزه شحاتة

الواقع المرير

أخي محمد عمر

لقد غدوت أبرع الناس في التحدث عن نفسك.. فأنت تقول عنها، ما يقول الغني المحدود عن ثروة لا يأتي على آخر أعبائها الإحصاء.. وكأني بك تغمض عينيك صنيع من تتكاثر في رأسه المعاني وتتدافع، ليتفرغ للانتقاء والاختيار.. وقد بلغت بي في هذا حداً حملت به أثقل الأعباء.. فلو كنت تتحدث إليّ عن دنيا تزخر بما لا تزخر به دنيانا الوسيعة المترامية لما لقيت عقب بعد ما مضى من أمامك ما لا يقول!.. فهل قضي عليّ أن أُبلي عمري، أو ما بقي لي منه في الإصغاء إلى ما يختفي وراء جلدك، من أحاسيس متفجرة، لا تصاب بثقوب ولا يشارف حدودها الفناء.. ولا يبيح لها النقص بصفحته البغيضة؟..

وأنت تشيب بالصمت في دنيا معانيك، التي تكون طبيعة الأحياء فيها الاجترار الهادئ.. ويلنا لو كانت دنياك هذه، دنيا صخب وإعلان وكلام. أَفَلَسْتَ تقضي عليّ وحدي بأن أُغطّي في حميمها، لأني ما أزال المخلوق الوحيد فيها، وبهذا حقّت اللعنة عليّ.

وقد قلت عن الشعر الحزين ما شاءت لك معاني دنياك.. وفي الدنيا

الشعر الطروب، فهل يقال أن الطرب والمرح في الحياة زيف تطروه العقول المفيقة، لأن الحزن في الحياة هو حقيقتها.

وقلت.. لقد فات هؤلاء ـ الحزانى ـ أن يسعدوا على نحْو ما يسعد الأحياء، ولذلك جاءوا أشقياء من طراز شاذ، وكأن حقك أن تقول فجاءوا سعداء من طراز شاذ..

وأقول أنا.. إن التعبير عن خوالج النفس منذ صار فناً بيانياً ـ صحبته المبالغة وأثقله التهويل.. لذلك كان الشعر تهويلاً لمعاني الويل، وتهويلاً لمعاني المسرَّة.. ولا شك أن الإنسان يحسّ أقل مما يزعم، وأقل مما يقول.. ولا شيء في باطن النفس أو الفِكر تعجز اللغة ـ أية لغة ـ عن الإفصاح عنه..

وقد يكذب على الأنثى أول ما تحمل.. حسُها، فتحس أن في بطنها جبلاً لا جنيناً.. فإذا ولدته جنيناً، فهذا تعبيرها العملي عما كانت تحس.. أفتراها تقول أن بقيته الكبرى.. ما تزال تمور وتضطرب في أحشائها..؟ وهَبْهَا قالت ذاك، أفتكون عندنا صادقة؟.

فالحزن يا صديقي، ومواجع النفس، حَمْلٌ بمواليد كالجبال.. ولكن الوضع وحده يجعل الجبل فأرة بعد المخاض.. وقد يكون التعبير أكبر من المصيبة، ولكن لن يكون أقل منها، إلاّ عندما تكون المقدرة على الكلام والتصوير حقيقة عاجزة..

وقد قلت عن النفوس السائمة كلاماً ما رأيت مثله مواءمة لمنطق العقل.. فالحياة لا تلد حياة بالحركة الدائبة والصور المتعاقبة المتغايرة، ولهذا كانت باريس ونيويورك أشغل للذهن والنفس من جدة، والطائف

مثلاً، لكثرة ما يتوارد فيها من الصور المتباينة.. ولكنك جعلت المقارنة.. مقارنة بين القليل والكثير.. مع أن كيفية الكثير لا تختلف عن كيفية القليل بنسبة الفرق بين الكميتين.. فالاثنان ضعف الواحد.. ولكن المليونين، ضعف المليون عدداً والكيفية عند المقارنة بين اثنين.. ومليونين، تختلف اختلافاً كبيراً لا تستوي به المقارنة الصماء، إلاّ كما تستوي المقارنة بين جدة ونيويورك.. في ميزان المزاج السائم في فترة سأمه وبثّه..

أما مصر فبلاد لا يخشى السأم فيها الشاب إلى أن يشيخ، ولا الشيخ إلى أن يفنى، ولا الفاني ـ إن كان يحس ـ إلى أن يبعث.. لا لأن الصور فيها تفوق العدد والحصر.. ولكن لأن لكل صورة فيها نسلاً ولوداً لا يكفي لاستيعابه العمر المحدود.. وحسبك ببلاد يتغير كل ما فيها عندما يأتي المساء، تغييرات تختلف نسب الذكورة فيها وصورها ونغماتها، وإشاراتها،وحركاتها، حتى يلوح الفجر.. فإذا لاح.. كانت الذكورة التي تدعو إلى نفسها برجولة تتدلل.. وتلين.. وتميع، حتى ما يقوم الفارق بين الجنسين إلاّ بالثياب.. أو بغلظ الرنة في الصوت.. أو بالشعر في الوجه.. وقلما تراه، وهذه صورة من صور النسل الولود.. هي واحدة من ملايين».

والضحك في غير مصر ضحك يعبر عن مسرّة القلب الطافحة.. ولكنه في مصر فلسفة تسخر بالحياة.. والواقع والعمل..

والجمال فيها جمال لا يتخطى أشباهه ونظائره حيث تكون في هذه الدنيا العريضة. ولكنه مع هذا جمال يتفلسف في نفسه وفيك، فلسفة تحبّبه إليك.. لأنها تدعوك إلى أن تشاركها السخر بالحياة لحظة.. كأن اللقاء بين

الجنسين اجتماع لا غاية وراءه إلاّ قضاء الوقت في مسرة.. وليكن بعد ما يكون.

والجهل في مصر، جهل مستنير، تعجب له عجبك.. والمآتم مآتم ضاحكة، فما رأيت جنازة قط إلاّ وأمامها فرقة موسيقية تعزف نغمات لا معنى للحزن والاكتئاب فيها إلاّ أنها تسير وتنطلق أمام نعش محمول.. والنعش بعد مزخرف موشّى وعليه ـ في موضع الرأس ـ طربوش فوق حامل من الخشب.. فإذا اهتز النعش بحركة حامليه، اهتز الحامل، فاهتز الطربوش.. فكأنك تسير في عرس..

والحركة في مصر حركة حياة تتدفق وتفيض.. ففي كل نفس مصري معنى من فيضان نيلها.. وحسبك أن المصري لا يُقبل على العمل إلاّ لأن المال يساعده على هذه الحركة.. ولقد كنت أعجب كيف تصدر الصحف والمجلات في مواعيدها، وقبل مواعيدها.. بيوم، وأيام.. حتى عرفت أن الأدباء في مصر أقل الناس اتصالاً بحياة مصر التي تستغرق النفوس والأفكار.. بأنهم أقل حيوية جنسية.. فهم أقل حركة..

ونسبة النساء في مصر أكبر من نسبة الرجال، ولو اعتبرت صفات الأنوثة ومميزاتها وخصائصها لداخلك الشك في أن لعنصر الرجولة وجوداً فيها.. فما تشرق الشمس إلاّ على هذا النحل خفيف الحركة رشيقها، جاد الخطوات.. يقول لك كل شيء فيه اتبعني.. ينتشر على سطح القاهرة، وفي أخفى زواياها، انتشار النمل، عندما تداس قراه.. انتشاراً تمثل حركته، الذعر والقلق، والاشتغال بشأن الحياة الأكبر.. البقاء.. النفس. وبشؤون الحياة الأخرى.. العمل.. والواجب، المسرة، بواعث الجنس..

وفي بواعث الجنس، يختفي مطلب مصر الأول.. العيش.. فالعيش فيها قاسٍ ما يرحم.. كل شيءٍ يدعو المرأة ويناديها من وراء زجاج المعارض.. الملابس.. أدوات الزينة.. وسائل التجميل.. أسباب اللهو.. ألوان الأكل والأشربة.. فهي تتقبل الدعوة.. لتشبع.. لأنها تجوع بألف معنى للجوع.. ملء البطن بالطعام أقلها شأناً..

ووراء مصر المكشوفة للعيان، مصر أخرى.. لا تتكشف لغير ذوي قرباها.. مصر تعمرها المرأة وحدها.. ولكن المرأة المتعلمة الجديدة.. التي تلقاك بمعنى الحديد، وبمعنى الشمع في آن.. والتي تقول لك عيناها.. أيها الرجل! إن مركز المرأة في مصر حرج، فلا تزده حرجاً.. ولكنها مع هذا تستجيب إن واتتك الفرصة بعد أن تروق في نفسك، بموضع العقيدة التي لا تقبل شكاً.. فتروح وأنت تقسم، بأنها لم تكن تستجيب لغيرك.. ولو كان هذا الغير فاروق مصر.. وتغدو وقد عرفت أن للفضيلة معنى صحيحاً هو الذي عرفته.. وجمال المصرية شمعي كنفسها، يذوّب ما لامسته أنفاسك، ولكنه يبقى بودّه، وحنانه.. ومرحه وطربه.. وطبيعته الرشيقة.. وبأنه مصري.. ويغالب الفناء..

وصوت المصرية.. وكلامها.. فتنة من فتن الخلود.. لا أظن الدنيا تلقاك بمثلها.. من فم الباريسية تخطر بين عشاقها..

إن من يريد أن يؤرخ للحياة من مصر، فليؤرخ لنسائها دون رجالها، فالرجل في مصر، دون الرجال في الدنيا، بطبيعة الذكورة، وبخصائص الفكر.. ولمحة الذكاء، وبسطة العلم.. وبأن قوى الأنوثة فيها تطغى على قوى الرجولة فيه..

وإنك لدى الأنوثة الغربية، وفيها من آثار التعقل وتعقيده، والرجولة وجفائها، ما يفسد معناها ويشوهه.. ولكنك ترى أنوثة المصرية طرازاً أصيلاً من الأنوثة بمعناها البشري كاملاً.. حتى المتعلمة التي تقلد جنسها العربي.. تخونها طبيعتها.. فلا تكون إلاّ مصرية بجملتها وتفاصيلها، على رغم أنف المقاومة والأفكار..

والحرية الشخصية في مصر ـ وحرية الكلام فيها ـ شيء ليس بعده غاية لمستنير.. فالناس كلهم، يأكلون في الشوارع سائرين وواقفين، ويضحكون، ويتبادلون النكات.. حتى نكات الجنس.. والجنسان سواء في هذا..

والرجل في مصر، أفسد الناس في فهمه للمرأة، واحتكاكه بها.. وأنه يجدر بك أن ترى علاقة المصري بالأنثى ـ أي أنثى ـ تقوم جداً وهزلاً، وقصداً واعتباطاً، على أن المرأة غانية بفطرتها. على قلة ما يلقى الرجال من الاستجابة، ومبررات هذا الفهم..

والمعارك بين الجنسين تدور ليلاً ونهاراً حيث يكثر الاحتكاك.. وهي معارك لا يخجل الرجل بالهزيمة الدائمة فيها..

والرجولة في مصر منتهكة الحرمة عند النساء.. فقد تسمع أنثى تقول لرجل.. هو أنت راجل، يا بكلاه يا بن الكلب.. يا دم.. بتحسب نفسك خفيف.. اتلهي على شيبتك.. و.. يا واد.. أوه.. أنت عاوز لك جوز.. أو أنتو شباب.. دنتو ستات بشوارب.. أو... أنت علق ناقصاك الرخصة يا صايع..

وقد سخر المصريون ـ تجاه النساء.. سواء في تقدير أسوأ القيم لكرامة

الرجولة وحيائها.. وأنك لترى المطربة «المودرن».. تحتمل غزل الشاب من بعيد وتجرّه خلفها من شارع إلى آخر.. وهو يزداد طمعاً فيها.. حتى تطأ عتبة بيتها.. فتومئ له إيماءة القبول.. فينطلق وراءها إلى الدور الثالث أو الرابع.. ثم تقفل باب «شقتها» في وجهه.. ببصقة أو بكلمة كالبصقة.. فيروح وهو أشد طمعاً فيها مما بدأ..

وقد رأيت كيف تضرب المرأة رجلاً بنعلها وعلى مشهد من الناس، في منظر خاطف.. وكيف تحتمي بالبوليس منه.. إذا أطال مطاردتها.. وكيف يزوغ الرجل وثباً وجرياً إذا أنس الخطر.. وهو يشاطر الضاحكين عليه ضحكهم في مسرة ظاهرة..

وكنت ـ كالناس هنا ـ أسيء فهم مصر، وأسيء الحكم على نسائها.. حتى عرفت الواقع.

وصحيح أن مصر كثيرة الضحايا.. ولكنها الكثرة التي تجعلها ضخامة التكاثف العمراني بنسبة معقولة.. أفترى لو تناولنا رذائلنا بالإحصاء.. على غلظ الجميع، وشدة الرقابة، وفظاعة العقاب، ماذا كانت تكون النسبة؟..

قد تعيب على مصر سفور النساء فيها.. ولكن المصلح الاجتماعي يراه ضرورة، فلكل شيء في الدنيا عيوبه ومزاياه.. فقد أدى الحجاب عندنا إلى بوار النساء بواراً أظنه نهائياً ولو كان هذا السائد بين إناث لهن طبيعة الملائكة، لأدى إلى فساد الجنسين.

وليقل قائل أن نسبة فساد السيدات بيننا أقل من نسبتها في أية ناحية من الدنيا.. فما يكون هذا صحيحاً إلاّ بأن نضيف هذا الرقم الضخم من إناثنا الذكور إلى سابقه.. ليكون الحكم أوفى إلى الصحة والعدل..

وبعد فما تحدثت إليك عن مصر حديثاً يتم به معناها في نفسك، كما عرفت.. لكني أجملت الكلام عما تهيأ لي ذكره، مشوشاً، مضطرباً، وحسبك هذه اللمحات. وإلى فرصة أخرى.

أخوك حمزة شحاتة

سخطي على الدنيا

أخي محمد عمر

فرغت من رسالتي إلى المسؤول الآن.. وها أنا أبدأ كلمتي إليك..

ستقرأ رسالتي.. وستحتفظ بصورة لها عندك إن رأيت فيها شيئاً ينبغي أن يدخر إلى أن يحين أوان المحاسبة عليه، أو المناقشة فيه.. أو التجريح به..

وسيهولك أني لا أعرف ماذا أقول في موقف كهذا.. فكان حقاً أن أسألك الهداية جاداً لا هازلاً.. أرأيت أني استعرت حتى كلماتك في استفتاح الغرض؟..

ماذا كان في رسالتي الأولى مما يثير ويحرك، سوى أنني غدوت «غسّالة ذكراً» كما قال العرب.. حيّة ذكراً..؟

ألاّ ترى أن من دلائل الإدبار المجنَّح أن يسكت المسؤول فلا يجيب، ويكون الخسران بكشف العورة لغير راغب امتحاناً عسيراً لآخر بقايا الكرامة في نفس صاحبها؟

تشاؤم.. نعم إنه كذلك.. وإنه العالم البصير الذي يندر أن تخيب له فراسة أو يسقط حكم..

إن متاعي مُعَدّ من أول أيام رمضان، والنية معقودة على أن أطيف بك في الطايف على أن لا تكون إلمامة عجلى.. فلقد أخلق جسمي هذا القيام المتصل بآلاف الشؤون الصغار التي لا أقل منها لتأليف نسيج الحياة لفرد منقطع.

وكانت الرحمة بك تأخذني كلما هممت بأن آتيك ممسياً أو مصبحاً.. وكان الخوف من سوء المصير، أو عثرة السوء، للعلاقة بيننا، من دواعي التردد.. فالذي أعرفه بالتجربة أن ابن آدم أثقل ما في الوجود إن ثقل.. وأخف ما فيه إن خف.. وأنت لا تلقاني وحدك فيخف محملي عليك.. وإنما يلقاني من خلفك بيت فيه زوجة تعمل.. وعيال يطلبون.. والمنزل بمسؤولياته.. كميدان الحرب بخطوطه.. لا بد أن تقصر لتتماسك الحركة بهذا القصر في الخطوط.. والضيف المفتوح النفس مثلي شيء تطول به الخطوط، وتنفرج المسافة.. بينها.. ويزيد عدد المسؤوليات.. فيشيع الانقباض في جو البيت من الداخل.. أو يشيع الشعور بطول «المنزل!» عدا «عرضه!» فربما أعداك الشعور بعدواه، أو ساءك سوء وقعه في نفسك، لما تجد لضيفك عندك من هوى قديم أو حديث يجهل تأثيره «الداخل» فتضيق مساحة بشاشتك بهذا العامل.. فأظنها علامة الضجرة.. وفاتحة الأدبار، فأنكمش.. فيأخذك انكماشي بمثله.. فإذا بنا في ظل حالة من المسايرة بين عاقلين يكاد كلاهما أن يصيح بالآخر في كل لحظة: أأنت مجنون؟

ويجيء دور الشعور بهذا.. فأتهيأ للمفارقة.. كارهاً لما اعتدت من لين العيش ورقته وتوفر الجهد في منزلك ـ أو معرضاً بها.. فأرى أنك تتلقى الحركة بارتياح الراغب في التعجّل.. فأتهمك باللؤم، أو أتهم نفسي

بالإفراط في الأثقال.. وأشعر بالجرح يثير فيَّ جراحاً قديمة نائمة.. فيتجدد سخطي على الدنيا.. وناسها.. وترى معي أن الأمر على هذا النحو خليق بأن يتقي شره.. وتدفع جوانحه.. وإن كنت لا أقصد بهذا إلاّ استبراءك واستفزاز حماستك في الإصرار على الدعوة.. وتوكيدها..

أبرقت ـ غير مرعد! ـ إلى المسؤول، مهنئاً بما دعوته سلامة العودة، وتجديداً لعهد الولاء والإخلاص.. ولم أتلق رداً.. فانقبضت.. وتلقيت الركبان بألوف الاحتمالات التي تَمُتُّ إلى السوء ولو بأوهى سبب..

وقضيت يومي وليلتي صاعداً هابطاً على هذه الوعور المسنونة.. حتى بدأ الأمر يهون في نفسي هوانه.. فقلت لقد كنت المخطئ بالبادرة.. فلم يبق في الأمر إلاّ ما فاتني من وضوح علاقة الرضا أو ورودها.. وليس في هذا الفوات ما يؤكد الموجدة، أو يستوجب ضرورة وجودها.. وهكذا استطعت أن أميل بالأمر عن مسقط نظري، أو أدفعه إلى حين..

إلى اللقاء يا صديقي وشكراً..

أخوك حمزة شحاتة

رجـــل مقطــوع

أخي محمد عمر

أشكر لك إلحاحك عليَّ بالدعوة إلى الانتقال إلى الطائف ضيفاً على منزلك العامر.. لقد كنت مقرراً الانتقال أول أيام رمضان تفادياً للمتاعب التي ألقاها «كرجل مقطوع»!.. في جدة.. برغم أن عشرة عوائق على الأقل.. عوائق صديقة.. ما تزال منذ هبطتها تشترك في تشكيل خط حياتي هنا.

لقد اضطررت بعد «عناد» طال وامتد على غير جدوى أن أكنس يومياً الغرفة الكبيرة بعد أن غدت غرفة نومي.. والجلوس.. والغرفة التي هي صالة التوزيع، والممر الضخم.. والحمام.. وبيت الأدب.. الرفيع! والمطبخ.

واضطررت أمس لغسل ٢٧ قطعة ملابس لأنها بقيت منقوعة في الماء (٣٦) ساعة في انتظار.. مدام دي باري التي تنازلت وشرفتني بالوعد بقبول غسلها..

وأنا أعيش بلا خادم ما يقرب من خمسة عشر يوماً بالرغم من أني تلقيت في هذه المدة اثني عشر خادماً قدموا إليّ على أنهم ملائكة أضلوا سبيل العودة إلى السماء.. ولم يكن الخادم منهم يستقر أكثر من الوقت الكافي لتناول الفطار والسحور.. طعاماً.. أو ثمناً.. وخدمة استقبال

وترحيب ومحاسنة مني.. حتى كان الله قد اختار لي في أن أكون «مزلقان» الهداية لهم إلى طريق السماء مرة أخرى.. على أنهم من ملائكتها..

والحياة هنا لا تعد حياة إلاّ على المجاز.. أما هي بالنسبة لي فمجهود متصل لاستبقاء النفس.. لا حرصاً على البقاء. ولكن خوفاً من هول العدم في صورة مشقاته المتخيلة..

وجاء صاحب الشأن.. وكنت محلول الظهر فتثاقلت عن لقائه إلى الصباح.. فالمساء في اليوم التالي.. وحمل النذير نبأ وجودي.. فظللت حتى وقفت وتكلمت مرة أخرى.. فقيل لي إنه يتهيأ للنوم ـ وكانت «الرابعة».. وأن من الملائم أن أجيء غداً في الثانية والنصف ليلاً.. وتثاقلت لما نزل بي من جهة الغسل والنشر والصوم وجحيم النهار.. فعلمت من العابرين.. أنه عاد إلى الطائف صباحاً.. فحمدت الله على الثقل!

أما وأنت ما تزال وطيد الأمل في أرض.. المعاد.. فما عليك إلاّ أن تكتب لي صورة ما تريد أن أقوله.. فوالله أنني لم أستطع أن أهتدي إلى شيء مقبول أو معقول.. وأخشى أن تظهر عثرة من عثرات التعبير بوجود المنحة، أملاً إبليسياً في نيلها وغرضاً معلقاً تستمد منه حركة كل مقابلة.. وكل توديع له.. حماسها وحرارة أشواقها.. واختلاجها..

تهيأ لي اليوم أن أغادر جدة إلى الطائف بسيارة صغيرة مع أسعد وأحمد جمجوم، والمنيعي. ولكن معالي الوزير لم يصل بعد والأمر يقضي من باب اللياقة بانتظاره لمقابلته خوفاً من العجز عنها مع قدرة عليها من الطائف بعد ارتخاء الأعصاب به.. وهذه طريقة من طرائق قنديل في التعبير تشفع لي عندك إن شاء الله.

الرسائل بين يدي المتعهِّد بنسخها وستكون معي يوم أطلع.. من دول! إلى الطائف. أما ما معها من رسائل أخرى لآخرين فهي كما هي في مواضعها..

كان لك عندي تمر وسكرية من المدينة وبقي حتى الآن على أمل أن تنزل أو أطلع.. ولعلّه يصلك اليوم عن طريق زيدان أو لزيدان من طريقك، فهو قسمة بينكما.

إلى اللقاء وشكراً،

أخوك حمزة شحاتة

براهين الإدانـــــة

أخي محمد عمر

لا بد أن تكون متوتراً مني.. وإلاّ فما سبب غرقي في نفسك هذا الغرق المطبق.. ولا شك أنك قد فرغت من صنع البراهين اللازمة لإدانتي.. ولن يكون في وسعي أن أهزم برهاناً منها.. فأنت في طورك الأخير عنيد متصلب.. وهذا من تأثير «الرقعة».. على مزاجك.. وأنا منذ غبت عن عينك أصبحت عبارة عن وضعية شوط شطرنج في نهايته.. يكثر فيها التعقيد على قدر ما تَقِلُّ القطعة الباقية ـ فلكل صغيرة اعتبارها الكبير، ولكل حركة ميزانها الدقيق.

وكوني لم أكتب إليك طوال ثمانية شهور أمر يفسح المجال لعشرات الظنون والاحتمالات.. والتفاسير، على أني قد أكون واهماً، وأن الموقف عندك لا يستأثر أية أهمية، ولعلّ هذا هو الأرجح.. ففي بعض الظروف يستغرق انتباهنا شيء ينسينا كل الأشياء، تماماً كما يحدث عندما نحب.. أو نحزن.. أو نُصاب.. أو نحاول حَلَّ عقدة معينة.. فيذهلنا الاشتغال بذلك عما عداه. ألم يحدث أن تنسى وجودي أثناء اشتغالك بكتابة قصتك؟ أو بإنقاذ جندي في حركة تقدر خطورة نتائجها على الشوك؟

إني مستغرق في هذا الفراغ الكبير الذي يحيط بي خارج نفسي وداخلها.. تمتلئ فيه نفسي بهذه الفواجع التي زلزلت كوني الصغير.. ولله الأمر وهو ولي التوفيق..

تحياتي وأشواقي.. وحفظك الله.

أخوك حمزة شحاتة

أريد أن أحيا

أصرّ عريف أن يقرأ هذه الرسالة وقرأها

أخي محمد عمر

الآن فرغت من قراءة رسالتك، وعرفت أنك تستقبل طوراً نفسياً مدى الحركة فيه أن تدور على نفسك. وهذا أسلوب من العيش يُعفي الحيّ فيه من جهد الحركة، فيكرع من رحمة الله التي لا تنفد. والصبر يا سيدي شيء لا يَلجأ إليه القلب المشبوب إلاّ متى أحس بعجزه عن الطلاب والغلاب، فهو باسم الإذعان أو التسليم أو الانقياد أو اليأس أو الزهادة، أولى. وما أعرف أني صابر على شيء، ولي فيه غير الصبر حيلة، ولكنا ـ معاً ـ وغيرنا من الناس، أو كثرتهم، نفهم الصبر على أنه مغالبة النفس، ومصابرة الصعاب، على أمل الفوز، وحرارة النشدان، فهذا ـ حفظك الله ـ الأمل، وليس الصبر..

فما أوردته في رسالتك على معنى الصبر والاستسلام، قد جريت فيه على طريقة السلف، أو على طريقة الوهم الشائع..

والحياة يا صديقي ـ بعد ـ دولاب ما يكفّه عن الحركة أن أحد قواطعه جمع رأيه على أن يأنف هذه الحركة ولا يشترك فيها، ولا أن جميع قواطعه

تجتمع على مثل هذا الرأي، فما دامت «العجلة» تدور، فالقواطع تدور وإن كانت في ذاتها معطلة الحركة، إلاّ أن استطاعت أن تقطع صلتها بالدولاب وفي هذا معنى مماتها..

وللدولاب ـ يا سيدي ـ رأي في نفسه وفي سيره وسرعته، يقل أو يزيد أو يتساوى، بما ترى له الدواليب الأخرى، أو بما ترى له أمداء ما يستطيع تحقيقه، ولكن للقواطع، أو لأحدها، أن يظن أنه هو الدولاب، وباعث الحركة، وسببها، وأن يرى أن الدولاب «قاطع» كبير يلتوي لأن الاستقامة تعوزه.

وبعد، فإن كنت لا ترى في ما يقول القوالون جديداً، فذلك لأنك تعيش بفكرك السبّاق في مستقبل الحياة لا في حاضرها!! وما علينا بعد إلاّ أن نعتقد أن مجهود الحياة، والأفكار، والعقول، والتفوق والعلوم، باطل.. وأن الدولاب قاطع ملتوٍ لا يسعه أن يستقيم.. وهذه ـ على الأرجح ـ نتيجة لا تزلزل أعصابي، لأني قدير على هضم الأرزاء، بالرغم من أني أضعف الناس عن احتمالها.

وتقول أننا تناولنا في أحادينا اليومية ألواناً من مشاكل الفكر والإحساس ما أحسبنا انتهينا فيها إلى غير رأي متفق عليه، أو مختلف فيه.. وأنت تسوق هذا الكلام دليلاً، على أن التعرية تكشف معها خبايا النفوس، وتزعم في جد أنه لم تبق لي فكرة منطوية في نفسي، لها صلة بالحياة، لا تدريها.. فإن كان هذا تمهيدك لأن تدعي «جديداً»، فإني معلن تنازلي عن مجموعة نظراتي في هذا السبيل.

إنها الألفة يا صديقي، وليست التعرية، ولطول المسايرة عصف، حتى

بالجمال وهو مادة البقاء للنفس الشاعرة العاشقة. وكل شيء في الحياة قديم، يمكن أن ينقلب على عينك جديداً، متى سرت بحس المتطلع الراغب، لا بحس السائم المنصرف.

وما أنكر أني اختلفت في عينك عما كنت فيها، يوم كانت العلاقة جديدة، بل ما أكثر سروري بأن كان الأمر هكذا.. ولكنك في عيني كما كنت عرفتك. ولكن أهذا من ضبعك بي أو بنفسك؟ كلاّ. إنه من ضبعي بنفسي.. فما أبحت لها قط أن تحمل عليك أعباء حسّها الثقيلة، وتكاليف مطالبها الوعرة.. ولا تطلعتُ من وراء جلدك إلى ما يخفيه، إنما عرفتك إنساناً كالناس يكون قوياً فاتناً، إذا أسعده الجهد، ولم يضق به ذرعه، ويكون ضعيفاً يستثير الشفقة، إذا انقطع به لغو به ـ أو تزاحمت أنفاسه.. فإذا قال قائل إنك ضعيف المقدرة على الاستفزاز، قلت فهو بهذا الضعف قدير على أن يحملني على حبّه. وما أردتك داعية، تلمّ الناس حولي، حتى يؤسفني أن تكون ضعيف التأثير فيهم... وإذا حسبت أنت أن للأدب أثره في العلاقة التي نتبادل أواصرها في نشاط تارة، وفي همود أخرى، عددت لك من الكتب ما قرأت لتعرف أن كتاباً ثمنه قروش، يضمن لي ولك من فائدة العشرة وجمالها ومتاعها، ما لا تضمنه صداقة أديبين، بل عشرين أديباً..

وأنا يا صديقي العزيز، عرفت ضعف الحياة في نفسي، قبل أن أعرفه في نفوس الناس، فإن جئت أعيب عليك الكذب أو الجشع، أو فتور الحيوية في جاذبيتها الفعّالة، رجعت إلى واقع الحياة، وإلى صداه في نفسي وأفكاري، وماضي عمري وحاضره، وما حفل به من المؤثرات مداً وجزراً، وسعادة وشقاء، وعدت إلى قوانين الاستطاعة والمقدرة، وطبيعة شعور الحي ودوافعه الإنسانية، والحيوانية، وعكفت على طائفة من الأفكار

والقوانين والقواعد، أعرض عليها أمرك، فأكون أخيراً، كمن ينصب محكمته للدفاع عنك. وهو يعني الدفاع عن الحياة، أو عن رأيه فيها.. أو عن حياته هو كإنسان.

فأنت ترى أني أدفع عنك عوادي الفناء في نفسي وبواطن إحساسي،وأنت ترى أني إنما أخذتك وآخذتك بما لا يخرج عن طوق إنسان عادي أن يحققه، فبقيت على حالك في نفسي لم تتغير. وقد قلت لك مرة ونحن نسير ليلاً.. إن تسعة أعشار شقائنا إنما تجيء من ناحية إفراطنا في تقدير قيمنا. وكانت هذه الكلمة عنوان حديث طال حتى ضنكت به، أو حتى ضنك به كلانا.. فاليوم أقول ـ يا صديقي ـ إن تسعة أعشار فجيعتنا في من نحب ونود، إنما تجيء من ناحية إفراطنا في تقدير مزاياه وافتراضها. والمثل الأعلى للإنسان أو للحياة، ما يزال فكرة لم تتحقق بعد، ولو شاء الله لها أن تتحقق، لكان معنى هذا، أنه شاء للحياة أن تنتهي. والكمال ـ كما قلت مرة ـ نشيدة الحياة المطولة.. ونحن نعرف الجمال الكامل، ونتطلبه، ولكنا نتبلّغ أحياناً، ونتدله أحياناً، بما يعدّ تحت الصفر بالنسبة لما نعرف ونتطلب..

وقد قال محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بطل الإنسانية لامرأة ارتعدت فرائصها في حضرته.. أو لرجل، فما أعرف إلاّ معنى الحادثة: هوّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد..

فإذا غصصت بشيء مني، أو بشيء فيَّ، وهالك أن أكون هكذا، فاعلم أن هذه الغصة، عقوبة إفراطك في افتراض مزية لي أعجز أنا، أو يعجز الناس عن تحقيقها. والصديق يا صديقي، ليس أجيراً، سائق حياته الوحيد أن

يرضي رغبات متبوعة. فالصداقة ـ في ما أعرفها ـ صدق، والصدق حرية النفس والفكر وقانون انطلاقهما من كل قيد. والصداقة بين رجلين، تختلف عن الحب، لأنها أقدر على التعقّل والحرية.. ولذلك كانت مزاياها وتبعاتها والتزاماتها أبعد أثراً في مواقف الجد والدوام ومغالبة الفناء وأسبابه..

ولقد كان عريف يقول لي يوم الجمعة، في حديث طويل ممتع، أن غلطتي التي تحول بيني، وبين استمرار افتتان الناس بي ـ على نفاذي في هذا ـ أني أتكشف لهم عن دخائل حياتي ونفسي وفكري وطبائعي، في سهولة وسرعة.. فيكونون أمامي بعد السعي والرغبة في الاتصال بي، كمن يقول: أهذا هو؟..

إنه هنا يترجم لنزعاته المكبوتة، ويمثل لإفراطه في تقدير قيمته، ولبرمه بتعاسته لعجزه عن تقريرها وفرض الإيمان بها على النفوس والأفكار. وإلاّ فقد عرف ـ كما عرفت ـ أني أوثر الضعيف على القوي أحياناً، والساذج البسيط على الرائع الفاتن. ولست مع الأقوياء أضعف سبباً، ولا أقصر خطواً، ولكن لأني أفرض لنفسي ـ في نفسي ـ قيمة الصفر يتحرك على يمين الرقم فيكون سبب رفعته وحياته، ويتحرك على يساره.. فلا يزيد ولا ينقص بحركيته لأنه الصفر فحسب..

وأنا كثير الكلام ـ لا شك ـ، ولكني لا أقول إلاّ ما أريد أن أقوله، ويندر أن يتحلل لساني من قيود إرادتي. وكذا أنا في سيري، أو في سلوكي الاجتماعي، أو في حياتي كإنسان، لا أفعل إلاّ ما أريد أن أفعله، وإن كنت أفعل ما أكره أحياناً، فلست مغلوباً في هذا على إرادتي، لأني لو لم أشأ أن أفعله، ما فعلته.. ولأني أريد أن أحيا..

وأنت تقول أننا في جو يستحيل أن تكتسي الأفكار فيه لباساً جديداً، فهل تعد هذا ذنباً لي، يتحتم عليَّ أن أعتذر إليك عنه؟ لطالما قلت إن الحياة نفسها لا تقدم الجديد إلاّ في أسلوب وحركة.. وأنا قد أحببت خمسين جميلاً، وأعجبت بمئات، فهل كان لكل جميل خلقه المستقل الذي يغاير خلق أغياره؟.. كلاّ. إنها الوحدة، والقرابة، والمشابهة.. ولا شيء إلاّ اختلاف الأسلوب، أو التباين في معنى.. أو في حركة.. أو في لفتة..

والحياة أغنى وأقدر على تنويع ذخائرها، فلماذا لا تطلع علينا كل يوم، إلاّ شمس كل يوم، ولماذا كان البحر فيها هو البحر، والجبل هو الجبل. والأنثى هي الأنثى.. إلاّ الأسلوب.. إلاّ الأسلوب؟؟..

لست أكثر شعوراً بما دعوته.. «هذه القدمية العتيقة».. في رسائل أصدقائي، فمنهم من لا أبلغ غباره مقدرةً على التلاعب بالألفاظ، وتوليد المعاني وتركيبها، ومن أخور دون مقدرته على المماطلة، ومن تبعث العبارة من كلامه حرارة الحياة في دمي، حتى أراها على غير ما كنت أراها. فهل تقاس الكلمة بما تعنيه في ذاتها المحدودة، أم بما تفتحه أمامنا من آفاق وأمداء، وما تبعثه عن حركة؟..

أما الجديد، أما الجديد، فشيء لا تفعله الحياة، على ما نؤمن به لها من استطاعة. فما نرهق غيرها بأعباء التزامه دونها!..

وبعد، فإن كان في هذا الكلام الطويل، ما يمسّ استغلال شعورك بنفسك، أو ما يلهب حماستك، ويجرك إلى غشيان حومة الجدل في عراك كلامي يطول ويمتد، فلأنك لا تدقق في اختيار ألفاظك لمعانيك تدقيق من يعرف أن لكل شيء تبعته.. أو لأنك تخطئ أحياناً فتسيء الظن بعمق فهم

سامعك، وما أختار لك أن تكون هكذا، فربما ضاق مجالك بين الأحياء به. .

وللهزل كما يعلم كلانا، مناسَبَاته وأساليبه، وله أيضاً مبرراته وحدوده. وأخشى أن تكون قليل الصبر على أن أكون غير ما كنت، أو غير ما أريد أن أكون. فهل كنت تهزل أم تجد حين قلت «ما زلت أنت وما زال كل قوّال هنا يعيش وفي ركن منزوٍ من نفسه كمية مختزنة من الرأي والعقيدة لم تتغير، ولن تتغير أبداً»؟؟

أفهذا من ضمن ما تتسع له حدود الصداقة والود وتبعاتهما؟. .

إنني لا أجد في أن أحتملك غضاضة أو مضضاً، لأني لم أفرض نفسي «كقوّال» قيمة يضيق بي أن ينحدر بها تقديرك. ولكني لا أريد أيضاً بأن تشقى لأنك تفرض لفكرك المقدرة المطلقة، أو الحق في إعطاء هذه الأحكام وفرضها.

وإذا كنت ـ حتى الآن ـ لا أعدو عندك قوّالاً من القوالين، فإنما تكون عندي إنساناً يستحق التأديب. وما يرضيني أن تخشى هذا الوعيد، ولكن يرضيني أن تستخف به. . لا لأني، أكثر من قوّال، ولكن لأنه ليس من حقك أن تقول هذا في مجال التودد إليّ، كأنك تقدر فيَّ تحجر الفطنة.

والآن حسبك بما اتسع له وقتي ـ على ضيقه اليوم ـ وإلى اللقاء حيث يريد «الجديد» الذي يستطاع معه مران النفس ورياضتها على ما يشبه المشقة، في حياة ضاقت بركود الراحة وطمأنينتها. .

واقبل تحياتي،

أخوك حمزة شحاتة

أخي محمد عمر:

دي حتة تعليقة على الهامش.. وفي الكتابة في ذيل رسالة الأخ حمزة ما يجعل التعليقة «زعراء».. حتماً، والواقع أني مشتاق محموق من عدم إرسال الروايات وإلى اللقاء في الطائف لفتح اعتماد القيامة الشفهية معك.

ودمت

أخوك عبد الله عريف

إن لعصعصك عليك حقاً

أخي محمد عمر

فازت دونك رسالة عزيز بأني تلقيتها على مكتبي، حيث كان الجو ملائماً للرد الطويل، على ما فيه من غثاثة. وأنا الآن بالبيت، حيث تَفُر الريح مولولة، عقب أكلة ثقيلة، لم تدع فيّ لغيرها بقية، فليكن الرد عليك (طرقاً) عكسياً، يُذكُرك بأن «لِعُصْعُصِكَ» عليك حقاً، فأنت رجل يتسع ويمتد نصيب فكره منه، حتى ما يدع لشيء من الأشياء مجالاً معه.. حتى رسائله إلى أصدقائه ـ النائين ـ تغدو حلقات درس يتصل فيها فقه القول على ما يشبه تعبير الزهاد في الصوامع والبيعات وما تطيق أعصابي ـ ولا أكذبك ـ هذا النمط من جدّ القول أو هزله، ولك عليّ عهد الله أن أقول لكل حي ألقاه إلى الجمعة التالية، أنك في هذا هزمتني. فأفاء الله عليك بهذا العهد، ما يهوّن في نفسك مضض الانكفاء عني بالخيبة في مجال ما تسميه فلسفة، أو ما أحسبه فلسفة.. حتى يقيض لك فرية غيري.

قال معتزلي:

يد بخمس مئين فضة وديت   ما بالها قُطعت في ربع دينار؟

وقال آخر:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء

وقال غيره:

كم عالَم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأفهامَ حائرة وصيَّر العالم النحرير زنديقا

فالنحو في هذه الأمثلة يتجه اتجاهاً متماثلاً، مصدره الشعور بتناقض القيم وتضارب الأحكام.

فلو قال الشقي: لِمَ أشقى؟، وقال السعيد لِمَ سعدت؟ لما كان الجواب إلاّ أنها مشيئة الله. فإذا لاحت مسألة العقاب والثواب، والجبر والاختيار، بشعرها المنكوش كتب الله الهزيمة على كل كافر ثائر.. وترصدته اللعنة الخالدة..

فإن ذهبت تلتمس الصلة بين ما قلت، وما قال المعتزلة، أو معتزلهم، أضفى الله عليك من ثياب الفلسفة أطولها، بل أسبغها طولاً.. وما أرى هذا الفهم إلاّ جناية من يرى الماء، فيقول أنه ماء.. أو جناية من يراك فيقول أنك تشبه أباك..

أما إن كان هذا المذهب من القول، فلسفة، أو كلاماً له ما لسائر الكلام من صفات، فما يطول الخلاف بيني وبينك على مثل هذا ـ إن شاء الله ـ وما يسوءني أن يبدلني الله بكل صحيح اعرفه، صحيحاً تعرفه، وسيان أكانت الفلسفة ما زعمتها، أو كان كل كلام يند عن فمٍ، فلسفةً، فإني ممن انتهوا مع أفكارهم إلى هوادة تتهادن فيها النقائض أو تأتلف..

ولك بعد تثبت وتلج، في أنك لا تشبه أباك، ولكن ليس لك أن تنكر صلتك به.. ومن الأشياء شيء لا يستقيم دليل على أنه صحيح، ولكنه صحيح. إن استقام الدليل، أو مال.. فأنت فيلسوف على هذا الأساس، أو فيلسوف على أن بين ما قلت وقال فلاسفة المعتزلة قبلك، مشابه، وصلات، لعلّ هذا الكلام في صدره، قد ألقى شبهة الاحتمال عليها.

ولو وقف متهم بالسطو على خبز أمام قاضٍ فسأله أحق أنك سطوت.. فقال نعم ولكن بباعث الجوع والحاجة الملحة، لما كان جوابه جواباً ولكن جوابين. فإذا قلت أنك تتفلسف في معارض النفس والحياة.. لأن نزوات السأم العارضة من شانها أن تدفعك إلى ذلك.. فما يدفع عن الفيلسوف أنه يتفلسف مضطراً غير مختار.. وما أحسب أن في الدنيا اختياراً، إنما هو الاضطرار على درجات فأنا بترجيحي لوناً على غيره من أطعمة تجمعها مائدة، إنما انقاد مضطراً لعامل الترجيح فيَّ.. وحتى ما تسوقه البديهة عفواً لا بد أن يكون صادراً عن حركة باطنة، لا يمنعها خفاؤها علينا، أن نسلم بوجودها.. وعلم النفس هذا أوسع مجالاته، وأقوى دعائمه..

وقد قلت أن نقمة الناقم مظهر معكوس لحب الوجود. وهذا صحيح، على أنه في الظاهر ليس كذلك، وعلى أنه في نفس الناقم لا يلقى دليلاً على الصحة.. ولعلّك لم تدرك أني كنت أمزح في أسلوب من الجد، أو أجِدُّ في أسلوب من المزح، في رسالتي الأولى إليك، وأعني سابقة هذه..

وقلت «ما بي أن أضرب كما تضرب الخفافيش.. ولكن أن أمضي في العيش مضيّ من تدفعه مناسباته وظروفه» وهذا كلام لا أجد أنفى منه لمعناه المقصود. فما تدفع الخفافيش إلاّ مناسبات حياتها، وظروفها وعواملها،

وكل شيء في الحياة قوة، والقوى بعد تتغاير وتتفاضل، وما أظن أن حياة أي متنفِّس تخلو من دوافعها ومناسباتها وظروفها وعواملها.

فأنا وأنت والخفافيش في هذا سواء.. ولا معنى للتظاهر بالإباء. وقلت «لئن كان في أسلوبي شيء غير قليل من الاندفاع الوخيم، فذلك ما قد ترفَّعت عنه من أمد غير قصير».

هل أفهم من هذا أنك غدوت مثل الخفافيش في سراديبها المظلمة.. فذهبت ترعد بهذا الزئير المكتوم؟ أم أفهم أنك عنيت معنى لم تصطنع له ألفاظه الخاصة فجاء مفكك الأوصال؟..

وبعد فما أعدُّ لك من الحسنات حسنة تعدل عندي وفاءك بما ابتدعت أنا تسميته بالالتزامات الفكرية أو النفسية. فإن قال عزيز غير هذا، فإنما يقول رأيه فيك لا رأيي، أو إنما يقول رأيه في نفسه، في شكل تهمة مزدوجة يأخذ كلانا نصيبه منها. ولو شئت لعتبت عليه سوء استعماله لحرية لسانه، عتباً يدخلك من كل باب، يخرج هو منه بأوكس النصيبين..

وأنت الكريم المرموق.. وإن شئت طويتُ وطويتَ أمثال هذه الهنات التي تشبع الإنسان عن قلب أخيه بعداً، كلما ازداد قرباً.. وما أشتريك به في هذا الكلام، ولكني لا أبيعك بعدد شعر رأسك من الناس.. وليس هذا لأني أحبك.. بل لأني أحب نفسي.. فأنت في مأمن حتى من إيماءة المُنَى.. وحبك بتزاحم هذه الميمات في جملة، دليل على أني أرسل قولي من قرارة النفس لا من طرف اللسان. وأرجو أن لا تعصف بحالة الود بينك وبين عزيز آراؤه العارضة، فهو إنسان يغلبه لسانه على ما نعرف له من ضعف مبين.. وعساك تجد الجُرْأة على أن تقريه هذه الرسالة، فلعلّك

تكتشف في ارتطامه بنصيب منها أينا أصبح مهماً لإنسانيتك وقوتك في التزاماتك. وإلى اللقاء.

أخوك حمزة شحاتة

أخي: عريف

أنت البادئ السّباق دائماً فيما عرفتك، ولئن كنت عندك بالمكان الذي ليس بعده مكان لصديق أو حبيب، فلأنك موله دائماً بأن لا تدع الغاية لغيرك. ولكني سأعاندك فيها، وأصاولك عليها.. فأقول.. إنك عندي بمكان ليس فيه إلاّ أنت وحدك.. وهذا مكان لا قبل له ولا وبعد، تتمتع فيه بحرية الانفراد.. ولا تدفع له أجراً. لا كمكانك الزاخر بالأصدقاء والأحباب، الممتلئ بحيث لا يسع جديداً، أو يبش لطارق. وليس من حقك بعد أن تلومني على أني لم أذكرك حين ذكرت أصدقائي، فما يُتذكّر إلاّ المنسي، وأنت القائم في نفسي وأمام عينيّ.. ومالك ولاستعداء التقاليد، وقد عرفت إيماني بها من قديم وما لك وأي شخص تتخذ من لسانه رسالة، لم يحمله ضميره على أدائها. وفي الوقت فسحة، وليس لمشتاق عذر..

وعفواً لأني لم أجبك برسالة مستقلة، ينوء نشاطك دون إتمام تلاوتها لطولها.. وإلى اللقاء قريباً.. حيث يتسع الوقت والجهد لها.. وسلمت..

الجهد قتَّال

أخي محمد عمر

قالوا.. وهام الجعران بالشمس هيامه، وأطال إليها الشكوى، وخطبها بعد أن استفاض في حديث حبه، فشاءت أن تدفعه إلى حيث تمتد به الشقة.. فقالت أنت لا تستطيع الصعود إليَّ، فأين ترى نَلتقي! فقال في هذه الأرض الواسعة. قالت وما شأن هذه الأقذار التي تتأفف لها نفسي! قال سأطهر الأرض منها.. قالت فما لي بغيرك ثقة، قال فسأضطلع بالعبء وحدي..

قالوا.. فهو من يومه ذاك، موكل بما لا ينتهي من هذه الأقذار، لا يختفي منها شيء إلاّ لبلوغ شيء، وهو على حاله من النشاط والدأب والأمل الموفور.

فدونك أنت يا صديقي، وهذه الحثالة من الناس، تُنَقّي الجو من أنفاسها، وأرى أن صاحبك رماك من الجهد الجاهد، بما لا ينتهي.. ولا تنتهي منه، إلاّ أن رزقك الله عمر نوح، في أمل جعران!.

وبعد فما أود أن أضاعف عليك الرزء، فما أعرف أنك تضرب إلاّ في خواء.. وستعرف متى ثاب إليك رشدك العازب، أن الإنسان يصاب في عينه وهو مبصر.. وستقول إنه عمى لذيذ، هذا الذي يجعل للدنيا غير

لونها الكالي، فما يسعني أن أنكر عليك دعواك، إلاّ أن أنكرت على المدمن قوله في الخمر.. والعشق سكر، والجمال مادته، والدنيا لا ينتفع بها أو بنفسه فيها، إلاّ غير المفيق، وإلاّ غير الخاضع لأحكام عقله.. بل لأحكام العقل.. فما يرى الإنسان الرأي في الجمال بعاطفته وحدها وحسه، بل بعقله أيضاً..

وقد قسّم الله الأرزاق بين الناس أول الخليقة، فسرى التذمر بينهم.. كل يتطلع إلى قسمة غيره صعوداً.. فأرضاهم الله بقسمة العقول، فما ترى من يرضى أن تبدله بعقله عقلاً..

وما أطيل لك القول، فإني أجد في إرساله هذه الأيام مشقة، وأحس أن برأسي (قبضاً) لا ترخيه أقوى المسهّلات. فصنع لك بهذا اللين ما تطول به لذتك، وتمتد حبالك، فأنت جدير بأن تكون سعيداً..

ولو كانت رسالتك أمامي الآن، لكان الأرجح أن أجد مجال القول واسعاً فقد أحسست فيها بتهافت يسفّ ويغلو ـ لا يعلو ـ. فالحركة فيه لا حركة الحياة ولكنها حركة مغالبة الفناء ـ فإن كانت في العين حركة، فهي في الفكر سكون.. وما أصعب أن تحدد الألفاظ ما نريده، أو ما نشعر به. وماذا نصنع بإنسان يعرف من الهجو أنه مديح؟ ذاك قد أطلقه الله مما قيدك به، فما نال منه على الجهد الناصب، إلاّ ما نال الريح من قفاك حين توليه الجنوب في كل مساء، منطرحاً على كوعك تنطرح لك الدنيا مطارح الإغراء والضراعة، وأنت صادف عنها صدوف الغني الممتلئ، لا يرى في أيدي الناس، إلاّ ما يزيده العرض والظهور هواناً عنده..

والحمد لله على نعمة الخيال، ورقة الحال، ومن صرفه الله عن التعلّق

بماذا تكون عليه عقباه، فقد صرف عنه تسعة أعشار المشقة، وقديماً قيل إن الجهد قتَّال، ولكنه لا يفعل بمثلك، فعله بآخرين. فالمشقة عندك أن تطوف الدنيا، غير محرك رجلك، وليس في ما تريد ما يستعصي عليك أن تقيمه كاملاً في لمح البصر. فأنت تبني البيت، كما تنظم البيت، وقد ترى في الحياة ما لا يقع من نفسك موقع القبول والرضا، فتليح لجانب من وجهك، فإذا الأشياء تتذابل.. وماذا بعد أن تكون خالق كونك الصاخب، إلاّ أن يحتل عرشه الخالي، ملاك إن فات قدرتك خلقه، فما يفوتها تحسينه، وإضفاء شيات الفتنة عليه، حتى يكون خليقاً بأن يحكم دنياك ويسوسها، وأنها لفرصة..

وقيل لي أنك تهاجم، أو هاجمت قصيصاً، فإن كان هذا صحيحاً فإني أسأل لك السلامة من عقبى ما تجره عليك هذه الوعكة.. ولن تجد في خمسين قصيصاً عندنا من يتسع قلبه للرأف بك، بعد أن تمس حرمة واحد منهم، بل من خيرهم، بل من طليعتهم الجبارة، بل دنكشوت هذه الطليعة، وأعني قائدها.

وليس من الخير لي ولك أن تقول في القصة، ما يقول نقادها، ونحن من قرائها لا أكثر.. فلو طلع عليك القصيص، بفلسفة الحبكة، وطرافة المفاجأة، وإحكام العقدة، وتسلسل الحوار.. وحشد لك مما قال، فرانشي، ودبور، ودانز، وهبلوس، وفالس، وزوابت، وماكس، وآرن، وهيوم في القصة وفلسفتها، ما يملأ عمودين في «صوت الحجاز»، لما كان في وسعك أن تنكر أن ليس بين هذه الأسماء اسم كائن عرف الأرض، أو مارس الحياة. فما يدريك أنه قدير على أن يفاجئك بأن لأحدهم عدة مؤلفات في نقد القصة؟

وللرجل بُعْد قدير في الإنجليزية قدرته في العربية، فلو أطبق عليك، فإنما يطبق بمحصوله منهما، فماذا أنت فاعل بلغة لم تحذق بعد ما يحذقه خريج دار علوم، فيها، مثلاً؟

ونحن ـ يا صديقي ـ أبناء عصر خلا، فمن الخير أن نترك المجال للقصة وذويها، فما نملك ـ وهذي قوانا ـ أن نسد على الناس سبيل السير.. ويؤذيني أن لا أستطيع أن آخذ بيدك لو أعييت ـ وهذا محتمل ـ، فما بقيت لي قوة الإجابة، لا تدفع عني ولا عنك شراً.. وكتّاب القصة عندنا عشرا ولا أعرف فرجة في صفهم، وهم أميل من كتّاب العهد القديم، إلى التكاتف، والسواد معهم.. ودفع الله عنا الشر، والشماتة، وسوء المصير..

وهذه يد سيحمدها لي الرجل، كما أحمد سالف أياديه عليَّ، إن نجحت في صرفك عن إثارة المعركة، كما نجحت في حمل المغربي على نشر مقالك كاملاً غير منقوص..

ورأيت البارحة ـ فيما يرى النائم ـ الرجل وصديق للجميع معتنقين في حماس وكلاهما يضحك للآخر. وفسر لي هذه الرؤيا رجل أثق بعلمه، فقال إن العداء بينهما سيستحكم ويستحيل (هراشاً).. قلت فلو رأيتهما في (هراش).. ماذا كان يكون التفسير؟ فقال في هدوء: العكس.. فصرف الله العناق بالهراش إذن.. لينصرف عنا سوء ما تفضي إليه المشكلة..

غداً الخميس، وسنذهب جماعة إلى وادي محرم.. فليت في وسعك أن تشاركنا ـ وإلى اللقاء..

أخوك حمزة شحاتة

أسأل الجفالي عن الأرباح

أخي محمد عمر

دعنا ـ بعد هذا الصمت المريب ـ من جانبي وجانبك نتحدث في الجد.. فالمليان أولى..

الشنطة مع أم العيال التي تحمل إليك هذا الخطاب.. لقد رفض حملها كل من عرضتها عليهم من الإخوان.. والرفقاء.. والمعارف.. ولعلّ الأمر آت من أن إرسال شنطة.. فارغة.. أمر لا يصدق.. ولا يمكن أن يحمل على الظاهر..

هذه واحدة.. والثانية.. أني وصلت بخير.. وفي الوقت المناسب.. لأن الأم عزمت على زيارة أهلها وأنا كما لا أحتاج أن أقول.. أؤدي الآن أي من الآن.. بصورة استغراقية دور الأم.. وقد تهيأت له خلال شهر ونصف منذ حضوري..

أفأنت بحاجة بعدما تقدم إلى اعتذار عن تأخر الكتابة إليك؟ لا أظن..

ومن المليان.. أني قابلت في الأيام الأولى.. الأخ يحيى أبو الفرج.. وترجل من سيارة عندما رآني في الشارع.. واعتنقنا..وعرفت أنه عائد إلى الحجاز في تلك اللحظة.. وكان في منتهى الرقة..

ولم أسمع جديداً عنك. إلاّ أن في نفسي اطمئناناً من ناحيتك فأنت إن شاء الله في رعايته الدائمة.. ويسرني أن أتلقى منك مزيداً من التفاصيل..

تحياتي إلى الشيخ إبراهيم السليمان.. وأعتقد أنه لم يدع من وسعه شيئاً في موضوع عبد المجيد.. ولكن الأمر في عمومه صعب العلاج.. ولا شك أن عبد المجيد في رعايتك الموصولة.. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله..

سأكتب إلى سعادة الشيخ قريباً..

هل من شيء يقال عني كملاحظات منك..؟

أوصيت الأخ نور جمجوم أن يرسل إليّ خميرة بيرة أمريكاني لا توجد هنا وهي لازمة للأطفال كعلاج.. فإذا تهيأ لك أن تبعثها مع صديق قادم فأرجو أن تتصل به لإعدادها..

زيدان كان هنا.. وعاد..ولم أعرف ذلك إلاّ من البلاد السعودية.. قبل ثلاثة أيام.. في خبر عودته المنشور بأحد أعدادها الواردة للأستاذ عبدالله عبدالجبار.. وطبيعي أنه تجنب أن يشعرني بوصوله..

أرجو أن تكون بخير.. وهل من خدمة؟ أرجو الاتصال بالإخوان آل الجفالي لسؤالهم عن الأرباح المنتظر توزيعها هل حان وقت صرفها؟ وبأية نسبة ستكون.. وماذا لديك عن أخبارها.. وعن أخبار شركة كهرباء جدة.

وسمعت أن مشروع انتقال الوزارات إلى الرياض قد تحقق الآن.. فهل أنت في الباقين بمكة؟

هل أتممت قصتك.. أم لا تزال مستمراً في عملية الخلق؟ لعلّه قد تهيأ لك فيها ما يحملني على تغيير رأيي.

من يدري؟ قد أكون مستهدفاً للعدوى.. فأكتب قصتي ـ أو إحدى قصصي على الأحوال وربما أتوقف عند حد ما في انتظار ظهور قصتك.

إلى اللقاء أيها الأخ الكريم، ورعاك الله.

أخوك حمزة شحاتة

القاهرة

أختنق بدمعي

أخي محمد عمر

لم أر زيدان حتى اليوم، وإنما جاءتني رسالتك إما معه أو مع رسول منه. وعرفت اليوم فقط من صهره ناصف أنه ما يزال بالقاهرة.. ولم يكن بوسعي أن أخجل من شيء تحملني عليه حالتي النفسية والجسدية، والتفصيل أسخف وأغثى من أن أركبك به بعد هذا الصمت المطبق..

إنه واقع لا يسهل تصويره مع انتفاء الجدوى لك ولي من عرضه في رسالة أحس أني أنتزع كل كلمة فيها من بئر بعيدة الغور حتى لكأنها من الفضاء الذي يلي الأرض من تحتها أو من تحتي فقد أصبح ما تحتي، ذلك الفضاء المتخيّل ذاته.. حقاً، لا شبهة فيه.

ولست بهذا في شيء، غير ما فيه الناس.. كل الناس، ولكنها تهاويل النفس المريضة وزحمة الحس بواردات التحريض، والإثارة، لهذا الذي لا بد لي من اعتباره مرضاً، وإلاّ فما هو، أكاذباً كان أو صادقاً، وواقعاً أو وهماً؟

ومن سلامة الذوق أن أعفيك من بقية الرحلة فأنت بحاجة إلى ما يُسرّي عنك لا إلى ما يُغثيك ولا شك أنك موثق الظهر، أو مقلد العنق،

بما فيه الكفاية من نقائض حياتك ومفارقاتها.. وتواتر أحداث الصراع فيها ومنها وحولها ومن فوقها.. ومن تحتها، وهكذا تنزلق مرة أخرى إلى تحت.. كأنه دون أي اتجاه، مركز الثقل، فمن الخير أن نمسك، وندع الأمر كله لله. وللطفه ورحمته وحكمته..

نعم يا صديقي، لقد آنستني رسالتك بما تضمنته من معنى الوفاء لذكرى ماضٍ سحيق انطوت به الأيام في منحدراتها العميقة.. وإني لأسأل نفسي كيف وسعك أن تكتبها، وأن تتفرغ لها، وأنت في بحران معمعتك مع الحياة، فلا أقول إنها بقية من نشاط الشباب لا يضيق بك أن تنفقها في وجه من وجوه الالتزام والاستجابة له، وهي نزعة الخير التي تنطوي عليها نفسك بلا شك أرجو أن يبارك الله لك فيها،وإن حملت طابع فتوة الخلق، وتقدير الذات في ما تجمعه لك كلمة «الشيمة».

ولعلّك ترميني بالتهويل والإسراف. ولكن منطقي في تقدير ما يشق على غيري، هو القياس على ما يشق عليَّ. وقد أدلي لك معنى ما أريد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) ولعل المراد احتمالهم، وهنا لا ينافيها كبرها في الطرفين إلاّ باختلاف الاحتمالين، والله أعلم بالمراد على كل حال ـ ونحن أجهل وأقصر فطنة، وأضحل علماً، وأضعف إدراكاً، وأقصر بصراً.

وقد ينوب قولي هذا عن هذا الشكر، فهو الآن لك مني لفظة مبتذلة تخلو من معنى الإثابة التي تقابل همتك في فضلك حاضراً وغائباً.. وقريباً وبعيداً، ولعلّ في الإضراب عن الشكر على هذا الاعتبار معنى أليقاً بأن يقال على أنه ذو معنى يُفهم أو يستساغ.

وبعد فأنا أرجو لك أن تكون على خير أحوالك موفّقاً للخير. . ولرضاء الله، مدلول الخطى على ما يحقق آمالك، وييسر أحوالك دائماً، ويعينك على ما تكون به موصول الطمأنينة والاستقرار. وأعاد الله عليك وعلى ذويك، الأعياد زاهية مشرقة. وحفظك ورعاك، وجزاك خير ما يجزي به واصلاً عن منقطع، وحافظاً عن مضيّع. وإلى لقاء قريب أيها الصديق الحبيب تحت سماء الوطن، وعلى رحابه الطاهرة التي ينزع بي حنيني إليها نزوع الظامئ إلى الماء، والساهد المؤرق إلى كراه. . وحسبك فإني أختنق بدمعي الآن.

أخوك حمزة شحاتة

حمل العبء

أخي محمد عمر

لقد علمتني أن لا أفسر.. وكتب الله لك بهدايتي إلى هذا المبدأ الذي تلقيته عن «دزرائيلّي» على ما أذكر، جنتين، الأولى أنك أرحتني من عناء حمل الناس على عاتقي الموهون، أما الثانية فإنك أرحتهم من هذري الذي لا ينقطع..

وهذا هو الحق الذي سألتني في مطلع رسالتك أن أقوله..

كنا أيضاً متفقين على ألاّ تنقطع الرسائل بيننا، أو أن هذا على الأقل هو ما وجب أن يكون مفهوماً.. حتى تتهيأ لي أو لك، أو لنا معاً، أسباب تهيُّج جديد.. ففي آخر رسائلك إليّ شكوى مريرة من نضوب قدرتك على الكتابة أو من نضوب بواعث تحريك هذه القدرة.. وتراني استعمل كلمة قدرة وهذا احتياط عقلي أنفي به الظن عن شهوة كلينا ورغبته.. في استدامة الاتصال الكتابي بيننا.. وفي ردي على تلك الرسالة ترديد صريح لشكواك، من ناحيتي، تلاقينا فيه لا على تقرير المبدأ والاعتراف فقط، بل وعلى التزام موجبه مع التصرف.. وهكذا سَكتُّ وأسكتُّ..

وإنك لتعلم كما أعلم أن اتصال الكتابة بين أخوين، أصبح دلالة على

توفر الوقت لهما، وأنت على هذا الاعتبار في حال أنا في مثلها.. وليس ما بيننا من عمق العلاقة ووثاقتها وصدقها بحاجة إلى ما يؤكده أو يزيده، أو يشبع الشعور به ويحركه..

إن ما سمعته عن احتمال انتقالي إلى الحجاز، صحيح من حيث انعقاد الرغبة منه وعليه إن شاء الله. أما أن لي عملاً معيناً، أو وظيفة مسماة، فهذا لم أتلق عنه إشارة مفصّلة أو مجملة، حتى الآن.. وقد تكون الإشارة في الطريق!!.. وقد تكون من حيث لا أتوقع فيكون علم عزيز بها آتياً من هنا.

أرجو من الله أن يحيطك وكامل أسرتك بعنايته ورعايته.. كما أرجو أن يكون لك الله معيناً، فالحياة أعباء ومغارم.

ينبغي أن تنجب أكبر عدد من الأبناء الذكور لترصد لي منهم خمسة لخمس بناتي وإليك أسماؤهن على ترتيب الأعمار: شيرين، ليلى، سهام، نجلا، زلفى.. وحسن مآب إن شاء الله..

فاعقد عزمك على من شئت منهن، على أن يكون المبدأ، أن لا يفوتني ولد من أولادك.. فما يقنعني منك إلاّ أن تحمل العبء كاملاً.. وأنت أول وآخر صديق ـ على ما يبدو ـ ينعم بهذه الثقة النبيلة.. حفظك الله يا أبا فاروق ورعاك..

إن البنات هنا لا يتلقّين في المدارس شيئاً عن أمور الديانة.. ولكن هذا مما يمكن استدراكه متى بلغن طور الإدراك.. أو هذا ما نرجو أن يكون بتوفيق الله..

سافر سعادة الشيخ عبدالله إبراهيم الفضل إلى الحجاز، وأعتقد أن من

غايات هذا السفر إجراء تعديلات عامة وترتيبات جديدة في وظائف القنصلية، والمفوضية، ومعظم الموظفين فيهما.. وأرجح أن سبيل نجحه ممهودة بالنسبة لشعور المسؤولين عندكم بضرورة إمضاء هذه التعديلات من زمن بعيد.. ويلوح لي أن الشعور بالحاجة إلى كفاءات جديدة يمثلها عنصر معين هو الموجه لهذه التعديلات المتوقعة.

ماذا تقول أنت في أن تقفز إلى هنا في هذه الحركة؟ ألاّ تجد مرشحاً ينفعك فتعيش حيث يمكنك إيجاد تناسب معقول بين مواردك واحتياجاتك. إن هذا التناسب أصبح مختل التوازن في الحجاز بالنسبة لتطور الغلاء. هذا التطور الذي أسمع عنه أروع الأنباء. حاول. وعسى أن يكتب الله لك النجاح.

شكراً وإلى اللقاء يا صديقي،

أخوك حمزة شحاتة

الحلم الجميل

أخي محمد عمر

ينبغي أن أكتب إليك قبل أن أغادر البلد.. فقد تقرر فجأة أن أسافر إلى لبنان، ولعلّي أعود منها إلى مصر.. ولكني أعرف أن من الخطأ أن نقرر ما يتعلق بالمستقبل.. فقد تطول هذه الرحلة فتكون أبدية. وإن كان ما يقال بعد ذلك، فإن أراك في خير إن شاء الله..

وليكن لقاؤنا ـ إذا قدره الله ـ بعد عودتي، عوضاً عن «منزال» العيد الذي أطلت التهيؤ له من جانبي.

أعتقد أن الاتصال بابن ملوُّح من ناحية الموضوعية لا يقل دقة عن الاتصال «بالقمر» أو «بالمريخ» في الحلم العلمي الذي بدأه.. «مسيو بيكار».. أما من الناحية الشكلية فابن ملوُّح هذا لا يُعرف له مقر.. وقد قضيت ولفيف (مفروق!) من أصدقائي، منهم العتيبي ـ وعمر عبد ربه ـ وقنديل كل هذه الأيام ننشد الرائح والغادي على طريقة الشعراء.. والعشاق، أيام زمان! عن هذا الرجل، دون جدوى.

وبقي أني كنتيجة ـ لهذه الخيبة الجماعية ـ قررت أن آخذ الله خلفاً

وعوضاً في «حلمك الجميل» لحسابي! أم ترى أنه أصبح من الواجب أن أكتب إلى صاحب الشأن أطلب أمره بالقبض عليّ وتسليمي لابن ملوُّح أو بالقبض على ابن ملوُّح وتسليمه لي؟ لأتمكن من فهم وجهة نظره هو الآخر في موضع الأرض تحديداً.. وتمليكاً..

إن قلبي يحدثني يا صديقي العزيز بأن.. ولكن لا.. فأنت وكعهدي بك، ضد التشاؤم كما أنا ضد الإطراء.. ومن الخير أن أضع رأسي في «عُبّك» خوفاً من أن أعطيك دليلاً على أن التشاؤم هو صانع العُقَدْ..

لقد ابتدأت أنت، فليكن التمام من نصيبك أيضاً. أفكثير أن يكون عليك هذا..

سألني أحد ممن سمعوا نبأ رحلتي المفاجئة إلى لبنان عن سببها، فقلت إني أريد أن أدرس عملياً موضوع تصدير الفاكهة والخُضَرْ منها إلى الحجاز.. فقال مندهشاً. ولكن لماذا لا تتوظف.. قلت لم يعرض عليّ شيء حتى الآن.. ومعنى هذا أني لم أجد عملاً، قال «إدارة المطافئ». فقلت: حتى هذه كانت مجرد خبر سمعته ولم تكن عرضاً.. أو طولاً!.. فضحك.. وقال: ولكن ألاّ تراها خيراً من مشروع التصدير؟.. فقلت: أما من الوجهة النظرية فنعم.. قال: والموضوعية.. قلت: لم أجربها..

وأذكر لك بهذه المناسبة قصة.. من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل.. هي قصة حماقة من حماقات العجم اكتشفها «الحجّاج» فراسةً.. قبل أن يرى ما في داخل صندوق في داخل صندوق في داخل صندوق..

أيها الصديق! ـ نحن الآن في الحجاز.. وقد ضاق بعض المهتمين

بأمري ذرعاً بحالي، فرشَّحني أحدهم «مراقباً لغوياً للإذاعة» فقالوا له استوثق من رضاه أولاً.. فأعلنت رضاي.. فلما حمله إليهم خرجوا من الموضوع وبه بقوله إنه يسخر منك.. إنه لا يمكن أن يقبل.. والذي لا يمكن أن يقبل هو أنا..

إننا ما نزال هنا.. هنا في الحجاز حيث لا يُصَدَّقُ شيء.. حتى أنك في حاجة إلى العمل..

إن البلد في حاجة إلى فاكهة.. وخُضَر.. وليست في حاجة إلى موظفين يطلبون أعمالاً.. لو كانوا بحاجة إليها.. لما ظلوا بدونها حتى الآن.. إذن فهم يسخرون.

أنت مشغول.. مشغول عن أن تقرأ أو تجيب.. أعرف هذا.. ولكنها رسالة الوداع.. ومن العادة في رسائل الوداع أو في بعضها أن تطول.

إن في لبنان «مُنْتحراً» كما تقول «مُتَّكئاً» يدعونه.. صخرة الخلاص يقذف منه الراغبون في الموت بنفوسهم إلى هاوية تحته.. والمنتحرون يسمون في لبنان، كما في غيرها «جبناء» فإذا سألت لماذا؟.. قالوا لأن الهرب من معركة الحياة عجز.. وهذا الكلام لا بد أن يكون صحيحاً.. لأنه شائع.. أما سؤال ما هي معركة الحياة هذه، فليس من يسأله أو يجيب عليه.. إنها الحياة وحسب.. أن تعيش.. وأن تعمل.. وأن تنجح.. أو أن تخفق.. فالأمران سيان من وجهة أن لا تنسحب من المعركة حتى إذا كان عملك فيها تلميع أحذية المحاربين أو إعداد حجرات النوم لهم!!.. أو غسل الموتى ـ أو دفنهم.. أو حتى إذا ظللت فيها بلا عمل.

.. إذن فلنظل «شجعاناً» يا صديقي!

إن في لبنان أشياء غير الفاكهة والخُضَرْ ـ على ما يظهر.. أشياء خليقة بأن تُرى.. ليتك معي يا صديقي..

إلى اللقاء..

أخوك حمزة شحاتة

العاشق المسعور

أخي محمد عمر

هذه فرصة للكلام لولا أني أُنسيته، أو فقدت القدرة عليه. وقد كتب إليّ طالب يستفزني، فاكتفيت بأني اعترفت له في طمأنينته بالسبق والتفوق، فظن أني أهزأ به، وقال إن تلك عادتي المعروفة عني، فأقسمت له بما حفظته من مغلظات الإيمان أني غير هازئ، فقال ومن يصدق إنساناً فنه الكذب؟ وكدت أستشيط لولا ما أحس من وهن قواي.. وزهدت في أن أحمله على أن يفهم مثلي، أن الكذب فن الحياة الفرد.

هو طالب لا أعرفه، ولكنه لم يبلغ الثامنة عشر على الأرجح. وقد شكا أن الناس لا يشعرون بوجوده إلاّ لأنه جميل مترف. ولو كان غير ذلك لكانوا أخلق بأن لا يتفطّنوا لوجوده. وقلت له في ما قلت من كلام أن هذا يُمثّل لإرادة الحياة ذاتها، ولقانونها الأبدي، فما يخلو ما نحب له الرواج من عوامل الاستفزاز والإثارة بإسراف.. فالجمال، ووضاءة السيماء، دعوة ملحة من الطبيعة إلى الإقبال.. وقد لا تكون الغاية في الجمال أن يشتهي ويطلب ويلتذ به، ولكن أن تثير دعوته في النفوس ألواناً من السُّعار والاضطراب العنيف يتم بها نظام الوثاقة للفكر أو للعواطف، أو للجسد، أو للحياة وأهدافها ويكون العاشق المسعور ضحية التمهيد..

والجميل في ذاته، ليس إلاّ وسيلة من وسائل الحياة لتحقيق أغراضها ومراميها، وسيلة كارهة وراضية، ومستقبحة ومنحرفة، كما ينساق الجندي لا يعرف من أغراض قيادته، إلاّ ما يحقق له أنها راغبة في الخلاص منه، أو إلاّ ما يعتقد أنه باطل، ولكنه لا يتوقف.. إما لأنه لا يستطيع.. وإما لأنه يجد الناس لا يتوقفون من حوله، وإلاّ لأن الانسياق إذا تكرر أصبح عاملاً قوياً من عوامل القضاء على الشعور بحرية الاختيار.

وقد أنكر في كلام طويل أن يكون وسيلة تناسق كارهة، فعلمت من هذا أنه على شيء من عناد الصبا، ومضيت أرقيه برقى حذقتها عنك.. وبرقى عرفت نفاذها، ومنها أني هوّنت عليه الاعتراف، بأن اعترفت بأني أنساق كارهاً إلى ما أعرف وإن أجدني قد خضعت ـ على نفوري من الخضوع ـ لرغبات مجهولة تقودني. فأنا في هذه الحال، جمال ينقاد كارهاً، لتتم سنة الحياة.. وأنكر عليّ هو أن أكون جمالاً فأقمت له الدليل على ضعف رأيه، فجمالي هو الذي اقتاده إلى التحكك بي، وأن هذا التحكك، نتيجة صراع نفسي، طال أو قصر أمره، فالأدب جمال، والسمعة الطيبة جمال، والأناقة جمال، والفصاحة جمال، وحتى الشيخوخة، وهي دليل ضعف دواعي الحياة في الإنسان ـ لها جمالها وسحرها وفتنتها أحياناً.

وكنت اليوم، على أن أكتب إليه، لولا أن خيالي أحس باحتمال الفجيعة في ما صورت له لحظات الفتور والسآمة، ولولا أنني تلقيت رسالتك وحسبتني كاتبها، أو ممليها، لما عرفت من مشابه أسلوبي فيها. ولي في هذا كلام لا بأس أن تسمعه.

السحنة ومعارفها تُميز إنساناً عن آخر، والأسلوب هذا شأنه، فلا تقول

لماذا تتشابه الأساليب، لأننا لا نستطيع أن نقول لماذا تتشابه السحنات. وأبناء الحرفة الواحدة يتشابهون لِطول العشرة والاحتكاك والخضوع لمؤثرات متشابهة، والابن في العائلة يشبهها بعامل التقليد والاحتكاك والتأثر النظري والتبني أكثر مما يشبهها بعامل الوراثة. وأنا ـ على ما أعرف لنفسي من وثاقة وعناد في المحافظة على خصائصي وعاداتي ـ أرى نفسي متى اختلطت بجماعة طالت العشرة بين أفرادها، في حالة قابلة للانطباع بالحالات والحركات والاتجاهات المتركزة كصفات عامة لهذه الجماعة..

والإنسان فيما أظن يقلد القويّ مختاراً أو مضطراً، ولكنه يقلد الضعيف والأضعف غير مختار ولا متنبِّه. ولذلك كان فشوُّ الضعف في جماعة من أسباب انهيارها. وأعني الضعف الظاهر.

غلب على أساتذة الفلاح بجدة في طور معين، ضعف الجسم، واستتبع هذا ومشقة الدراسة ونصبها انحلالاً في القوى، فكنت ترى معظم الأساتذة في حالة تفكك، فراعني أن ٨٠٪ من الطلبة الذين يحتكون بهؤلاء المدرسين مباشرة، أصبحوا مثلهم.. حتى خيف السل على الجميع..

وعرفت طلبة، يعبرون لتأثرهم بأساتذة معينين، بالسّعال على طريقتهم، ولذلك عُدَّ الوهم من أسباب المرض.

في وسع أحدنا أن يشيع الحزن والكآبة بين جماعة يلعب بها السرور، متى وجم واكتأب وتلاعب برقة صوته، ونظراته.. إن الحزن ضعيف ولكنه يتغلب. وهذا سبب أن يكون الضعف أكثر تأثيراً عندما يحملنا على تقليده. تقليد القوة يحملنا على ممارسة صنوف من الصعوبات، فهو إيجاب، ولكن تقليد الضعف يشعرنا بالانطلاق والاسترخاء، ويندر أن يكون في الدنيا

ضعف إلاّ وبالقرب منه لذة أو راحة..

أفرطت في التدليل، وتركت لك ثغرات تملؤها بما تختزن من تجارب وملاحظات وليس غرضي أن أهوّن عليك الاعتراف بتشابه أسلوبينا.. أظن أنه متى اشتركنا في تكوين خصائص فكرية أو آدمية أو خلقية، نجحنا في وضع تقليد عام لهذه الأمة..

إن كل إنسان يميل إلى تقرير ذاته وتوكيدها، والجهود التي تبذل في ترسيخ أفكار أو مذاهب، أو تقاليد خاصة، هي في الواقع تسعة أعشار الجهود العامة للإنسانية، مع اعترافي بإسراف هذا التقدير، هذا لأن تقليد الفرد أو نزعاته، يكون نصيبها من الحياة والتأثير، على قدر نصيبها من الشيوع.. والشيوع كما تعلم، يجعل العيوب مألوَفة، أو حسنة، وهذا معنى ضمان البقاء والاستمرار..

وبعد، فإن كان هذا كافياً فسأقف عنده، وإن كنت لا تزال بعده في حاجة إلى مزيد، فليس أحب إلي من أن أسح وأسترسل وأحفر في عدوي، كما يفعل الجواد الذي يكاد يخرج من جلده نشاطاً وهذه عقبى المرض الذي لم يطل، وفي كتابي الطويل إلى عزيز «الأب»! فلسفة يلعب بها الابتذال، كما تلعب برأسي الآن نشوة أني أتممت هذه الرسالة في أسبوع ونصف تقريباً. أليس هذا دليل القوة؟.. إلى اللقاء.

أخوك حمزة شحاتة

تفاؤل وانبساط

أخي محمد عمر

أنا بخير على ما تعهدني.. ولقد كنت خليقاً بأن تعرف أن أهمية الجراك لي مقدمة على حوالة السيد.. ولكنها أنانيتك المثلى بعد أن صرت من المشاهير بالستة والأربعين.. سأنتظر على كل حال فما يسعني إلاّ هذا..

ليس من الغريب أن يلقى كتابك كل هذا الاهتمام في البلد.. ولا من الغريب أن يظل حديث المجتمع وقتاً طويلاً.. ولا أن تتركّز الأضواء عليك بسببهن إنما الغريب اعتقادي أنه انقلاب تقوم به حدود وعي جديدة للأدب والأدباء في المملكة.. وأخشى أن تظنني غير جاد في ما أقول..

كنت متوقعاً بأن تقول لي شيئاً عن وضعك وعما انتهيت إليه.. ولكني على كل حال استطعت أن استنتج أنك في حالة تفاؤل وانبساط..

أما من ناحيتي فأنا على استعداد للسفر حال انقضاء عمل الطبيب لتثبيت حالة الاطمئنان على عدم احتمال حدوث المضاعفات المستوجبة للعملية.. وسيكون ذلك في الوقت الذي حدده من قبل كحد أنى..

وبالله التوفيق وفي لطفه الرجاء إن شاء الله.

وسأكون إن شاء الله في منتصف شعبان أو أثنائه بمكة.. لتنتهي حالة التهديد بفقدان عملي، المنطوية في هذه الإرهاصات المتوالية.. وفي أنني مضطر ـ كما كنت ـ لمواصلة العمل موظفاً.

لقد كان من الواجب أن أكون بمكة لمراعاة مصلحة أسهمي بعدما انتهت إليه الشركة.. ولكن الطبيب متخوف من نتائج تسرعي بالسفر.

كان الشيخ محمد سرور بعد موافقته على تمديد إجازتي يريد تصديق التقرير الطبي من السفارة وقال إنه أمر بأن يعاد إليَّ لذلك.. ولكنه لم يردني حتى الآن. فأرجو أن تتصل بالنقابة وتطلب إرساله إليّ مسجلاً إن كان قد أُحيل من معاليه إليها، أو بمعاليه إن كان لم يحل إليها، والغرض السرعة لأتمكن من إجراءات تصديقه..

إن التقرير من طبيب عسكري وهو عبد اللطيف جوهر القائمقام بالجيش المصري وهو لذلك مصرّ على أن يعاد إليه التقرير بالذات نفياً لاحتمالات التلاعب، أو تقيداً بالتقليد الرسمي.. العسكري..

والأمر ـ على ما ترى ـ في حاجة إلى همتك..

كان من الضروري ـ ولا يزال ـ أن أعرف المزيد عن حالة عزيز ووضعه لاطمئنان الكريمة.. فما لك نسيت واكتفيت بكلمة لا تعني شيئاً؟

يمكنك أن تتابع حركة أشواق زملائي في النقابة بما زوّدك الله به من الحكمة في علاج الأمور، وأن تلطف حدة تحرقهم إلى أخباري.. وأنت أقدر الناس على بث الطمأنينة في قلوبهم ونفوسهم إن شاء الله.

أين زيدان في رسالتك؟.. لم يرد إلاّ اسمه فقط في معرض الكلام على غيره.. وهذا والله غريب منك، وأنت العارف بمكانته في نفسي.

ما زال ياسين مختفياً.. ولم أره والله حتى اليوم رغم حرصي على أن أراه.. ولكنه مما أسمع عنه في خيرّ تعدّى حدود.. النقنقة..

السّت تسلم عليكما.. والصغيرات أيضاً..

أظن أن في النية تعيين مندوب تجاري في السفارة.. أو سكرتير.. وقد يكون من المفيد أن تُذكِّر الشيخ إبراهيم وسمو الأمير عبد الله بحاجتي إلى هذا العمل وكفاءتي له وهو على سبيل الفرض الذي هو أول المؤهلات المؤثرة.. عند الاختيار.. وأرجو أن يسعك هذا والتوفيق على الله.

وشكراً أيها الأخ وإلى اللقاء.. وتحياتي وأشواقي لزيدان وجميع الإخوان وحفظك الله.

أخوك حمزة شحاتة

مضض الانتظار

أخي محمد عمر

لعلّ في هاتين الرسالتين تعويضاً لما فاتني منك، أيام كنا ننام في غرفة واحدة.. وما زال العهد بالبعد بين صديقين، أنِ يكون هذا فعله، لأنه يترك مجالاً للتفقد والذكرى وانبعاث الحنين والاستجابة للدواعي.. بسبب فراغ النفس مما تمتلئ به إلى حد الكظة.. وقد يكون الباعث اضعف مما ذكرت ارتباطاً بدوافع النفس والشعور.. فتكون الاستجابة في ذاتها على أي نحو جاءت، شيئاً محموداً يُشكر..

ولا أكتمك أن انتظاري لرسالة منك، طال حتى تعتعني انشغالاً على العيال، وأمضيتها أياماً ساء فيها شعوري بالحياة.. وبالناس.. وبنفسي، حتى أعتللت بشيء كالغصة في مجتمع صدري.. وحلقي.. وتمادى بي تأثيره.. حتى اعتقدت أنه مرض لا خلاص منه.. وما زلت أتردد على الأطباء.. وأتجرع الأدوية.. وأتلقى النصائح الطبية.. بصبر من كمل إيمانه بأن حال الدنيا والحياة لا يمكن أن يكون إلاّ كذا.. تعباً موصولاً في حلقة مفرغة..

وفهمت من الناس حولي.. أنهم تلقوا رسائلك.. وسألتني أم العيال ألم يأتك نبأ من محمد عمر عنهم، فنفيت.. فارتابت.. واندلع الاتهام في عينها

كالنار المشبوبة.. وبدأت تسخر.. وشعرت بالطنين في أذنيَّ.. ومضت أيام بعد ذلك عرفت فيها أنك بعثت برسائل.. ومقالات للنشر.. ثم.. أن فيها ما يتعلق بالعيال.. ويتعلق نشره على أن آذن به.. وبدأت الحلقة حولي تضيق.. وإذا بيحيى أبو الفرج.. يسألني أما جاءك شيء؟ وصارت كلمة «شيء» عندي مرادفة لكلمة «مصاب».. وأذن الله أخيراً أن أتلقى هذا (الشيء) منك وإذا هو رسالة عن العيال لا تتناول من ظاهر حالتهم غير ما أعرف.. ولا ضير في هذا فلا شك أنه كل ما يسع مسافراً عابراً بلبنان في ظرف ضيق أن يعرفه.. وزادني غموض كلامك المقفل عن ضرورة اختيار مدرسةِ أخرى للعيال.. همًّا على هم.. ووسواساً على وسواس..

وجاءني «شيء» آخر.. أي رسالة أخرى.. وفيها صورتان للعيال يظهر أن «عيار» التحميض زاد فيها عن المعتاد.. فشاع طابع الانكسار على ما تناولته الصورة.. وأختها.. بسبب عدم التصرف بالضوء.. وتقريب مدى الالتقاط.. واختيار اللحظة المناسبة.. وصحة الوزن والتقدير.. وهذا منتهى ما تبلغه الجهالة بصناعة التصوير.

ولك الشكر بعد على ما تجشمته من العناء في الرحلة إلى المدرسة.. واحتمال سوء الظن بك من الراهبات.. ومضض الانتظار..

إنني أتهيأ الآن لدراسة موضوع الانتقال الشتوي.. لزيارة العيال مع أُمهنّ.. وقد أجد من حالهم ما يدفعني إلى نقلهم إلى مصر.. وكل اختيار يتوقف على خيرة الله وقدره.. جعل الله العاقبة خيراً للجميع..

وفهمت من يحيى أبو الفرج أن العلاقة بينه وبين الشيخ قد صحت من غفوتها واستعادت سابق عافيتها.. فهي الآن تعدو عدواً ولا تسير..

وقرأت مقالك الثالث عن بناتي فوجدت ما راعني.. لقد حذف نصفه باعتبار يجمّله، أما توزيع المحذوف على جميع سطوره.. وجمله، فقد اشتركت فيه أقلام ثلاثة.. استبدلت كلمة راهبة «بسيدة».. ووضعت موضع الكنيسة والراهب.. عابداً.. ومعبد.. وحذفت اللفتة التي قارنت فيها بين شوارع الجبل.. وشوارع مكة..

ورأيت الجريدة مصرّة على نشره.. كما عاد من الرقابة.. فأعلنت أنني لا أوافق على نشر شيء عني.. ولا عن بناتي.. وكان هذا هو ضمان دفع القائلة عندك أمام قرائك الذين لا تأبه بهم الأقلام التي شاركتك في تدبيج المقال على رغم أنفك.. وأنوفهم..

والحياة هنا بعد على ما عرفت منها، وقد يلغي الشتاء إجازته القصيرة التي اعتاد أن يقضي بعضها لدينا، في هذا العام، لتكون الفرصة أوسع لتوثيق روابطنا القوية بالصيف..

ولست أسألك عن حالك فأنا أعرفه فرضاً وتخميناً.. واشتهاء لمشاركتك فيه على طريقة «الباط بالباط»...

والقول يطول لو شئت.. ولكن الإقصار أولى، فأنت أغنى عن هذا الهزر الآن، منك يوم كنت هنا.. وماذا يقول لك مثلي، وقد بسط الله لك من القدرة على الفعل.. وموافاة الحال عليه، فما أنت فيه ـ ما يغنيك عن كل كلام من كل قائل في كل باب من أبواب القول.. وليس في وسع من كان على هذا أن يحسن الإصغاء، أو يتعنى للفهم، إلاّ محمولاً على ما يكره، أو مغلوباً على أمر نفسه.. وقد وقاك الله هذه المحنة بما أتاح لك من سعة المدى بيننا براً.. وبحراً.. وجواً.. وقدرة على الإفلات..

وشكراً يا أبا فوز على ما تمتلىء به نفسك الكريمة من حب وإخلاص ووفاء.. يتجلى كل معنى من معانيها في عارفة من عوارف فضلك التي تزداد بالخفاء الذي تتوخاه لها، عمقاً في نفسي وقلبي وعقلي..

تحيتي.. وشوقي.. للأخ عمر إلياس.. ولمن حولك من الرفقاء.. وحفظك الله وإلى اللقاء.

أخوك حمزة شحاتة

١٣٧٣/٢/١٠

غمزة حجازية

أخي محمد عمر

كان عليّ أن أشخر عندما فرغت من رسالتك.. فقد كان تاريخها ٢/٢٨/ ووصلت ٤/٩ .. أي في نهاية المدة التي أعطيتها موعداً لبقائك بالشام.

ولعلّك الآن في مصر.. فهذه الرسالة ستأتيك فيها.. عن طريق الجزار وستكون إن شاء الله «معدول» المزاج.. فقد احتضنت في هذه الرحلة من الزمن العريض ما لم يتهيأ لك في سابق رحلاتك كلها.. زادك الله خبرة بالحياة وما فيها.. وضاعف لك من أسباب العلم بها وبه، ما يعود بك تاريخاً حافلاً بما يشرق ويضيء.. ويملأ.. ويحرك.. ويثير.. ويدفع النفس إلى أوسع آفاقها.

أشكر لك زيارتك لبناتي.. أو لبناتك.. وتسجيلك على نفسك أنك عمّهن.. وأنت إن شاء الله العوض الصالح لي ولهن عما فاتهن.

ومونتانيا.. كما عرفته وعرفته، خليق منك بهذا الحماس في الحديث عنه، والإعلان له.. فهو صورة من صور لبنان الرائعة.. وحسبك أنك لا تكاد تجد له مثيلاً في مصر من ناحيتين:.. ما فيه.. وما يرد إليه..

وعهدي به هكذا في الصيف ـ فكيف كان هكذا في الشتاء؟ إنه سحر مضاعف..

متى تعود.. فإن الشوق إليك قد فاض.. وإلى ما يسر من أبنائك في هذه الرحلة التي كنت أود أن أكون رفيقك فيها ـ وليت خطابك تضمّن دفعة على الحساب عن تركيا.. ففي نفسي إليها نزوع قوي..

أحوالنا هنا حسنة.. والشتاء كأحسن وأقوى ما مرّ بالحجاز.. بل قَلّ أن شدته كانت شيئاً جديداً على الحجاز فما تزال الحرارة في انخفاض حتى بلغت للآن ١٨° س. وما تزال في الانحدار..

إذا شئت أن تعرف عن المشكلة.. فاتصل بالأخ محمد عمر رفيع فهو الواسطة.. والمشرف.. والصديق.. والعارف بالمشكلة أساساً.. وانتهاء.

وعسى أن لا تعود إلاّ وقد تهيأ لك أن تعرف منه ومن الأخ أحمد عشماوي أن سبب المشكلة أنه يريد المزيد.. مما تؤدي إليه المساومة.. والشطارة.. ولو على حساب استغلال محنة المرض وتقدم السن.. وتراخي القدرة على العمل.. ويسرني أن أكون واهماً في هذا..

وأنها غرائب الحياة في الحي ومنه، لا تفنى ولا تزول ـ حتى يفنى ويزول..

أو إذا آثرت الراحة.. والارتخاء.. فما لك ولهذا.. ولعلّه أبقى لمسرّة قلبك ونفسك أن لا تلج هذه المداخل التي يضيق مجال الخطو فيها على العقلاء والمخلصين.. ومن يقدرون الحياة تقديراً صحيحاً..

لماذا وقف نشاطك في الكتابة إلى «البلاد السعودية»؟. وقد قرأت أمس

لأستاذ أظنه «مصرياً» من المدرسين يهاجم ملاحظاتك التي أوردتها على المطار.. وجمركه.. وإجراءاته..

وأحسب أنك ستجد من الطريف أن تهتم به ـ وان تغمز له بعينيك.. أو بإحداهما، غمزة «حجازية» التأثير.. فقد استعدى عليك الشعور القائم الآن بين الممالك العربية.. التي صار أسلوبها في التقارب.. اندماجاً في عمليات الغزل.. الرفيع!.

لقد أوجد ابتعادك فراغاً كبيراً.. يحس، في جو عملك.. وفي جو الحياة العامة.. وفي نفسي.. ولم أكن أعرف أنك انقلبت جزءاً هاماً.. كبيراً.. من البلد وفيها، إلاّ بعد أن امتد غيابك..

وتحدثت عنك إلى القادمين.. سائلاً.. ومتشوقاً إلى أخبارك.. فعرفت أنك أصبحت من كبار المغامرين جرأة.. على المجهول.. والشاق.. والبعيد.. وهذه ظواهر الشباب في بدايته.. وظواهرها في نهايته.. وما أحسبك في البداية منه، حتى لا تستبقي بعض ما يدّخر من نشاطه.. وشهيته.. واندفاعاته.. وما يزال النهل.. والريث.. وتثقيل الخطوة.. واستبقاء الغايات.. سياسة الرشد ممن أوفى به سعيه على مشارف الشيخوخة.. أو الكهولة.. إن كنت ترى أن هناك فرقاً بينهما.. وما هو إلاّ أول الخط.. بالنسبة لآخره..

وأقول بعد: إنني بحاجة إلى أن أراك وأسمعك.. وما أجد ما يصور جملة مشاعري نحوك إلاّ كلمة «أوحشتني!».

وأين عمر؟.. وأين حسن؟.. ألاّ يزال أسير المستشفيات؟ أم انطلق منها ليمارس نشاطاً ينتهي به إليها؟..

سمعت أن عمر هزازي يعمل الآن في شركة أتوبيس النقل لمصر الجديدة.. مع العشماوي وعبد الرؤوف صبان، موظفاً بـ ١٢٥ جنيهاً مصرياً.. فإذا كان هذا صحيحاً، فلماذا لا يحاول الأخ عمر إلياس.. أن يرشح نفسه للعمل بها؟ ليتمكّن من البقاء بمصر.. وهذه أمنيته.. وأنت في هذا يمكن أن تفيده..

شكراً.. وإلى اللقاء أيها الصديق،

أخوك حمزة شحاتة

١٠ ـ ٩ /١٣٧٣

نفـــاد الذخيـــرة

أخي محمد عمر

بين يدي ٢٠ صحفة في دفتر مدرسي من دفاتر بناتي، كتبتها رداً على خطابك الذي كتبته إليّ يوم زيارتك لمصنع حلويات.. محمد نور جمجوم. وقد كلفني الرد رحلة إلى معمل تكرير السكَر بالحوامدية، والقيام بجولة «زمخشرية» استهلكت يوماً «بحاله!»..

وظلت رسالة الرد تحت «التبييض» كل هذه المدة، مع تجدد الإصرار يومياً وليلياً على إنجازه.. حتى غلبني اليأس، وغلب العيال، فنزلوا فيها تفريقاً وتمزيقاً..

أتعرف قصة القائد العسكري الذي خسر المعركة لعشرة أسباب! أعفاه الحاكم العسكري من ذكر ٩ حين ذكر أولها!.

إنها قصتي أيها الصديق الحبيب.. نفاد الذخيرة أفندم! ثم (٩) أسباب أخرى، ليس نفاد الذخيرة أهمها ولا ألعنها، ولكنه أوّلها في السياق فقط.

ولا بد أن سوء الظن بي قد ملأ نفسك هياماً بلعنة ماضي علاقتنا.. وامتدادها.. هذا الامتداد «الزوجي؟!»، الذي لا يعطي الحياة، ولا يأخذها، وإنما يتركك في حالة من الالتواء.. والعسر.. تشبه حالة

المصاب بالفتاق! لا هي مرض يقتل، ولا صحة تستقيم.

ولا شك أنك أخذت غايتك في هذا الهيام ومنه.. وهذا نصيب من الحرية والانطلاق يحسد عليه العقلاء المجانين، والأصحاء المرضى، وأغبطك على أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح لك حظك منه على حساب قفاي،كما كُتب لي في يوم قريب أن «أتمرطح» على قفاك «محفزاً» و«مسلتاً» و«مستكرشاً» و«مستكبداً» لمجرد أن نَفَسْ العلاقة «الأخوية» كان ما يزال يتردد بين النقابة ـ ثم التيسير.. والنيابة بما يستلزم ضرورة التسليم بوجودها ولو اعتباراً..

يسرني أن أعرف المزيد عن أحوالك فأنا أعرف أن موقفك سيتغير كثيراً.. بعدما تم من انتقال العامل.. أو تحوله. والذي أرجوه أن يكون التوفيق حليفك.

ما يزال الطنين في أذني متصلاً يشتد. العودة. العودة. فقد كرهت مصر وما فيها كراهية تتصل فيها النتيجة بالسبب.. ولولا أن قطع تعليم العيال، أو استمراره «داخلياً» في حالة انتقالي وحدي، قرار يجب أن لا يمليه التسرع، لما بقيت حتى اليوم على ما يشبه الخوازيق أو يفوقها.. إنها حياة مهدرة من جميع وجهات النظر إليها على اختلافها..

أين أصدقاؤنا؟ وما فعل الله بهم معك أو معك بهم؟ أوَليس لديك ما يقال إلاّ هذا الحديث «السكري»، يا «حلو» عن المصنع وجوّه؟ وماذا عن نجاح «دكاكين» أو «بيبان» وهل توسعت.. فيه أم ظل على حاله؟

هل يمكن الحصول لي على قطعة أرض ٥٠ x ٥٠ أو نحوها تصلح لبناء فيلا لسكناي والأطفال إذا عدت وأين موقعها؟ والقيمة؟ ورأيك؟

ماذا كان نصيب قصتك. ولماذا لا ترجو الناشر أن يهديني أو يبيعني نسخة منها لأنني لم أقرأها، ولم أرها مطبوعة، حتى الآن، وإنما سمعت ممن سمع، ممن عرف، ممن قرأ، أنها طبعت ولم يوزع منها هنا غير الهدايا.. ليت اللعنة تجوز.. ولكن لا، فما تزال لبعض الكلمات حرمتها «وعوضي على الله ـ وعليك!» ـ في جهد التصحيح..

وبعد، فما هي القصة التالية لأستعد لكتابة مقدمتها من الآن.

وبهذه المناسبة، لقد كان نصف رسالتي المسوّدة ملاحظات عن القصة، يمكن أن تعتبر مؤخرة لها.

أنا الآن أكثر تردداً على السفارة والقنصلية من أي وقت سابق. وقد أتاح لي هذا أن ألاحظ الفارق الكبير بين ما تستطيع أن تحققه حيوية السفير من فائدة لبلاده.. وبين سفير أقل حيوية.. إن الزائر المعتاد يشعر بأن هناك تجديداً.. وحركة.. ونشاطاً، لم تكن، كلها أو بعضها طابعاً مميزاً لمن في المكان وما فيه..

لم أرد بهذا إلاّ أن أسرُّك، ومن ناحية أخرى لأشعرك بمقدار الخطأ في.. عدم تشبثك بالانتقال إلى مصر في هذه الفرصة. إني أعتقد أن من الممكن إصلاح هذا الخطأ في أية مناسبة من مناسبات الانتقال.

أرجو أن لا تكتب إليَّ رسائل تفيض بالتحفظ.. فإن مما يؤلمني أن يكون البعد من أسباب إشاعة الانقباض بيننا.

إلى اللقاء، ودمت،

أخوك حمزة شحاتة

تعليـم «العيـال»

أخي محمد عمر

لم أكن قد استجبت لإلحاح الصديقين، حين تلقيت خطابك في الأذن لي بكتابة مقدمة للقصة.. وكانت حجتي أنها لا تحتاج إلى تقديم، وأن أدب التقديم يتضمن وجود فارق في الأستاذية لحساب المُقَدِّم على المُقَدَّم.. وهذا الفارق ـ أصلاً ـ معكوس، على الأقل من وجهة نظر القرّاء ونظري..

وكتب الله السلامة لي من احتمال تأثير إلحاحهما عليَّ في كتابتها، بأنك كتبتها بنفسك، وكفى الله المسلمين شر المقدمات.. وأنت بمقدمتك قطعت السكة على من تحدثه نفسه بهرش قفاه.. على حساب قفاك، من الناقدين.. وهذه حصافة لو تهيأ لك مثلها في ماضي حياتك لاستغنيت بها عن كتابة القصص..

توجست أن للناشر غرضاً في أن يقع بيننا شيء من شر اختلاف النظرة الذي قدَّره سلفاً.. وإلاّ فما داعي أن تكون للقصص مقدمات.. أو مؤخرات، والعرف ضد هذا في الأعمّ الأغلب؟ وما داعي أن أكون كاتبها بالذات وقد اقترن اسمي مع المقدمات بأفكارها، وبتجريح من أقدم له

تجريحاً لا تستقيم، موازين العداء والاعتبار؟ ولعلّه ـ كناشر! ـ عرف أن اللغط خير مروِّج للكتاب.. فأراد أن يستفيد من سوء حظي..

ويجب أن يحمد الله كلانا، على السلامة، والعافية، وحسن العاقبة.

أما بعد، وعلى طريقة خطباء الجمعات في المساجد، فقد شاقني من أمرك أنك ماضٍ فيه على رضى وبصيرة، وإيمان من يعرف أن المصير المقدّر لا يدفعه الحذر، ولا التوقّي. وأسأل الله أن يبارك لك في حياتك واتجاهاتك، وأن يرعى أمرك وأمري بما يعفينا من عناء التدبير، وأخطاء التقدير، ويكفينا الشر والسوء والعثرة..

بقائي بمصر لن يطول إن شاء الله، والأمر مرهون بأن يدبر الله لمسألة تعليم العيال نقطة ارتكاز عاجلة. وإلى اللقاء يا صديقي العزيز.

أخوك حمزة شحاتة

٢٠ رمضان ١٣٧٦

مصاحبة الصغار

أخي محمد عمر

لعلّك لم تنسها. قصة المرأة التي يغرق فراشها كل ليلة في بول زوجها.. فحين سأله القاضي أمن علة يا أبا فلان؟ نفاها وأكد السلامة. قال ففيم إذن؟ قال: إني أرى في منامي بحراً مضطرب الموج، في وسطه صخرة عالية عليها منارة طويلة، في رأسها رجل على جمل أضر به العطش ما يفتأ يميل بعنقه إلى الماء، مرتعش القوائم ليشرب، فأبول من الفزع. وصاح القاضي مختنقاً وما بك أنت من هذا؟ فقال متنهداً أنا راكب الجمل، يرحمك الله.

وتزحزح القاضي عن موضعه وقال للمرأة انظري ما تحتي يا فلانة لقد تبرزت من هول الحكاية.. فكيف بمن تقع له.

لقد كان موقفي من حكاية تعبك، ذات موقف القاضي من حكاية راكب الجمل، بزيادة طفيفة هي أني كنت المسؤول عن تنظيف الفراش، وهي زيادة من حسن العاقبة فيها أنها لا تجر غبطة ولا تثير حسداً ولا تكون مداراً للوفاق بين مختلفين، ولا للخلاف بين متفقين.. وهذا أدعى جوانب اليسر فيها إلى الدعة..

فهمت يا صديقي.. إنها الحالة التي تعرض لذوي الحس المرهف، والانتباه اليقظان.. التوتر الحاد الذي هو نتيجة اكتشافنا تفاهة دورنا في الوجود المبهم، سواء أكنا سعداء مرموقين، أو أشقياء منكورين.

إنها صخرة «سيزيف!» في أسطورته المحزنة، رحلة شاقة دائبة بين القمة.. والسفح.. إذا تصورتها شقاء كبيراً.

وأنها «بعرة» كل «جعران» ما يزال موكلاً بها، أو ما تزال هي موكلة به، إذا أردتها جهداً حقيراً.. يحلم باذله بتطهير الأرض من نجاستها..

هي هناك لعنة ونقمة..

وهي هنا فن.. ووهم.. وخيال.. وعذاب.

الكل عذاب. لا يدفعه ملل، ولا ينجي منه أمل، ولا يعصم منه عمل، ولا هرب إلى رأس جبل..

لأمر ما هرب العارفون من متاعب الحياة وعذابها إلى متاعب الزهادة ورياضة النفس على التزام الحرمان والاستقرار عليه.. واستدبار الدنيا وما فيها..

لكن هذا الهرب حل غير ميسور إلاّ لذوي المواهب والعزائم، ولمن خار الله له فيه.. ولقد مات الزمن وأهله.. رفَّت على نفسي كلمة «الرخاء والجمال في أسمرا» رفيف النسمة الباردة في وقت الهجير. فما زال اسمها وما عرفت من حالها منذ ثلث قرن مهرباً من مهارب خيالي ألوذ به كلما أحسست الضيق والغثيان من الحياة التي أحياها..

ولكن حديثك عنها لم يطل. أفلم نفترق على اعتزام الهجرة إلى بلد يقل فيه تعقيد الحياة، والأحياء؟ فلتكن أسمرا.. ليكن أي بلد يجمع لنا

أيسر ما نريد ويجمعنا.. قبرص.. مالطا.. بلد بعيد قريب لا يشتد فيه العسر على النفس فالمهاجرون العرب فيها أبرز عناصرها، وما أظن الحياة فيها فقدت بساطتها الممتعة.. ووداعتها الحبيبة..

فإذا كانت تؤثر ما أوثر من وضع حد لهذا التمزيق الداخلي الذي نعانيه، فابسط لي في رسالتك القادمة ما رأيته عن معدلات رخائها والنفعة الكافية فيها لدرجة متكاملة من العيش، وعن إمكانيات العمل التجاري فيها للقادم الجديد.. وعن ثمن العقار بها ونسبة دخله.. وعلاقات قوانينها بالغرباء المهاجرين.. وكذلك أسباب الحياة فيها. وتعداد سكانها.. لأن الازدحام مظنة تعقيد الحياة.

وأدخل في حسابك اتصالها بما لم تر من مدن أرتريا.. والحبشة التي هي مصدر علاقات تجارية مفيدة بعدن.. وببلادنا في منتجاتها الحيوانية، الزراعية.

إنه مشروع مثمر، مع ضمان الرفاهية.. وطلاقة الشعور.. نكون فيه شريكين، أو صديقين متساندين.

أنا جاد إن كان بوسعك أن تستجيب لهذه الدعوة التي سيكون أثر توفيق الله فيها، اجتماع عزمنا عليها إن شاء الله.

إن وضعي هنا على ما تعهده من انقطاعي التام عن الناس، والتوفير على الاشتغال بكفالة هذا المجتمع (الصغير) المعقد الذي أنزل من أفراده منزلة الأب، والأم، والمعلم، والرقيب. والدادة. والزميل. والخادم. والمهرج أحياناً ليست من الندرة بحيث تسلم بها الهيبة، وتدفع الجرأة على حرمة الأبوة وتضمن السلامة من بوادر السوء ونزوات النزق والجهل ومكاره العدوان.

ولست أكثر منك علماً بأحوال الصغار، وما تجره مصاحبتهم من فقدان الرشد.. ونقصان الرجاحة.. والارتداد إلى عهد الطفولة. وانحلال القوام، وضعف الاشتمال بالحزم وسقوط جد السن.. وتخثر صرامتها.. ولعلي لا أدخل عليك بشيء من هذا، إلاّ وأنت صاحب أصوله وفروعه، السابق في مضماره، والمتعمِّق في أغواره.. والمتبحّر في أسراره.. والمتضلّع بأطواره، والمتمرّس بأخطاره ـ منذ شاء الله لي ولك أن نبلغ مدى السابقين في خدمة النوع، واتصال السلالة البشرية.. وإنها لمشيئة حكيم خبير، متفرد بالقدرة والسلطان.

تحياتي إلى جميع الإخوان الأصدقاء.. وتهنئتي لك بعيد الفطر أعاده الله عليك وعلى أسرتك بالخير والبركة.

أخوك حمزة شحاتة

سلطان المجتمعات

أخي محمد عمر

إننا نمارس عادات، لا تسايرها ميولنا.

وفينا ميول لا تتحول إلى عادات.

فإذا سألنا أيهما الأسهل؟ أن تتحول عادتنا إلى ميول، أم ميولنا إلى عادات؟ وجدنا أن تحول العادة إلى ميل، أيسر من تحول الميل إلى عادة.

والسبب أن منشأ العادة، ممارسة فعل معين، وتكراره ظاهراً عن طريق الالتزام، أو الإلزام.

أما الميل فرغبة باطنة، قد تجد أو لا تجد، مجال ظهورها وثباته، في فعل متكرر أو غير متكرر.

ومن هنا فإن بين الميل، والعادة، علاقة تجانس، أو تنافر إلى حد ما.. فالعادات تمثل ميولاً أو تستحيل إلى ميول، أو لا تمثلها ولا تستحيل إليها.. والعادات تكون أثراً للميول، أو لا تكون فتظل نتيجة للممارسة والتكرار..

الفرق بين العادات والميول، أن من عادتنا ما يفرض علينا قسراً، أو اختياراً، في شكل سلوك ومقاييس يقررهما المجتمع، فنعتادها ونلتزمها

كارهين لها، أو راضين عنها، أو غير شاعرين بها أصلاً.

أما ميولنا فلا تفرض علينا، ولا يمكن أن نفوّت وعينا لها، ولا سلطان ظاهر من خارجنا عليها، وإن كانت عوامل تكوينها فينا ليست ذاتية دائماً.

لقد اعتدت التدخين منذ سبع وثلاثين سنة، لا نتيجة لميلي إليه، بل لأني أكرهت على اعتياده، من إنسان له دلالة عليَّ.. وبرغم أني من أشد المفرطين في استعماله على مستوى (عالمي!)، فأنا شديد الكراهية له وعلى نفس المستوى..

فهذه عادةٌ استحكمت، بطول ممارستي لها، ولكنها لم تتحول إلى ميل.

وأنا أميل إلى الحرية والانطلاق ميلاً جنونياً من صغري، ولكنني من ناحية سلوكي شديد الالتزام للحدود إلى حد التزمُّت. وحتى عندما لا تكون هناك حدود تواجه هذا الميل أو تعارضه، فإني أضعها ولا أتجاوزها متشدداً ضد نفسي التي تكون دائماً في حالة ضنك.

ومع هذا فأنا لا ألتزم معظم مقاييس المجتمع، وأتخفف منها، وأهدرها قولاً مقترناً بالعمل، وعملاً لا يلتمس التبرير والتوكيد والتفسير.. وأتحمل عقاب المجتمع راضياً.. وغير راض.

هذا اللون من الحرية والانطلاق بالنسبة لذاتي كإنسان، هو الذي لا أضع له حدوداً ألتزمها لحساب مقاييس المجتمع، وضد نفسي.

وهو ليس نتيجة ميل فيَّ ولا عادة اعتدتها، ولكنه عبارة عن سلوك أو منهج يتصل بمزاجي أو بعقلي، فما زلت حائراً في ربطه بأحدهما.. إنه شيء تُمليه عليَّ طبيعتي بعنف وحسب.

ولعلّه يرجع إلى ضعف ذكائي ونقصه، لأنه بلا شك نتيجة لضعف القدرة على التكيف، فالذكاء عندي هو هذه القدرة على تفاوت درجاتها.

إن ميلي إلى المشاركة الوجدانية والتجاوب مع مشاعر الآخرين، والانفعال بها، يشكل أخطر نزعاتي عليَّ وأكثرها توهجاً وحدَّة، وهو مرد كل ضعف فيَّ.. وغالباً ما تدفعني غلبة هذا الضعف وسلطانه عليَّ، إلى مآزق من الضر والجهد تعرضني لأفدح التجارب التي يستنكرها ويؤثر عليها عقلي، لأنها كانت ولا تزال وستظل مصدر ٩٩٪ مما أُصبت به في حياتي من تعاسة وخيبة.. ليس في ذلك مجال للشك!

فهذا ميل عاطفي يتحول إلى سلوك قاهر لا سبيل لتفادي آثاره السيئة بأي قدر من الإرادة، كالتدخين.. إنها أمثلة للتجانس والتنافر في العلاقة بين الميل والعادة.

وهي في الوقت ذاته أمثلة لما في حياة الناس وميولهم وعاداتهم من تناقض.

وهنا تبرز ضرورة نشأة المصطلحات البشرية في مجتمعاتها..

فالاصطلاح عبارة عن قانون اجتماعي تضعه فئة من الناس لعموم فئاتهم..

قانون يتم به التعميم، ويهدر أمامه اختيار الفرد، لكل قانون.

والعادات العامة من حيث إنها بعض قيم المجتمع، تعني اصطلاحاً، لا سبيل للتحرر من قيوده إلاّ بالخروج عليها.. وهذا الخروج معارضة للمجتمع أو صدمة له، تماماً كالخروج على قواعد المرور..

إن المرور لا يضطرب إذا خرجت جميع السيارات على قاعدة من

قواعده، فالخروج العام يشكل قاعدة، ولكن سيارتين أو ثلاثاً تكفي لحدوث اضطراب حقيقي..

ماذا يحدث لو اسقط فرد عادات مجتمعه العامة، واصطلاحاته المقررة؟! يتهم بسوء النية المتعمّد نحو هذا المجتمع.. لن يكون هناك مجال لافتراض الخطأ في تحرّي العرف أو جهله.. وعلى فرض الجهل فإن المجتمع لا ينفي المسؤولية به.. وهكذا القوانين..

إن هذا الإسقاط في عمومه ليس أكثر من اقتراح تجربة جديدة لتبسيط الإجراءات مع إقامة المثال علمياً لتبريره أو تفسيره.

والمجتمعات دائماً لا تسمح لأفرادها باقتراح تغيير مصطلحاتها وعاداتها عن طريق الإسقاط.. كل ما تسمح لك به أن يكون اقتراحك كلاماً.. أي مجرد ترشيح لنظريتك في شكل دعوة إليها.

يحدث أن تربط عليك ضريبة ما مع خطأ التجاوز للحد فيها. ليس لك أن تتوقف عن أدائها.. ادفع الظلم وإن كنت تعتقد سلفاً أن التظلُّم بعد الدفع، سيفقد وجاهته!

وقانون الضريبة محق في هذا، فإنه لو توقف أداؤها على بحث التظلّمات، لعجزت الدولة عن الوفاء بالتزاماتها، وأفلست..

بالطريقة ذاتها والمنطق ذاته، يعاملك المجتمع.. ادفع ثم اقترح.. وهذا إذا كنت أديباً.. أو مفكراً. أو حتى كاتباً في صحيفة، وفي بلد يجوز فيه التنفس.. والعطاس للطبقة التي تنتمي إليها.. إن كان مجتمعك طبقياً.. وأي مجتمع غير طبقي!.

إنه مجرد استطراد.. فلنعد.. لنعود من الصحراء التي قادنا إليها هذا الزقاق الضيق.

ماذا كنا نقول؟ سلطان المجتّمعات؟ نعم إن المجتمعات كالقوانين، لا تتقبل المساس بأحكامها ومصطلحاتها.. وإلى ذلك يرجع ثباتها واستقرارها ـ بمعنى جمودها.

لكنها مع ذلك، وبرغمه، تتغير، لأن كل مجتمع بُنْيَة حيّة، وليس قطعة من الصلب.. والصلب ذاته ألا يتغير بالمحاولة أو بالزمن؟ إن التغيير والتحوّل ـ والتطور ـ سنّة الحياة.. ما لا تغيره الاقتراحات.. والعوامل، يغيره الزمن.. وعوامل الزمن، في بطء.. أو في سرعة، الزمن نفسه، كحركة، أو كفرض، أو كمقياس للشعور، وللحركة ـ يتغير.

إن بين الزمن ـ والمجتمعات البشرية، علاقة تجانس وتنافر، كالتي بين الميول والعادات.

أنت تسير القهقرى، أو تقف ـ أو تجري.. هذه علاقات مع الزمن.. علاقات تجانس وإطراد، أو تنافر وتناقض.

هناك شيء آخر.. أناس يسبقون الزمن.. أحياناً يكونون أفراداً، وأحياناً مجتمعات كبرى يقل فيها قدر المصطلحات الثابتة.. ويتغير كل شيء فيها بسرعة الزمن.. وأحياناً أسرع من الزمن. من هذه المجتمعات مجتمعات تحاول أن تلغي الزمن، لأنها تحس تخلُّفه عن حركتها، أو تحس أنه مجرد اصطلاح.

إنها مجتمعات المستقبل، لأن حاضرها دائماً عبارة عن ماضٍ لحق بالزمن الذي هو عندها مستودع أو متحف لمخلفات الساعة الخامسة

والعشرين. ساعة الصفر التي تنطلق فيها المعارك بين الإنسان وبين المستقبل، ليتحول إلى المستودع الذي يعيش فيه الزمن مع مخلفاته ذكرى من ذكريات الساعة الخامسة والعشرين المنطلقة خارج حدود المكان والزمان وراء الذات العليا التي تتحول ميولها إلى عادات، وعاداتها إلى ميول، أو التي ليست لها عادات ولا ميول. الذات التي لا تصدّها الحواجز والمصطلحات والقوانين، ولا تنتظر أن يغيّرها الزمن، لأنها هي الزمن، وهي تغيّره. وتحوّله. وتطوّره لأنها أسبق وأسرع منه.

والآن ألا يكون السؤال وجيهاً؟ ما هي علاقة مجتمعنا بالزمن؟ وحذار أن تحاول الإجابة فأنا أعرفها والمجتمع لن يسمعها إلاّ ممن يعيش معه في ماضيه. في المستودع!

وإلى اللقاء

أخوك حمزة شحاتة

الأمور المعقدة

أخي محمد عمر

ضحكت من نفسي وعليها كثيراً عندما قرأت رسالتك.. وسألت: أمن المروءة أن يصرخ ويشكو رجل من امرأة؟ وكان يهولني من قبل أن أراك تعالج الأمر بهذا الهدوء وأقول في نفسي متسخّطاً: أترى الأمر لا يعنيه؟ ومما يسرك طبعاً أن يعديني هذا الهدوء منك فأعرف كيف أسخر بنفسي ومنها فإذا عقدة الاحتقان تنحل، وإذا بغيوم التوتر المتلبدة تنقشع.. وإذا أنا في حالة من الصفاء وسلاسة النفس والفكر والخيال، ليس ثم بعدها مطلب يستزاد.

نعم يا صديقي إنهم يقولون، فإن كان ما يقولون حقاً ففيم الأسى والألم؟ وإن كان باطلاً فمن الحق أن يكون باعث مسرة وارتياح وتندُّر.

أترى كيف كان لك الفضل في حل هذه العقدة؟ سلمت ودام إخاؤك أيها الصديق..

لم أستلم العدد الذي بعثته إليّ من البلاد.. ولعلّي آخذه غداً.. وأشكر لك فضلك عليّ بنشر الإعلان المتعلق بأفكار المقدمة.. وسيقول

الناس شيئاً عن هذه الأفكار فيسرني أن تبعثه إليَّ قصاصات إن لم يمكن أن تبعثه أعداداً ينشر فيها.

أما القصة «كاملة» فستعرفها بعد.. لقد كان المفروض أن تنشر هذه المقدمة باسم عبد الجبار، أو الفلالي.. ولكن سلسلة من «المقالب» غيَّرت الوضع، فمنع النشر، وإذا بالمقالب تتصل فيتم النشر.. ومن هذه المقالب أن شيئاً زيد على المقدمة، وشيئاً حُذف منها.. وأن سطوراً بحالها.. تحركت إلى غير مواضعها لتحل محلها سطور أخرى متحركة عن مواضعها الطبيعية..

فالمقدمة أصلاً، ثم بحكم هذا «التحريك» والحذف، والزيادة.. وبنسبتها إليَّ.. شيء لا يمكن أن أدعيه، ولا أن ينسب إليَّ..

هذا المعنى الأساسي الذي تدور عليه «القصة» التي ستأتيك قريباً أو بعيداً أما الأجزاء والتفاصيل فهي أطول واثقل من أن أقدر على سوقها الآن.

إن فيك الآن شيئاً يحيرني. سألتك متى وكيف اطلع الصديق على رسالة أو رسائل مني إليك؟ فأجبت جواباً غامضاً لا تنفي به ولا تثبت..

وكتبت إليك مرة أو مرتين منفعلاً.. وكان لا بد أن يكون لهذا الانفعال صداه المفضَّل عندك ومنك.. فطويت هذا الصدى في غيمة تكاثف بها الشك وازداد الغموض.

وكانت هناك رسائل لا بد أن يكون لها جواب تفيض به استجابة أو مشاركة، أو رجعاً.. ولكن الاعتذار بتراكم الأعمال، وتعقد الأحوال، ألقى عليها ظلمة لا يتخللها شعاع.

لك أن تقول: إنّها وساوسي.. وثق أنني لن أدفع التهمة عن نفسي ولكنني سأظل متحيراً إلى أن يتاح لشيء جديد أن يدخل رأسي آتياً منك، أو نابعاً فيه..

والآن أستطيع أن أضيف إلى هذه الظلمة المطبقة شيئاً جديداً.. شيئاً لي بذي خطر.. ولكنه شيء كان خليقاً بأن تقوله أو تتحدث عنه على نحو ما في رسالة من رسائلك.. هذا الشيء، هو أنك قرأت المقدمة المعروضة عليك، وأنك علمت أن عريفاً والسرحان قرأها معروضة لهما.. أفلم يكن هذا خبراً ـ على تفاهته ـ كان خليقاً بأن يكون له صدى عندك؟

أنت مشغول، مشغول ولا شك.. والشغل عذر يجب أن يكون مقبولاً بيننا على الأقل.. ولكن ألاّ تصدقني إن قلت لك: إنني في حيرة؟ ثم ألاّ تصدقني إن قلت لك أني أجد في موقفك مني شيئاً غير يسير من التكلف؟ لعلّك غاضب، أو منطوٍ على معتبة أو موجدة تتقلب عليها عادتك في تكتم ما يسوء أو يغشى أو يحزن أو يحيق؟

لقد اعتدت مني أن لا أكتمك شيئاً من سريرتي، فأنا بهذه العادة ألقاك الآن.. فإذا كنت لا تقول غير أني واهم.. فسأصدقك وأتهم نفسي وعقلي.. ولكن هذه الحيرة لا تنفك تلازم نفسي وعقلي حتى يتيح الله لشيء معقول يقال، أو لشيء معقول يَحْدُث، أن يخلصني منها، أو يخلصها مني.

وبعد فما تزال أنت أنت عندي بهذا، وبغيره، ورغم آلاف المؤثرات.. والدواعي.. الصديق.. والأخ، ويسرني أن أكون مفهوماً عندك على هذا الأساس وحده، ولا شيء بعده.

لم ألق محمد نور غير المرة الأولى.. وكان المرض يلاحقني كل يومين أو ثلاثة، مرة تدوم فتطول أو تقصر على العموم فإن محمد نور بخير.. ولكن اقتضى الأمر أن أطلب توكيلاً يعينني على حل سلسلة طويلة من الأمور المعقدة..

كما اقتضى الأمر أن أكتب إلى الصديق في هذا البريد راجياً ـ إن كان في إمكانه تدبير الأمر ـ أن ألحق بناتي بمدرسة داخلية على موازنة البعثات رغبة في التحرر من محنتي بهن وبمصيرهن.

ولم أفض إليه بالباعث على هذا الطلب، طبعاً.. وسأنتظر كلمته.. وطلبت إليه أيضاً أن يدبر لي أمر الحصول على جواز خاص أحمله فيعفيني من قيود الإقامة ومفاجآتها المخيفة المربكة.. أملاً في أن اقتحم باب أي عمل يعتمد على المجهود في مصر.. فقد هالني أن أعود إلى الحجاز مجرداً من كل شيء..

وقد فقدت حتى الآن من وزني ما يقرب من عشرة كيلو.. وهذا ليس بذي بال، ولكني أقوله للدلالة على عنف ما أخذني من المؤثرات..

ولا أود أن أثقل عليك باستطلاع رأيك، فلن يكون لك رأي في الأمر غير أن انتقل إلى الحجاز بعيالي.. وهو الرأي الذي يزيدني شعوراً بسوء الحالة بالنسبة للعيال.. ولن تقول معي: كيف؟..

إنه إذا أُتيح لي أن أعود مفرداً، كان هذا المعقول لا غيره.. وإنه إذا أُتيح لي أن أتخفف منهن بإلحاقهن في مدرسة داخلية، كان في وسعي أن أزاول أي نشاط بالرحلة إلى الحبشة أو عدن أو السودان أو الحجاز وما الحجاز إلاّ آخر ملجأ..

لقد عقدت عزمي على أن تكون هذه الواقعة آخر وشائج اتصالي بأخي.. فلم يبق في داخل نفسي شيء ينهدم.. إلاّ الرمق الأخير..

أرجو أن لا يرد على نفسك من هذا المؤثر ما يؤلمك أو يشغلك بالانقباض به.. إنها غاية من غايات الحياة يصطدم بوعرها كل من يهب حياته ونشاطه وحيويته للآخرين ولو كانوا الأهل والأشقاء.. وهي غاية كل مجرب يغلبه الحمق، وضعف الرأي، وانحلال الطبيعة أن ينتفع بتجاربه ويستثمرها.. وأن يفهم الواقع. ولكن ما عند الله خير.. وما أسأله إلاّ حسن العاقبة، وسلامة المصير..

تقبل تحياتي وإخلاصي وأشواقي أيها الأخ الصديق وإلى اللقاء.

أخوك حمزة شحاتة

عاقبة الدس

أخي محمد عمر

ليست الخمسون، سناً ملائمة لاحتراف الكتابة في الصحف!.

هذا ما انتهيت إليه عندما تلقيت اقتراحك.. وما أزال حتى الآن متردداً في اختيار ما أقوله لك لأتفادى المسألة.. مسألة أن أكتب بأجر.. لا إيثاراً للهواية على الاحتراف، ولكن هرباً من الالتزام..

لقد هجرت الكتابة أربعة عشر عاماً.. فما الذي بقي لها مني وفيٍّ بعد فترة هذا طولها باستثناء عرضها وعمقها، وما لا يدرك أو يعبر عنه من أبعادها الأخرى، وفي حساب الزمن، دون حساب الشعور، والنفس، والعقل، واختلاف أطوار العمر والقدرة والخيال.. بعد هذا الشيء الكبير الذي سقط من حياتي، كما سقط كل شيء بعده وقبله؟

حتى القراءة الجادة يا صديقي، سقطت في ما سقط من حياتي واهتماماتي.. نتيجة لتوافر الصوارف وعوامل الاستغراق في ما لا تنهض به بقية النشاط المثقلة بأعباء اليوم.. والليلة.

إن من مرويّات الحكمة أن لا تبدأ حباً جديداً، قبل أن تتخلص من القديم.. بمعنى أن لا تخوض معركتين في آن.

والكتابة الملتزمة ليست متْحاً من بئر يكفي له الحبل والزند، ولكنها عمل يقتضي التفرغ لوقته، وتجشّم المشقّة لإدمان القراءة ومتابعة الدروس على مستوى من الدقة وحسن التدبير لا يعين عليهما إلاّ الوقت والجهد، وحماسة الدوافع وحضور اليقظة والانتباه.. أو أن هذا ما يخيل لي الآن، ويمليه عليَّ تصلّب عضلاتي وأعضائي..

فأين أنا من هذا وقد غلبني فتور الأمراض، وأخذتني ركدة السن ووهنها، ودساس كلال العقل والجسد؟

ومجال النشاط الصحفي اليوم خاضع للسرعة، وخفة الحركة.. واليد..! ووجيف الطبع، فعلى من يغشاه أن يتهيأ له، وأن يستبدل الحلج والجمز، بالتؤدة والأناة، واعتدال الخطوة ووزنها وتقديرها، لضرورة المساوقة..

وهذا تغيير لا بد أن تدور ـ حتى تستقر ـ عليه الممارسة والمران طويلاً إلى أن يواتي.

والانتقال من حال إلى حال تغايرها مشقة يستعان عليها بالصبر وتحريض الطاقة واستفزازها، مع سعة الصدر ومهادنة الضرورات!.

فما حاجة قرّاء الجديد وشهوده إلى انتظار ما سيكون، والحاجة مقضية بالميسور الذي انقضى اختباره، وتم قبوله وإيثاره ونهض به ما هو كائن؟

وها أنت ترى أن سرعة العرض والانتقال تنقضي، وأن هذا يعيبك مني وبي، ويثقل برأسك حتى الضجر.. وأنا معك في أنه شيء كدوار البحر لراكب السفينة، لا تشفع فيه السرعة حتى لو تحول إليها بطؤها، فصارت في سرعة الطائرة، لأن المسألة هنا مسألة الدوار، الذي يتضاعف بالسرعة

مصابه، على راكب البحر.. وهذه هي العاقبة التي ينبغي أن تخشى شرها، بكل ما في وسعك من الحيطة والحذر والحرص على اجتناب المجازفة.. لو تحولت من البطء والتركيز، إلى السرعة والتخفيف، بمعجزة ومعجزات المران والمحاكاة..

فعسى أن يصرفك ما أصبت، عما تريد، وتكون قد ضمنت السلامة وثوابها على أوسع نطاق، لي، ولك، وللقرّاء، فهم مصب الرزء على أي حال.

ضحكت من تهديدك بنشر رسائلي إليك، فما يخيفني من النشر والإذاعة، أهون مما يخيفك، وما قد يصيبني مِن الشر منهما أيسر مما يصيبك.. إن ما يدور بين الناس أو بين اثنين منهم في الخفاء، سر يستوجب الستر، على قدر ما فيه من مغايرة للعرف، أو من تخييب لآمال الناس في سرائر بعضهم، فأنت موكول إلى القرّاء في ما تطلق عليهم من سوء يضيقون به، وما زال سوء الاختيار لهم مثار سخطهم على الفاعل، لا على التارك!..

وعلى أن النشر يخلو مما يثير قلقي وقلقك، فماذا يمكنك أن تختار، وأن تدع؟ وكيف؟ ولماذا؟ وعلى أي نحو، ولأية غاية؟ إنك ستبذل من الجهد، وتحتمل من العناء ما يشغلك عن (مقطوعيتك اليومية).. في البلاد.. والعباد.. وماذا عن قرائك إذا قايضتهم بما يكرهون مني، بما يحبون منك، وإذا أعطيتهم ما يألفون بما لا يألفون؟ أتراك إلاّ خاسراً رضاهم عنك، وارتياحهم إليك، وإقبالهم عليك بالشوق والمثوبة والترحيب؟

إن بعض هذا يا صديق، جدير بصرفك عن فضول تسوء عواقبه، ولو

أن غايتك الإحسان والاستجابة لدواعي المروءة في أصدقائك أو أعدائك، فما يشتغل بالناس عن نفسه إلاّ أحمق.. أو هذا ما يؤمن به القرّاء الحصفاء ذوو البصر!.

ولعلّك تعلم علم اليقين أن مثل هذا الحمق، قد أودى فيَّ بما كانت بلادي.. وبيتي.. وأهلوهما، ينتظرونه مني، من يسر ونجح، يجريان على شرط الأمل وتوقع النفع.. فهل كان هذا هكذا إلاّ بسبب الفضول بلونيه اللازم والمتعدي؟

وأنت لو قضيت عمرك كله، تدخل في ما يخرج منه الناس، وتخرج مما يدخلون فيه، لما بلغت في ضرار نفسك بذلك، ما تبلغه بالفضول. ولست آتيك بهذا عن طريق العلم وحده، لأن ما حصل لي منه وفيه، بالتجربة، والخبرة، أضعاف ما حصل بالعلم والتلقي، وما العلم إلاّ تجربة الآخرين.. ما في ذلك شك.

والآن فليس لك إلاّ أن تفكر بجد، في ضرورة التأكد والاحتراز عند نشر شيء.. أي شيء لي ـ أو باسمي، إن حدثتك نفسك بأن تنخلني بعض ما تضع، للكيد لي، أو للقرّاء.. وأنت أفطن لسوء عاقبة الدس لهم ممن استحوذ على إعجابهم وثقتهم به ـ أعنيك أنت ـ.

ولقد رأيت في شراسة مدخلي عليك وجراءتي، أنه ليس ثَمَّ ما يخيفني، لسعة أبواب الخروج مما تصطنع لي من مآزق.. وقد عرف القرّاء لي في ما مضى من علاقتي بهم، شيئاً من الرصانة، ومن استقامة السمت، تضاعفه السن، وتوفر التجربة، والملابسة الطويلة للحياة والناس! فما ظنك بمروءاتهم، متى استعديتهم عليك!!

ألاّ تراك خفت العاقبة، وتراجعت مرتعد الفرائص منها؟ تماماً كما كنت تفعل عندما يزين لك التسرع، والإقدام على نقلة خطرة، لحجر من أحجارك على رقعة الشطرنج، أيام كان لعبتك المفضلة، فأكاشفك بخطورتها عليكن فتلوذ بالفرار منها.. لتلعب غيرها؟

فإلى اللقاء إذن، على ما شرعه بيننا حسن العلاقة، في القرب والبعد.. وحفظك الله لأخيك.

حمزة شحاتة

عملية تطهير

أخي محمد عمر

ينبغي أن أبدأ بتهنئتك، فأنت الآن كاتب آخر، لا يشبه من قريب ولا من بعيد أي كاتب كنته. تخلصت من رائحة ديل.. ومن عبير سيدة المكسيك الأولى.. في مذكراتها عن زوجها الحبيب البطل القديس الذي كانت المرحومة مخدوعة في بطولته وقداسته، ومن تأثير غرزة أنيس منصور، والشناوي، ودوقة وندسور..

إنها ولا شك عملية تطهير واسعة النطاق، تماماً كعمليات التطهير التي كنت ولا تزال تقوم بها في نهاية كل عام للتخلص من الصداقات الزائدة.. أو التي استنفدت أغراض وجودها..

وأنت جدير بالتهنئة والإعجاب لقدرتك على التجرد.. والتجديد.. فأنت في رسالتك هذه بطل من أبطال القصص أكثر مما أنت كاتب.. أو أديب.. أو مفكر.. أو حتى صديق.. وهذا الانقلاب نتيجة طبيعية لارتباطك بالقصة التي نقلتك من جو «المحلية» الضيق.. إلى جو «العالمية» الرحب. فكلامك ـ «العود» ـ وهو ما يزال في خشمك ـ كلام بطل من أبطال القصص.. البطل الذي يحل كل مشكلة بالسخرية منها إذا كانت

أهون، أو أخطر، ممَّا يقدر لها. إنه الطابع العالمي! الشائع في القصص.. وما يزال للسخرية قدرها وسحرها، من حيث هي مهرب يضمن الأمان أو الشعور به من كل ما يخيف ويروّع أو يثقل ويؤود.. وقد يكون هذا صحيحاً من وجهة منطق الشعور.. والطاقة، فالبسيط لا يقتضي الجهد والاشتغال لتفاهته، والعظيم لا تضطلع به القدرة ففيم تجشم العناء إذاً؟ إن النكتة تتكفل بالحل.. وتحقق البطولة.

وأظنك تجد الآن مثلي أن البطولة من أهون المطالب، وأقلُّها عسراً بل لعلّها أهون مطلب على كل صاحب همة أو مراد لأنها عبارة عن إلقاء موعظة في قالب نكتة، أو نكتة في قالب موعظة، وتنحسم العقدة بإيجاز.

وعلى هذا النحو، فإن صاحبك الذي تقدمت إليه في طبع قصتك أو تهيئة الجو ـ في مصر ـ لطبعها.. من الأبطال أيضاً.. أبطال القصص.

فالقصة ـ عندك ـ عالمية، وهي بهذه الصفة متوافرة النظائر والأشباه لوفرة سكان العالم وسعته ولاتساع نطاق القصة بينهم وغزارة (إنتاجها). وماذا يفوت على عالم كهذا ـ من وجهة نظر صاحبك ـ بأن لا يتهيأ الطبع والنشر لقصة لا تتعرض للرأسمالية.. والاشتراكية.. والشيوعية.. ومشاكل العمال.. والطعام والعمل.. والأجور والجنس والصراع بين الشرق والغرب.. وهي مشاكل العالم الكبرى اليوم! إنها قصة عن زوج.. وزوجة.. ورجل آخر، فهي من المسائل التي تمت تصفيتها آلاف المرات من أيام المرحوم.. كارل ماركس.. والمرحومين.. دوماس الصغير والكبير.. وهيجو.. وأمثالهم من تحت ومن فوق.. وفي كل زمن ووطيء.. وبعبارة أكثر وضوحاً أنها من المعروضات التي انطوت أسواقها

على مر الزمن المديد.. وأرجو أن لا تنسى أننا نتحدث عن العالم.. وعن قصة عالمية..

إن من المشاكل التي لم تتعرض لها النخوة حتى القرن التاسع، مسألة أن يكون للزوجة حق اختيار أي عدد ونوع من الرجال لصداقتها.. مقابل أن يكون للرجل حق إثبات الخيانة الزوجية بما لا يدع لدى القضاة شكاً في ممارسة الاتصال الجنسي، وبما لا يدع شكاً عندهم في سلامة عقله وأعصابه..

وقد تطورت وسائل الانتقال السريع.. واتسعت الرقعة التي تنتشر بها الأعمال.. والمصانع.. ووراء كل هذا نظام العمل.. وتغير عقليات المجتمعات بالمؤثرات الناشئة عن تطور الحياة.. واستبحار العمران وعذراً لاستعارتي تعبيرك.

وفي ظروف كهذه لا يكون هناك معنى لقصة تقوم عقدة الصراع فيها على زوج.. وزوجته، ورجل آخر فقط.. وشيء آخر، أين ـ في غير الشعوب التي تستمتع بكامل بدائيتها السعيدة ـ رجل آخر.. يستطيع أن يضع نفسه تحت تصرف زوج وزوجته أكثر من المدة اللازمة.. لقضاء الغرض؟ وأن يظل بين يدي الزوج.. أو كاتب القصة، حديدة في يد صانع؟ ثم أن لا يكون بإجمال هذه المشقة.. بطل القصة دون الزوج؟ وحتى تنتهي؟

كلام فارغ.. حتى في اليمن السعيدة ـ بعد طيران البدر إلى روسيا ـ وحتى إذا كانت القصة «محلية».. فكيف إذا كانت «عالمية».

إنه جانب من وجهة نظر صاحبك البطل، تتضمن الحل على أنه السخرية والسخرية على أنها الحل..

وسوء الحظ أن يرتطم بطل ببطل.. فالقصة لا يقيم البطولة فيها بطلان.. ولقد ترصد لك سوء الطالع في شكل بطل.. أو البطل في سوء طالع.. فتلازمك البطولة بالثمن التقليدي نفسه.. السخرية.. وفي ظنك أنه ذو أهمية لأنه يمثل جزءاً من نفسك في فكرة.. أو مقصد من أفكارك ومقاصدك أنت لا من أفكاره ومقاصده هو..

وهنا تبرز مسألة إلفورد كوحدة من وحدات الدور.. وبالتسلسل. لقد عاشت فيك فكرة.. تحولت إلى حافز.. فمحاولة قدر لها أن تشل.. وأن تتلاحق صور فشلها بتكرار التجارب.. والاختبارات.. وأن يلد هذا الفشل مشكلة.. امتلأت بها أبواب الزمن الثلاثة: الماضي.. والحاضر.. والمستقبل.. وأن تقتضي هذه المشكلة حلاً.. وأن يكون الفرق بين الحل المُرضي ـ بضم الميم ـ والممكن تأتيه رقماً من الريالات أصبح التسليم به مشكلة أخرى.. فأدت إلى مشكلة «التخزين» عاماً هبطت به القيمة.. ولم تصعد. وانتقلت إلى التاريخ لترتبط به على نحو ما، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، علاوة على ارتباطها بالأعصاب.. وبالمجتمع في تبادل التأثر والاشتغال.. أو السخرية والهزء من المشاركين والشامتين.

أليس هذا من سوء تقدير الناس لسلعة ذات أهمية، في تحقيق دخل قومي ثابت، تحمل كل هذه الشحنة من ذكريات عارضها، وحوافزه، وآماله، ومقاصده، وجهوده.. وأخيراً كفاحه.. وطابعه الأدبي والفلسفي..

وبطولته؟

وقد آن أن أسألك عن اسم صديقك الضيق الفكر الذي تشغله القاهرة عن أمر جيد كطبع قصتك.. العالمية؟ إنه لعقوق بالعالم يا صديقي ما

يصدر عن رأس تصيبه ذرة إدراك. ودع ما فيه من العقوق بحقك عليه، وسابقة علاقتك معه، وأنا لا أعرّفه حقاً.. ولكن لا بد أن يكون الأمر بينك وبينه حرياً على ما أوجب لك عليه الحق والدالّة.. وإلاّ لما استثقلت منه ما استخف به من جانبك ومن حرمة حقك، وحق العالم رقعة.. وسكاناً يفيضان بالحاجة إلى رسالة تحملها قصة لا يغني عنها ما سبقها من ملايين القصص. إنها غفلة ما أحسب أن الله يغفر للمصاب بها زلة من زلاته.

وتأخذني الرحمة به وأقول: لعلّ له (فورداً) وأنت تلوم.. أو لعلّ له قصة لم تقسم البطولة فيها بعد لأحد.. فقام هو فيها بديلاً عن البطل.. كما يقوم رشيد عنك بالعمل كله في إجازاتك المتلاحقة.. ونصيبه «ربع راتب الوظيفة!» أي وفي حدود النظام.. حتى تعود وتتسلم كرسي البطولة..

وسمعت كلاماً عابراً عن دكاكين.. وبيبان.. وهو مشروع سيكون إن شاء الله محمود العاقبة، فالحاجة إلى مثله ماسة من أوساط الناس وعليتهم.. قادرين على الدفع.. أو غير قادرين.. وكنت مشوقاً إلى أن يكون كلامك عنه عرضاً لما ستكون عليه حالته، فمن المرجّح أن أكون أحد زبائنه المستديمين، ولا سيما إن حُسِبَ فيه حساب الوافدين المنقطعين مثلي، وإن كان من مبادئه البرُّ بهم ومسايرتهم على ما يستطيعون.. وما لا يستطيعون. .اجتلاباً لحسن الأحدوثة من ألسنتهم الشاكرة.

أتنوي الشروع في قصة أخرى! إنها قصة.. الفورد موديل ١٩٣٦ أو ١٩٤٦ فقد نسيت تاريخ صدوره.. قصة لا تختلف عن قصة رجل متفائل

بزوجته اختارها على حسن القالة من العارفين بحالها.. تزوجت رجلاً.. أو رجلين قبله.. وتركت وراءها من الحالتين ذكراً حميداً!! ولكنه النصيب اقتلعها من يد الرجلين ليسعد بها الثالث الذي ازداد.. إيماناً بأنها جوهرة أحالها القدر في يديه إلى جمرة تأخذ منه أضعاف ما أخذ منها.. والباقي للقصة.. وبطولة الزوج.. ولن تعدم رجلاً آخر.. فهو على التقريب أو التخصيص الذي نازعك هواها.. وأغراه بها أو أغراها به.

إنها القضية التي تدور بها أمثال هذه الأمور في بلاد ما يزال لدى أهلها الوقت والمزاج والرغبة في تتبع الأسرار! والمجهولات! والغوامض.. والعلاقات والهيام بالقصة.. وتعريف السيارات.

لا تتسرع إن أمامنا وقتاً طويلاً.. وبهذه المناسبة إزاي محمد أحمد..

إلى اللقاء أيها الصديق.. وسلمت.

أخوك حمزة شحاتة

١٩٦٠م

الــرزق المقســوم

أخي محمد عمر

لم أجد الشجاعة الكافية لرفض اقتراحك.. والواقع أني شعرت بتخاذل أعصابي تجاه الدعوة إلى أن أكتب بأجر.. بصرف النظر عن كونه ملائماً لمساعدة مواردي المحدودة، أو متكافئاً مع تحولي من الهواية إلى الاحتراف الذي هو تغيير يقتضي شيئاً من المرونة أراه الآن يعجزني.. نظرياً.

من حسن الحظ أني أصبحت مؤمناً، إيماناً جاداً، بأن الحياة عبارة عن تغيير مستمر ـ تغيير لكل ما فيها ـ وأن ثبات اطّرادها، يتنافى مع ضرورات النشاط البشري الذي هو عبارة عن مجموعة من التحولات.

ترجمة هذا الكلام إلى مفهوم واضح، يعني قبولي للمبدأ.. مبدأ تطليق الهواية، والتزام الاحتراف.. ولا بد أن اكتسابي المرونة الضرورية للاحتراف، لن يستغرق وقتاً أطول مما يحتمل صبر الصحيفة على كاتب قديم يتحول إلى جديد.. لن أشق غبار السابقين وبالتأكيد.. ولكني سأجد محلاً في المؤخرة.. أو على مقربة منها، إلى أن تقع المعجزة.. وإذا قُدِّر لها أن لا تقع، فالأمر لن يكون مقلقاً إلى الحد الذي يبرر الندم على الارتباط بيني وبينها.. فما يزال بين القرّاء على الأرجح، قطاع.. آدمي..

ثقيل الحركة، لم يتحول بعد إلى مستوى التجانس مع معطيات السرعة!

سيعطيني هذا القطاع، عدداً كافياً من العملاء، أقصد القرّاء المتجاوبين، بالقدر الذي يكفي لضمان الرزق المقسوم، بمعنى أنه يكفي لتقرير لون من الأهمية قابل للتطور..

الأهم بعدما تقدم أن تصغي إلى وجهة نظري، في ما يتطلبه تحولي عن الهواية، من نوع الاستعداد ومتطلباته.. فأنا سأقرأ، أي لا بد أن أقرأ كثيراً، بعد انقطاع طويل، لأعوّض ما فاتني.. وسأقبل على الحياة والناس، وسيقبلان عليَّ، وستفرض عليَّ هذه العلاقات المستأنفة نشاطاً يتسع نطاقه باستمرار، فأين الطاقة والجلد على كل هذا؟

ولن يسعني الهرب من تبديل مظاهر حياتي التي اتخذت إلى الآن مجرىً محدوداً، في إطارات ضيقة جداً، تشبه قوالب الضغط والكبس.

هذا تطور ينبغي أن يحسب حسابه، وحساب جرائره وتبعاته، حتى بالنسبة إلى أسرتي.. وخاصة أصدقائي الذين لن يفوتهم العلم الصحيح بحقيقة الحال.. والرقم!

إن كونك تعمل عملاً ما، لا يعني إلاّ اتساع نطاق إمكانياتك مادياً.. ومن هنا أتحول من رجل في (قوقعة!)، إلى رجل يحترف عملاً، في صحيفة ناجحة، وبأجر يزيده الغموض، والقياس، والتخمين ـ قابلية أتوماتيكية، للنمو، والارتفاع، والتضخم!

باختصار، وبعد تحليل الموقف على هذا النحو، معقولاً كان، أو غير معقول ـ إن الأجر المعروض في الاقتراح، لن يغطي بحال، احتمالات المشروع ـ وتكاليفه، وبإيجاز، مخاطره..

إنها صراحة علمية ـ من النوع الذي كنا نستنكره، قبل أن تصير الأمور إلى ما صارت إليه..! ولكن يزكيها واقع الحياة ومقاييسها.. وإذا لزم الدفاع عنها، فإن إعلاناً تجارياً يشغل، ولمرة واحدة، مساحة ما أكتبه في الأسبوع بمعدل نصف صفحة على الأقل، سيمثل ضعف أجري لشهرين، وربما لثلاثة على التقريب!

يبقى بعد هذا أن الجريدة لا تتجشم من مشقة العمل والمسؤولية الأدبية والاجتماعية، وربما الرسمية، ما يتجشمه الكاتب، مع إغفال شتى الالتزامات الخفية والظاهرة!

ليس هذا تعقيداً للمسألة، بقدر ما هو تبسيط مخلص لها.. يدل على ربة جادة في الالتزام!

إني أدرك مقدماً أنك ـ إذا كنت وحدك ـ ستخرج لسانك لي ـ وأنه سينطلق بكلمة أحمق ـ أو خيالي ـ أو دون كيشوت.. وسيكون ذلك مؤسفاً، ليس لأنه دليل على سلاطتك، بل لأنه يضع حداً مؤلماً لخيالي الذي ما أنكر أنه نشط، ولاقتراحك، ولسمعتي كهاوٍ واشتهر في ماضي حياته بالتصوف ـ والزهادة ـ والرومانسية الحالمة!.

سيكون من حقك نشر رسالتي هذه، ليدرك القرّاء، أن فساد الاحتراف قد زحف إلى نفوس الهواة أو لتأجيل حكمهم، أعطيك حق نشرها، على شرط الهواية، بلا أجر ولكن أتراك تخدم الحقيقة والفن بنشرها؟ لا..

لشد ما قد يسخر الزمن من كفاحنا يا صديقي، منذ كانت حياتنا.. على ما يشبه السراط.. زحفاً وانطلاقاً، شيئاً معلقاً في الفضاء، لا ينتسب

إلى الأرض، ولا إلى السماء.. أو كأنها الصلب الذي لا ينتهي فيه عذاب المصلوب بانقضاء أجله!

والآن أتعتبر رسالتي هذه مقارنة سطحية، أو شكلية، بين المقالة الأدبية، والإعلان التجاري في صحيفة واحدة؟

أرجو أن لا تقع في الشرك.. وإلى اللقاء أيها الصديق الحبيب.. وشكراً..

من أخيك حمزة شحاتة

اتصال الشعور

أخي محمد عمر

لم تكن الرسائل بين صديقين قط من وسائل تأكيد الشعور بنمو الحب وإطّراده، أو هذا ما يصح عنها بيني وبينك على الخصوص وكلانا يعرف أن الحياة تبتلي الناس الآن بما يجعل فرائض الصلات بينهم نوافل وبما يجعل النوافل فضولاً وبما يجعل الفضول حماقة و (سقاعة). وهذا هو شأن المشاعر الإنسانية في ظل الزحمة واحتدام الصراع وتجمّع العقد.

وقد لا يكون مما قُدّر أن تضيق الحياة بالإنسان كلما كثرت مخارجها ومداخلها واتسعت، ولكنها حضارة الأشياء وما ضاعفت الأشياء من احتياجاته ومطالبه، لو اقتضته من زيادة الجهد والكدح والنصب التي صارت ألواناً من الشقاء، تتوالد وتتكاثر حتى هددت كل مصدر من مصادر راحته وطمأنينته واستقراره، فكان لا بد أن يموت لكي يعيش وأن يلقى نصيب نفسه ليلزم نصيب عيشه وأن يسخّر فيه ما هو أعلى لما هو أدنى وما هو أيسر لما هو أشق، فيعيش بالأشياء ولها معجلاً مصروفاً حتى عن الانتباه لذاته حتى ينتهي.

وكلامك هذا لم يعد مما يتسع له صدر القائل ولا صدر السامع لولا أنه كلام مناسبة.

إنني يا صديقي أحس باتصال الشعور بيننا وبصدق دواعيه وبواعثه، إحساس بذاتي فأنت لا تبرح فكري في أحلك ساعاتي وأضوائي كما كنت وتكون دائماً وأرجو أن يتيح الله لنا لقاء قريباً.

لم أسمع إلاّ منك نبأ زواج فوز كتب الله لها ولأخوتها الخير والتوفيق في ظل حياتك الصالحة وأعانك وأعانني بالصبر والرحمة واللطف والتوفيق إلى طاعته ورضاه.

وصل المبلغ مقابل المائتي ريال وليتك لم تبعثه لأن ما نشر لم يكن شيئاً يقصد نشره وإنما كان كلمة من صديق لصديق جرى ما فيه على شرط الهواية.

تحيتي وحبي وإلى اللقاء..

أخوك حمزة شحاتة

١/مارس ١٩٦١م

دولاب الحياة

أخي محمد عمر

الكلام على الحياة وعنها بهذا الأسلوب في رسالتك اليوم كلام معقول أو هو أولى بأن يكون الكلام..

هذه هي الحياة يا صديقي، ولا شيء بعد ذلك.. دوامة.. إعصار.. دولاب دائب الدوران. قطار مزدحم بما ومن تعرف وتجهل، من الحوادث والحركات والناس. يسرع تارة حين يكون الإبطاء ضرورياً.. ويبطئ عندما ينبغي له أو لك أن يسرع.. لا يبلغ بك حيث تريد بالضبط، ولا بالتقريب، وإنما حيث توجهه التحويلات.. وهو مختلف عن نظام القطارات بأنه يمشي إلى الوراء أحياناً.. ويكتفي «بالكسكسة» أحياناً، وقد «يُبَلِّط» بك حيث يكون «التّبليط» خطراً غير محمود العاقبة ولو بتفويت غرض من أغراضك.. وفي أنك لا تملك النزول منه عندما تشاء، وإذا بدأت الرحلة عليه، فلا بد أن تتمها.. وتمام الرحلة ما يراه هو، لا ما يراه راكبه.. فإذا «بلَّط» بك دون غايتك أو بعدها فقد حقق بما أخلف منها، غاية آخرين.. الراكب فيه على المجاز، مركوب على الحقيقة، أو الراكب فيهن مركوب عليه في الوقت ذاته..

وتنظر يمنة ويسرة وفوق رأسك، وتحت قدميك.. فلا ترى إلاّ أمواجاً آدمية تتدافع، متقابلة ومتدابرة ومتواكبة أو متقاطعة.. لا عرف ولا نكر.. وهناك صرخات تبدّد السكون.. أو تهزّ بعض المشاعر في بعض الراكبين المركوبين، ولكنها لا تهز القطار.. ولا تسرع به، ولا تبطئ، ولا تقف به.. إنها صرخاتُ الضحايا يتكفل بها الهواء كما يتكفل بهم التراب..

وصرخات أخرى رتيبة هي زفرات الشاكين.. المنكرين.. المكلفين بأن يعرفوا لهذا.. أو لكل شيء فيه، معنى.. تذوب في هذا الصخب بين عجلات القطار وقضبانه، وبين هدير هذا البحر الآدمي المضطرب.. هي صرخات الذين ضاقوا بهذا العبث.. وبهذا الجنون، إنهم يصرخون.. ولكنهم يسيرون بالسرعة نفسها التي يسير بها القطار.. ولو سكتوا لما تغير شيء.. ولكن كيف يسكت المتألم.. إن الصراخ صوت تفجر الآلام والمتاعب في النفس.. أو في العقل.. لماذا لا يكف القطار عن الجلجلة؟

هذا هو مبدأ الرحلة، ومداها، وختامها.. وليس هناك شيء آخر فيها.. إنه قطار يعيش فيه الناس إلى أن تنتهي أعمارهم.. قطار كبير يجر وراءه عربات لا عداد لها بعضها محجوز.. يدخله من تشفق الحياة على أعصابهم المترفة من الضجيج والزحام.. والاختلاط المزهق.. يعيشون فيه.. وينسلون نسلاً سعيداً يرث هذا الميراث فينعمون به أو يحرمونه إذا انتقلوا إلى عربات أخرى.. لماذا؟ ينبغي أن لا تسأل؟ إنه منطلق القطار.. تبدأ الرحلة عليه في عربة محجوزة.. فيدفعك الضغط.. أو شيء غيره.. إلى عربة من عربات الخليط.. لا تصرخ.. إن الصراخ لا يجدي.. أو تبدأها في عربة من عربات الخليط.. فإذا أنت في عربة محجوزة! لماذا؟

من الخير أن لا تسأل.. فليس ثم من يجيب.. ولا من يقف ليصغي.

هذا كل ما في الأمر.. أنتِ سائر على كره أو رضا.. وسائر ما وقفت أو تحركت.. بقوة الدفع من خلفك وجانبيك.. فأنت مدفوع.. ولكنك دافع.. ما أمامك.. إنك دافع، ولو لم تتحرك.. ماذا ترى الخلاص!..

فعليك أن تعمل إذن، عملاً يعطل الدفع من ورائك.. وعملاً يضع الطريق لك أمامك.. وستظل دافعاً مدفوعاً.. إنك لا تلقي بنفسك من النافذة حتى يدفعك إليها ضغط القطار ثم إلى خارجها.. إذا أنت قد انفصلت من القطار. إنها مأساة لا يقف لها القطار.

هذا مبدأ الرحلة.. ومداها وختامها..

عرفت من خطابك هذا الأخير أنك في حالة صراع.. لقد عرفت بالتجربة أنه لا حل لمثله إلاّ بأن تسلم جسمك للتيار يمضي بك.. إنك لن تبلغ ما تريد بمجرد الجهد والإرادة ولكنك واصل على كل حال سليماً أو معطوباً إلى دون ما تريد.. أو فوق ما تريد.. أما ما تريده تماماً!.. أما ما تريده بالضبط!.. فلا ـ لأنه السعادة التي لا يستحقها النقص البشري..

إن الإحساس رزء.. ولذا كانت زيادته.. جنوناً.. أو شذوذاً... أو انحرافاً، والإنسان مرتبط بمصيره من أول الخط إلى آخره.. كما يرتبط راكب القطار به، في المثال.. فإذا لم تنقص كمية الإحساس ـ إن جاز التعبير ـ فلا أمل لذي إحساس في الراحة.

إني أعرف طريقة واحدة للتراجع بهذه الكمية تدريجياً.. هذه الطريقة.. هي العمل الثقيل.. الكالح.. المغشي.. بآليته المميتة..

وبواردته الكريهة المريرة، وبامتحانه القاسي العنيف للجسد، وللنفس، وللعقل، وللمشاعر، والوجدان.. إنها عملية تبليد تنتهي إلى التبلد.. ونسيان الفقدان.

إن عمل الإحساس شبيه بعمل الذاكرة.. متى فقدت الذاكرة زال ما يؤلم.. ولم يبق ما يُفرح.. وها أنت وقد أُتيحت لك التجربة.

إن العضلات لا يضفرها إلاّ النصب الشاق الكريه.. لكل شيء ثمن، وثمن الراحة القناعة والقناعة حرمان..!!

لقد تقدمت أساليب الاقتصاد والتبادل في ماديات الحياة.. أما في معنوياتها.. فما تزال الطريقة السائدة هي المقايضة.. تريد الخيال الذهبي المجنح؟ حسن، أتقايض عليه بنصيبك من الواقع؟ شيء بشيء.. على القاعدة الفطرية: الأقوى رغبة.. أضعف موقفاً: إنه العرض والطلب، إنه القانون في نظام الحياة الواعية.

والآن أتراني قلت شيئاً يَسُرُّ أو يُقنِعْ، أو يحلُّ إحدى عقد الصراع القائم في نفسك؟ كلا.. إنما هي وصفة من وصفات (ديل) صديقنا القديم الثرثار الذي يشتري كل شيء في بلاده بالدولار الأمريكي. فما عليك إلاّ أن تصفح عني.. وتدع القلق.. وتبدأ الحياة.. دُر بالدولاب أو فدعه يدور بك. أأزيد أم أقف.

ليتك تعيد إليّ هذه الرسالة لأقرأها فإني الآن أكتبها ولا أقرأ منها حرفاً.

أكتبها كما كنت أتكلم إليك في جلسة من جلساتنا التي ضيَّق مساحتها أنك بعيد.

إن رأسي ينوء.. والضوء الذي أكتب الآن عليه.. يتراقص ويتقطع في عينيَّ.. والغرفة تميد بي كما تميد أمواج البحر بالغريق. ولولا هذا لمضيت بك على هذه الوعور إلى غير غاية.

أيها الصديق.. كان الله لك فيما تعاني في نفسك مما فيها ومما في خارجها.. إن الحياة تسمم طويل الأمد لكل من يحمل صك آدميته في يده. وهبنا الله الثبات.. ووقانا الزلل وقادنا إلى الهدى وأنار ضمائرنا بالصلاة، وأنقذنا من مهاوي الضلال للطاعة، وكتب لنا سلامة العقبى، وخاتمة الخير، مؤمنين به، غير راضين عن أنفسنا وأعمالنا، مؤمنين برحمته.. وعفوه.. وكرمه.. وغفرانه.. إيماننا به، آمين.

وبعد فما أود أن يحول استغراقك في مسؤوليات عملك بيني وبينك فاجعل الصلة بيننا عادةً تحمل نفسك عليها حتى تعتادها.. في كل أسبوع مرة أو في كل شهر مرة.

وإلى اللقاء يا صديقي.. واعف عني في ما أثقلت عليك به من هذا الهذر.

حمزه شحاتة

١٩٦٤م

رحلة إلى القمر

أخي محمد عمر

ما رأيك في رحلة إلى القمر؟ رأيك فيها كمشروع يضاف بعد الانتهاء فيه لرأي مشترك، إلى آلاف المشاريع، مشاريعنا الجادّة، من قبل.

أعرف أنها رحلة باهظة التكاليف ولكن أليَس من المحتمل أن نحصل عليها مجاناً كبروفة من البروفات الأولى التي تقدم لاختبارات الثبات لمقاييس الأمان من مخاطرها.

إذا كنت لم تفقد حتى الآن بساطتك في اختيار الرفقاء تحت وطأة كثير أو قليل من عوامل التحول التي تفرضها الحياة علينا راضين و مكرهين ـ فإنك لن تجد رفيقاً أكثر مني مرونة، واحتمالاً للمشقات في صورة الاستسلام والإذعان والرضوخ الأبدي لها.

لن انتقل بك إلى مشاريعنا الأزلية التي غطت ربع مسافة الكرة الأرضية على أقرب تقدير إلى الصحة، وآخرها مشروع الأرض المشتركة أو الأرضين المتجاورتين في المدينة المنورة لنمارس فيها الحياة على طريقة برايل التي تتحسس بها المعرفة عن طريق الأصابع، تربية للدواجن وبعض الماشية وزراعة ما نقتات به إلى آخر القصة التي رسمها الخيال ومحتها الحقيقة،

التي لا تخرج من حدود الواقع أبداً إلاّ عندما يتاح لها أن تنطلق من سجنها هاربة أو مدفوعة إلى الفراغ الذي يحيط بكل سجن من خارجه.

إنه كلام ليختلف عن أي هذيان من أي مجنون..

يشفع له عندك أنه الشيء الذي تنطلق الخوالد الراسبة المتوارية صادقة عارية غير متنكرة، أبسط ما يلقاك به أنك ما تزال من نفسي وذكريات ماضٍ في محلك القديم الذي لم يشغله حتى الآن غيرك.. وأين هذا الغير لو شئت أن تحرجني؟.. وأقول بمرارة.. أين؟ فالناس لا يقبلون عادةً على سكنى الخرائب لأنها كانت قصوراً، وإنما يهدمون القصور الباذخة لكي يلاحقوا ما جاء به الجديد في حركة تطور الحياة.

طالت المقدمة قليلاً عما فرضت على نفسي التزامه.. وأنها لبقية من عادة الاجترار التي كنا نمارسها معاً عندما كانت الحياة كلها فسحة من الوقت تعين على التأمل والتعمّق فيه استبطاناً واستظهاراً لما كنا نظنه حقائق الحياة وأسرارها.. غير آبهين لأن الناس من حولنا يأخذون الحياة. على أن ما يبدو منها هو هي. أو هو إياها على اختلاف النظريين الكوفيين والبصريين في هذا اللغز المحير..

نعم طالت كما اعتادت لحيتي أن تطول في هذه الأيام غير سائلة ولا مسؤولة عما يعني طولها في محيط يحلق أهله لحاهم بمتوسط مرتين في اليوم.

إن هاجساً في نفسك يسألك لماذا أكتب إليك؟ ولماذا أطيل؟..

وببساطتي القديمة أقول إنها ليست غاشية المودة، ولا رجفة الحنين هما اللتان دفعتاني إلى موقف أنشأته الرغبة المادية الخالصة في أن أسألك

شيئاً صغيراً يعجزني أن أقوم به أو يقوم به غيرك ممن ضرب بيني وبينهم النسيان بما ضرب به الموت بين الأحياء والأموات..

هذا الشيء هو حاجتي القصوى إلى معرفة العنوان الكامل لعبد اللطيف جزار (البلد ـ والمحلة واسم الشارع ورقم محل السكن الذي تقطنه عائلته) وإن لم يكن هناك رقم للسكن فشهرته أو نسبته المالكة.

هذا هو الشيء كله وأضيف إليه علمي الخاص بأن محل السكن فيلا خاصة بالرياض وهو مقدار لا يجدي ولا يفيد.

حبذا لو أمكن أن يصلني الرد تلغرافياً وبدون ذكر اسم الجزار وبغير توقيع أو بتوقيع غير اسمك إن رأيت أن هذا ضروري.

إن كانت البرقية غير ممكنة فليكن الجوابَ بالطائرة مستعجلاً.

شكراً وإلى اللقاء.

أرجو أن لا يطول انتظاري وشكراً.

٥ يناير ١٩٦٩م

أخوك حمزة شحاتة

٢ شارع همدان ـ الجيزة

المقدمة(*)(**)

بقلم الأديب الحجازي الأستاذ حمزة شحاتة

الحجر مادة البناء الأولى.

فالإنسان يقيم به المأوى المقصود فيه الغرض على سد الضرورة والحاجة منه.

والبناء يصنع به منزلاً متكامل الصورة في النفع والتناسق والوثائق على نحو أوسع استيعاباً للمطالب المتطورة.

والنحات يصنع منه التماثيل والزخارف وفاتن الأشكال، لا يضع فيها دقة الصناعة وجمالها والنفع. بل المعنى والفكرة ورمز الفن وتعبيره، وأثرها في الخيال.

فصناعة النحت أتاحت للحجر تعبيراً أرقى من تعبيره في المأوى الحاجي، وفي المنزل الكامل.

(*) مقدمة كتاب «شعراء الحجاز في العصر الحديث»، عبد السلام طاهر الساسي، مطبعة دار الكتاب العربي ـ ١٩٥١م، القاهرة.

(**) راجع: «قراءة نقدية لبيان حمزة شحاتة الشعري» للأستاذ الدكتور عاصم حمدان علي.

والكلام هو وسيلة التعبير عن أغراضنا وأداة تشكيلها وتصويرها، فهو ـ بهذا ـ مادة البناء الأولى في مطالب النفس والفكر.

يصنع به المتحدث صور أغراضه ومراميه وشعوره.

ويصنع به الخطيب والكاتب وسيلة التأثير والاستفزاز، والاستهواء وترسيخ الغرض وتوكيد المطلب وعرض الفكرة والدعوة إليها.

ويصنع به الشاعر كل ذلك أو بعضه في صور أعمق فنية، وأوضح مثالية، وأفصح جمالاً، وأروع فتنة.

والناس لا يطلبون في المأوى الحاجي ما لا يحققه إلا المنزل المتكامل، ولا في المنزل المتكامل ـ من حيث توسع أغراض الصناعة والارتفاق ـ ما يطلبونه في صناعة النحت التي تستهدف التعبير الفني عن الفكرة؛ فهم أيضاً لا يلتمسون في الخطيب وما يلتمسونه عند الكاتب، ولا عند الكاتب ما يلتمسونه عند الشاعر.

فالشاعر إذن صاحب صناعة فنية مثالية رفيعة، تتصرف بمادة البناء الأولى في أبنيتها وصورها تصرُّفاً يتيح لها تعبيراً غنياً وأروع وأحفل بالفكرة والإشارة والرمز والمعنى والمضمون، أو تصرُّفاً أوسع مدى من تصرف المتحدث والخطيب والكاتب.

هذا الكلام مبدأ أو محاولة، لتبسيط فكرة التفريق بين المتحدث بالكلام المرسل مطلبه الإفصاح، والخطيب هدفه التأثير والاستهواء، والكاتب غايته ترسيخ الفكرة وتأسيسها، والشاعر يستهدف ما شاء في حياة الفكر والخيال والشعور وحركة النفس وخلجاتها واستجاباتها وحقائقها وأوهامها، أو في حياة الواقع والقانون والمنطق والقاعدة والعمل

والتكوين، والرأي والعقيدة ولكن من هذا السبيل وبهذا الأسلوب سبيل الجمال وأسلوبه الخاص.

بهذا التفريق ـ إن كان معقولاً ـ تتفاوت مراتب الكلام حديثاً مرسلاً، وصناعة حديث، وكتابة أديب، وشعراً.

والشعر ـ على ما يبدو أنه الصحيح ـ كلام وصناعة وفن. ولكنه في كل صورة من هذه الصور، الترف الحافل بمعاني القدرة المعبرة وذخائرها النفسية، في أبهى الحلل والأثواب، حتى بساطته ـ وهي من أسمى صفاته وغاياته ـ إنما تكون ترف البساطة الفنية بالمذخورات، لأفقرها العاري أو المتكلف.

إن بواعث الشعر ـ فكرية كانت أو نفسية ـ هي ذات بواعث الحياة وانفعالاتها ومعانيه وخيالاته وصوره هي التي تجول في كل نفس وفكرة غامضة مكبوحة. أو واضحة طليقة، وباهتة أو لامعة.

والكلام هو وسيلة تصويرها والتعبير عنها، أو هو مادة بنائها، فلا جرم كانت ديباجة الشاعر وأسلوبه قوة وضعفاً وانطفاءً ونصوعاً، وصحة واعتلالاً، هي الدلالة والفارق والمقياس وميزان الحكم على قدرة الصناعة وحذقها وأهبتها واكتمال أدواتها.

ونديرالكلام على طريقة أخرى فنقول: إن بواعث الشعر هي بواعث الغناء في كل نفس إنسانية، ونظن الأمر في هذه الفكرة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل أو موازنة.

وباعث الغناء يقر في نفس كل إنسان تقريباً. فكل إنسان يغني لنفسه بكلام ذي معنى يصنعه ويستعيره أو يدندن بشيء يقل أو ينعدم نصيب المعنى وأثره فيه، وما في ذلك ضير ولا به غرابة فهو طبيعي بل ضروري في كثير من الأحوال، فلو سأل سائل، لماذا يغني الإنسان لنفسه؟ لما كان

هذا السؤال إنكاراً أو اعتراضاً، وإنما يكون تقصياً للأسباب والبواعث والعلل.

أما إذا سأل: لماذا يغني الإنسان للناس؟ فإن السؤال هنا يشمل الإنكار أو احتماله ويشمل مسوغات الإقرار لفتح بابها أو قفله قبولاً أو رفضاً.

والإنسان إذا غنى للناس ـ احترافاً أو هواية ـ كان أول واجباته وأخلقها بالالتزام والرعاية من جانبه أن لا يقول شيئاً على أنه باب من أبواب الكلام يُفهم، بل شيئاً يستجاب ويطرب ويحرك الإقبال من باب حُسْن التصويت، ورخامة التنغيم، وقوة الاستجابة للمشاعر أولاً.

فهذه الصفات تنزل منزلة الأسلوب واتساق العرض وجماله وتأثيره في بسط النفس واجتذابها إلى ما تحتها أو وراءها من غرض هذا المغنى الماثل في المقطوعة المغناة أو القول المردد.

وقد يفتقد في المغني حسن الصوت ولطافته فيستعيض السامع من ذاك قوة النبر أو امتداد النفس أو عمق الترجيع أو القدرة على الضبط والتوازن أو سعة الحيلة في التصرف فهذا تحريك للإقبال والتأثر والانفعال في السامع بلون أو أكثر من ألوان القدرة والحذق يعوضه عن فقدان مطلبه الأساسي من المغني.

فإذا حرم المغني من ذلك كله ولم تبق له إلا قوة المعنى وجماله وبراعته في بناء المقطوعة، لم يَعْدُ أن يكون مردداً أو مرتلاً أو مُنشداً... وهذا على أي حال غير مطلب الغناء والتطريب وغير ما يستحق به رافع عقيرته!! اسم المغني أو المطرب.

* * *

وعلى أن الشعر كالغناء في بواعثه وغايات تأثيره كان لكل إنسان يحسن بواعث الشعر أن يقوله. كما كان لكل إنسان يحس بواعث الغناء أن يغني. لا حجر في ذلك على كليهما أمام قوانين الحرية والاختيار. أما أن يرفع المغني أو الشاعر عقيرته بين الناس فمسألة أخرى تختلف كل الاختلاف، فهو هنا عارض بضاعة، أو طالب مقايضة، أو ملتمس مكانة، أو مستهدف غرض أدبي في الجماعة، أو متطوع لها ـ احتيالاً على المحمدة ـ بما يفرض فيه أنه خير ما عنده، أو خير ما يقدر عليه؛ على معنى أنه مُغن أو شاعر، والمعنى الماثل في عديد هذه الصور يتضمن الدعوة إلى المشاركة فيما يستحق بحشم مشقة السعي والإقبال والتلبية، واحتمال المنة المظنونة.

والإنسان وحده يأكل ما يشاء أو ما لا يقدر على أحسن منه وأطيب، ليس لأحد عليه حجر في الاكتفاء بالميسور والتافه وبما ليس به غناء في إقامة البنية أو حفظ الرمق، ولكنه متى دعا الناس إلى وليمة وجب أن يزكي دعوته ببسط أسباب الكفاية والإمتاع والتوسعة لهم، وتوخى غاية التجمل والإحسان على مقدار غرضه من دعوته أو على مقدار حرمة ضيوفه عليه أو على أنفسهم فهذا هو الصحيح.

ولو سألنا الآن: ما هي أغراض الشعر؟ لوجدنا أنها الجمال والتأثير، وإبداع الصور، أو استعارتها لتوشينها وجلائها وتلوين الحقائق والأفكار، أو صنعها أو صنعهما، أو ما شاءت المذاهب والطاقات، والمعنى المنطوي في ذلك كله، والدائر على تفسير جهد الشاعر، إنما هو مباهاته المضمرة بقدرته على هذا النحو من الإنتاج الفكري الرفيع ـ ما في ذلك شك ـ.

والشاعر في وسعه أن يكتفي بميسور الشعر أو بما دونه لنفسه ولمن

ينزل منزلتها عنده، ولكنه متى أقام المعرض لكفايته على أعين الناس وأسماعهم فقد أولم! أو رفع عقيرته بالغناء! فما يحسن به حينئذٍ أن يستبقى من غايات فنه بعضها حين يفقد سائرها، ولا أن يكون هذا السائر المفقود هو القوام، أو ما يدخل في باب المطالب الأصلية للشعر والغناء.

ونوضح الأمر فنقول: إن الأسلوب قوام الشعر كما هو قوام الغناء، أو كما هو قوام كل فاتن وجميل وقوي ومؤثر في جملة ما يتوقف حصول تأثيره، على اجتذاب الرغبة فيه وإثارة الإعجاب به وتحريك الميل إليه.

نعم! إن الأسلوب قوام الشعر، ومظهر غاياته ومقاصده وهو في هذا كالجمال تهيأ له الوسامة والقسامة وحلاوة الشارة على قانون مقاييسها الجسدية، ولا تتهيأ له الحركة والنبض والروح وتأثير انطلاق معانيه، فيكون جمالاً (أسلوبياً) تجتمع له أسباب القدرة ومظاهرها ولا تتم له بها الغلبة والسيطرة على المشاعر والنفوس، ولكنه يظل جمالاً سليماً في القاعدة والتعريف، جمالاً يحرك الإعجاب والميل إلى التأمل إن لم يحرك الرغبة ويبعث الصبوة ويثير الهوى. فهو بهذا خير من دلائل الحركة الباطنة والنبض، والمعنى، والتعبير الملحوظ ـ في جسم متنافر التركيب، أو شاذ المقاييس، أو مطموس معالم الوسامة.

فالأسلوب في الشعر هكذا؛ هو شارة الحسن وشياته في مثال الجمال، ولا معدى عن أن يكون صفة الشعر الأولى ومزيته وأساسه وقوامه.

ولا شك أن الجمال التام هو ما تجتمع له سلامة الصورة موازنة لمعاني التأثير في تعبير المفاتن الجسدية أو شيء من هذا إلى شيء من ذاك.

ولكننا نسأل: أي جمال ـ أسلوبي ـ يخلو من صفات التأثير ودواعيه وأسبابه؟ كما نسأل: أي كلام يمكن أن يخلو من المعنى؟ إنما أسوأ الفروض أن يكون وجود صفات التأثير ودواعيه وأسبابه في الجمال ـ الأسلوبي ـ وجوداً ناقصاً أو مرجوحاً فلا يكون بهذا النقص سبباً مباشراً في التأثير أو السبب المباشر له، بل معنى فيه، أو عنصراً في جملة عناصره، أو عاملاً من عوامله فهذا أخلق بأن يكون المعقول والواقع المفسر.

ولنذهب أبعد من هذا المذهب فنتصور جمالاً توازنت فيه معنويات الروح المعبرة المنطلقة، على مقاييس جمال الجسد وحسن شارته، ولكنه فقد جمال الاتساق في التصرف وبراعة الحركة في المشي والالتفاف والإيماء والاستجابة أو فقد لبوس النشاط المستمد من حذق القدرة في الإدراك والفطنة واللمح والحنكة والدربة المكتملة في استخدام المفاتن أو استخدام ما تدور عليه من انسجام الزينة والملبس! أفلا يكون بهذه العنجهية جمالاً يستثير العطف والمرحمة والإشفاق أو ربما استثار السخرية، لما طرأ على جملة أسلوبه من النقص والاضطراب والمفارقة بسبب فقدان هذه العوامل التي هي أسلوب، أو تكميل له؟؟

فالأسلوب في هذه الحالة، هو فن القدرة على استخدام المظاهر وتطويعها للتعبير عما ترمز إليه تعبيراً تنهض به الفتنة ويستقيم التأثير.

إن فن الحركة وفن توزيع الألوان، أو الأنوار والتصرف في تسليطها وتقدير نسب سقوطها على الأمكنة والشخوص والمناظر والحالات، وفن تزويق الملابس بالتقصير والتطويل، والتضييق والإرخاء والشد واللف والضم والمواءمة أو المفارقة بين خطوط اتجاهاتها بالمعارضة والانحراف ـ

إن كل ذلك أسلوب يضع صوراً من الجمال أخاذة السحر والفتنة تكبر الصغير وتجلو الغامض أو تكسب بالغموض المتوخى أسباباً مثيرة للافتتان. . . أو توارى القبح أو تصغ بالمغالطة عن الحقيقة صواباً فنياً يهز ـ أو يحرك ـ الإقبال.

فإن كان الشعر فناً والشاعر فناناً أو كانا صناعة وصانعاً فالحقيقة لا تختلف وهي أن الشعر موضوعه وغايته الجمال والتأثير في كل مدخل ومخرج من مداخله ومخارجه، وإلا كان كل كلام يغني عن الشعر وكل مبين عما يحس ويتخيل ويبتغي يغني عن الشاعر.

والناس؟ أفلا يحبون ويتألمون ويحسون ويصفون ويفرحون بالطبيعة ويتحمسون ويستجيبون لكل ما يستجيب له الشاعر ويستثير بعضهم بعضاً. ويفكرون ويحللون ويتنادرون ويتمثلون الأمثال والحكم ـ على نحو لا يختلف إلا باختلاف صيغ الكلام وأساليبه؟ فما حاجتهم إذن إلى الشعر والشاعر إن لم يكن أسلوبه في العرض والتركيب والتلوين والتصوير واستخدام الخيال والتصرف بعناصر الجمال تعقيداً. . . وتبسيطاً وتوليداً ـ جاعلاً لكل ما يعرفون ويحسون أبعاداً وصوراً وفتنة أعم وأغنى وأحفل ببواعث التأثير؟؟

وهكذا، فما حاجتهم إلى النجار والبناء؟ أفلا يسع أحدهم أو يسعهم بالتعاون والاشتراك أن يصنعوا من الحجر والخشب ما يشاءون على النحو الممكن ومعناه المقصود!؟

والآن ـ وإن كنت لم أستوف الكلام بعد إبقاء على صبر القارىء ـ أدعوه أو أعزم عليه ـ باسم الله ـ أن يخوض وحده معركة سافرة ضد ثلاثين شاعراً ـ على وجه التقريب ـ من شعراء الحجاز في هذه المجموعة

التي اختار جامعها ـ غفر الله له ـ أن لا يقدم لهم أو لها سواي دون عباد الله قاطبة ففعلت بعد أن سدت في وجهي أبواب الهروب والإفلات.

والقارىء لا شك يعلم أن من مصطلح أدب التقديم الذي جرى فيه الناس على مألوف العادة والعرف أن يكون تنبيهاً عريضاً إلى المحاسن وإعلاناً عنها أو لها إشارة مجملة إلى نقائضها وأضدادها لا تخرج عن نافلة الاستبراء بحركة... أو بحركتين إن رؤي أن هذا ضروري لإثبات الأمانة.

وهذا ـ ولا أكتم القارىء ـ مزاج ثقيل الوطأة على مزاجي وعقلي أو هو امتحان عنيف لطبيعتي بما لا تواتيني عليه. فما يسهل عليّ أن أنزل منزلة المعلن أو قارع الجرس أو السمسار يروج السلعة بالباطل أو بما يدخل تحته من صور الحق والجد المصنوعة الجاهزة للطلب!!

وإني لأعرف كما يعرف أي عاقل من القراء ـ فما يعنيني غيرهم ـ إن الجيد إعلان ذاته فحسبه من الداعي إلى الإقبال عليه التنبيه الرصين أو الإشارة المجملة. أما الرديء فهو أخلق بطول الكلام عنه وفيه وحوله، من الناقد أو العارض أو «المقدم».

والمقدم وهو هنا أنا ـ إذا كان القارىء لا يعلم ـ وسيط بين الشاعر وقرائه. فأول ما ينبغي أن يتصف به أمانة الوسطاء في دفع أسباب الخداع والتضليل، ووضوح البراءة منهما، ويشهد القارىء الجاد أني فعلتها بما قلت وإن كنت لم أفتح الباب على مصراعيه واعتماداً على فطنة الناس وزكانتهم.

ولقائل أن يقول: ولكن الناس يعرفون أو هذا هو المفروض فيهم، فما ضرورة تنبيههم إلى المساوي؟ أو يجهلون فما حكمة أن تفتح عيونهم على ما يسوء ويعثي؟ والرد على هذا يتلخص في أن الإنسان ـ الطبيعي ـ

إنما يستهدف حتى من تحمل الخبر الخالص نفعاً لنفسه ولو جاء هذا النفع من باب اللذة والارتياح. وإذن، فلا أقل لمن يقدِّم مجموعة من الشعر ـ كهذه ـ من أن يدفع التهمة عن رأيه وفطنته وبصره وإلا كان قارع جرس، أو حامل طبلة، أو سمساراً. وما أحسب أن الجامع، يبطن الرضاء لي بهذه المنزلة، وعلى أعين القراء وأسماعهم، وفي هذا المقام الذي لم يحملني على التعرض لأذاه المؤكد إلا هو ومن استعان بهم علي. نعم إنه لكذلك كان شر ما في الدنيا صداقة جامعي الشعر وحاشدي الشعراء.

أوهبني بائع دابة سليمة! فما يكون اشتراطي العيب فيها تفادياً لاحتمالات السوء الممكنة، وأخذاً بخطة الحزم في سد باب الذرائع؟؟ فهذا ما آثرته لنفسي على بينة.

وأمر آخر! هو أن سعادة الوزير المفوض الأستاذ الكبير الشاعر محمد سرور الصبان كان قد سبقني ـ في غرة المحرم ١٣٦٨هـ ـ إلى تقديم (شعراء ثلاثة!) فقال أحسن الله إليه: «الشعراء الثلاثة الذين نقرأ بعض شعرهم في هذه المجموعة ليسوا كل الشعراء الممتازين في البلاد ولكنهم ـ دون شك ـ من نخبة الشعراء الممتازين فيها». فماذا يقول القارىء في هذا وفي أنني ـ ثالث! ـ هؤلاء الشعراء على إباء منِّي وعناد بلغا حد الحرارة والتهديد بمقاضاة الجامع!؟ وعلى إيماني بخطأ الناس في اعتباري شاعراً لمجرد أنني أنظم في بعض الحالات؟؟

إنها غمزة من الأستاذ الكبير للجامع ولثلاثة الشعراء مجموعته! غمزة زادها وضوحاً بقوله: «ومع أن هذه المجموعة ليست كل نتاج هؤلاء الشعراء، ولا كل جيد شعرهم، وسواء أكانت من مختارات الجامع! أو من مختارات الشعراء أنفسهم فإنها مجموعة صالحة للتعبير عن...»

ثم قال: «ولست هنا في معرض النقد».

وهكذا أرادت فطنة الأستاذ الكبير أن تدفع وهم القراء الذين عساهم يستمدونه من قلة في العدد لعلها تحملهم على ظن التفرد بالامتياز على سائر الشعراء، لثلاثة منهم!! وكأنما أراد سعادة الأستاذ الكبير أن يقول: إنهم شعراء ثلاثة، وليسوا الشعراء الثلاثة، وبين التعريف والتنكير هنا فرق ملحوظ يفسر الغمزة التي تناولت المختار من شعرهم بالتشكيك فيه؛ ويفسر تعريضه بقالبية هذا المختار للنقد، لو كان في معرضه!

لست أسوق هذا الكلام الذي طالت به المقدمة فانقلبت شيئاً آخر لا أعرف له اسماً، إلا لأدلل على ضرورة الجزم بوجوب الأمانة والفطنة والتحرز والأخذ بأسباب التحوط ـ ولو كتابة كما فعل الأستاذ ـ لكل من يقدم ثلاثة شعراء فما فوق!!

وهكذا يذهب سعادة الشيخ ـ دوني ـ حتى بحسنة السبق إلى هذا، ولكن! أيفوتني اقتفاء أثره؟ فما زلت أرى أن الناس ينالون الحظ أضعاف ما ينالون بجد المساعي حتى في دنيا الأدب والشعر... والتقديم! كلا! والله. وما يعيبني الرضاء بالميسور إن كان هو كل ما يتأتى لمثلي على وعورة النجهاد ووعثاء الإمعان في السعي وكمال العدة على أقوم الوجوه وأسدها. والأستاذ الكبير يعد أحد الشعراء في هذه المجموعة الزاخرة بالعدد الوافر من الشعراء التي أقدم لها مكرهاً لا مختاراً... بل هو حامل رايتهم في نظام الصف والترتيب. لهذا وحده يجعل الأمر أدعى لإبراء الذمة، وتخليص الضمير... وابتغاء مرضاة الله بقوله الحق! وإلا فماذا؟

لقد وجد الأستاذ الكبير ما قاله في المجموعة الأولى فترى ما الذي كان يقوله مما يدفع به التهمة عن فطنته أو يوجه به الغمزة لو كان هو

مقدم مجموعة اليوم لا أنا؟!. فهذه مجموعة ضخمة من الشعر! وعدد من الشعراء وفير: وهذا اختيارهم لا اختيار الجامع: ـ والحمد لله ـ ونحن نستقبل نهاية عام ١٣٧٠هـ لا مطلع عام ١٣٦٨هـ.

أهناك شيء آخر؟ إنه الحصر والاستيعاب على ما يبدو. فهل يرى سعادة الأستاذ الكبير أن أعرف الناس بهذا؟ أو أن أقتفيه فأقول: عن هذا العدد من الشعراء الممتازين ـ وكلهم موهوب ـ هو «ما تيسر»! حشده الآن... أو في خلال سنتين مضتا أو ثلاث والبقية تأتي؟ وإن هذا الشعر الممتاز ليس هو أجود ما قالوه ولكنه منه ولا أجود ما قال أشباههم ولكن بسبيله؟ وأنه ـ على هذا ـ صالح لتمثيل دورنا في (تكوين الأدب العربي الحديث... أو للتعبير عنه وكان الله سميعاً بصيراً؟؟)

إنها غاية من غايات الاحتياط والتحرز والغمز لا أتعلق بغبار الأستاذ الكبير فيها. وما أكثر ما خانني حظي وأسلمني فلتكن مرزأة من مرازيه التي اعتدتها حتى ألفتها..

ويحلو لي الآن أن أصرف حديثي إلى القارىء ـ مترفقاً على صبره ـ فأقول: إن الناس يتعلمون الرقص قبل أن يقوموا به علانية في المجتمعات. ويحذقون قيادة السيارات قبل أن يقتحموا بها الشوارع. أو أن هذا هو المفروض والواجب. فإذا خرج راقص في حفل عن مساوقة الموسيقى والإيقاع وداس في كل دورة من دوراته مرة أو مرتين على قدم من يزامله كان لا يصلح أن يرقص على أعين الناس وأسماعهم لأن الرقص عرض سليم واتساق وجمال وترابط وانسجام وقدرة على التصرف وتعبير، وقواعد. أو... لأنه أسلوب!

وإذا اضطربت عجلة القيادة بين يدي قائد السيارة فتأرجحت أو جنحت

أو كان لا يتاح لها التماسك والربط عند وجوب أحدهما أو كليهما، أو كانت لا تنساب وتتدفق وتلف وتتحول في إحكام وسلامة واتزان يدل كل منهما على صحة التقدير وقوة السيطرة كان سائقها جاهلاً بخصوصيات القيادة كفن أو كصناعة أو كعمل... ولو اقتنى مصنع سيارات، لأن قيادتها فطنة ولمح وإدراك وحذق وحسن تقدير وصناعة. أو، لأنها أسلوب، فالأمر على هذا القياس بالنسبة للشعر والشعراء.. ولو كان حجازياً... ولو كانوا حجازيين؟؟

إنه أمر يهول...

وما على القارىء الآن ـ وهذا هو الحق لا غيره ـ إلا أن يخوض المعركة وحده فيسأل نفسه، أو يسأل سواه ـ وله الخيرة ـ ما هو نصيب كل شاعر ـ في هذه المجموعة من قصة الأسلوب والدِّيباجة هذه، إشراقاً وقوة ومتانة تركيب؟ وما هي قدرته على التصرف وفطنته وحذقه في الصياغة والتركيب والتعبير والاتساق وسلامة الحركة ورشاقتها... وتجنب وطء الأقدام أثناء الرقص؟ وما هو حقه في ادعاء الشاعرية واكتساب رسمها؟ أو حقه في أن يرفع عقيرته بين الناس في الشعر؟؟

فإذا عرف القارىء شيئاً ـ وسيعرف ـ فقد تهيأت له أسباب الحكم والتحديد واستعان بخير الطرق وأقلها مشقة على التقصّي والكشف عن مزية كل شاعر وطابعه وخصوصياته وشخصيته وقدرته. وقد وقع على الجمال الذي يجتمع له إلى حسن الشارة والميسم في ظاهره. جمال المعنى وفتنة الدعوة والتأثير في ما تحت هذا الظاهر المجلو، أو وقع على القبح الشنيع يزيده شناعة أنه شعر من صناعة شاعر بين شعراء.

أما أنا فقد نصبت الميزان وأقمت المقاييس ومهدت الجادة بما وسعني

من جهد ودفعت التهمة عن فطنتي بما حسب القارىء به وكفى. وأديت للوساطة حرمتها أو حقها من الأمانة ولم يعد للقارىء إلا أن يزن ويذرع ويحدد الفروق والمراتب والدرجات فما يتسع طوقي لأكثر من هذا ولو اتسع لكنت خليقاً بألا أتجاوزه اتّقاء لما تجر إليه الجرأة على حرمات الشعراء من نصيب الدفاع وأوصاب الذياد في هذا الزمن المدبر الذي تضخم فيه كل شيء حتى الشعر والشعراء.

وهذا حق نفسي علي في التماس السلامة بالتقية والاحتراس أو بقبول تهمة العجز عن اضطلاعي بأعباء الملاحاة المتوقعة من نيف وعشرين شاعراً... وذوي عصبياتهم الأدبية، وأشياعها... فإن الأمر ـ على ما يرى القارىء ـ جدير بأن يروع القلب أو يخلعه، والإنسان مطالب باتقاء التهلكة فإن قال القارىء ـ متخابثاً ـ وهو مطالب أيضاً بأن لا يجهر بالسوء قلت إن تعميم الرمز والتضمين والإشارة وإطلاق الدلالة بالقواعد التي يكتشف بها النقص أو تفرق المعابث في الشعر والشعراء مثلاً ليس من باب الجهر بالسوء أو الهمس به. أفلا يقول الواعظ لوجوه الناس وعليتهم... وفي المسجد... ويملء صوته: «أيها الناس لقد فسدت أعمالكم وزاد إمعانكم في الضلال وركوب الموبقات الأوزار والسوء وكيت وكيت من الرذائل» فلا يكون لأحد من سامعيه أن يأخذ بتلابيبه إلى حيث يقاضيه فإذا ما رمى رجلاً بعينه أو بسامعه بشيء مما قال: لزمه ما يلزم المعتدي على كرامة مسلم فأقام البينة وأخذ بالجريرة؟

ولم يبق للقارىء بعد هذا في عنقي إلا أن أسأل الله لي وله المغفرة، وحسن العاقبة، وسلامة المصير، ولطف الختام.

* * *

وبعد، فإن من شعراء هذه المجموعة من لا يفخر الحجاز وحده بهم ويتيه، بل كل بلد عربي، وهم: السرحان، وعواد، وقنديل، وحسين عرب، وأشباههم في معظم السمات وفي بعضها دون جملتها.

ومنهم مستحق الرثاء، ومنهم مستوجب التَّعْزير، حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء ظنه شعراً، فأفسد به ـ أو كاد ـ جو هذه المجموعة الرقيقة حتى أوشك أن يتحول به إلى جو مظاهرة من المظاهرات التي يغلب عليها عنصر الرعاع والدهماء. وغفر الله لي ولسعادة الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان فهي جريرة من جرائر تقديمه للشعراء الثلاثة في (غرة المحرم ١٣٦٨هـ) فتحت هذه الشقوق والغيران فانطلقت منها هذه الأحياء الشاعرة تكثيراً للعدد أو تسويغاً لدعوة الأستاذ الكبير أو تحقيقاً لأمله العريض فيها أو إغراقاً للسوق بالعملة الرديئة على الطريقة الشائعة.

والله من وراء القصد وهو الغفور الرحيم.

نماذج من رسائله

رسائل إليهم

تميزت أساليب حمزة شحاتة بالانفراد في طرح الحقيقة التي يود الوصول إليها وذلك عبر عبارات درامية أقرب ما تكون للمواقف المأساوية في الأعمال اليونانية القديمة.

وعمق المأساة في رسائل حمزة شحاتة تنبع من فلسفته وطريقة عرضه لأبعاد هذه المأساة، وهي قدرات قلما تتوفر في أديب استطاع أن يرسم ابتسامة واهنة على ملامحه المتعبة من فعل الأيام والسنين.. فهو يقول في ـ رسالة لعبد الله خياط: (إننا لا نفعل ما يجب وينبغي.. لا لأننا لا نريد ولكن لأننا لا نستطيع).. ومهما يكن من قيود حاول حمزة شحاتة أن يسوق من خلالها عبارته ألاّ أن وضوحه في العبارة كان كاشفاً لأبعاد ما يرمي إليه دون أية مواربة.

وفيما يلي نص رسالة من رسائله إليهم:

أخي عبد الله خياط

لم أكن أتوقع أن تكتب إلي بهذه السرعة، ولم يكن يخطر لي أيضاً أن تنشر رسالتي إليك، لأن ما جاء بها أشبه بملابس لم تغسل بعد.

ألا تظن أن لحسن النية علاقة بالنشر.

الآن عرفت لماذا لا تأخذ المحاكم والقوانين بمبدأ حسن النية..

إن أخطر الأعمال والتصرفات يمكن أن تتخذ من حسن النية ستاراً أو تفسيراً.. أو عذراً من حسن الحظ ـ لا النية ـ إني لم أزل أذكر تحذيري إياك من نشر الرسالة أو الغسيل على الأصح.. وقد سميت لك هذا التحذير اختباراً لحسن نيتك.. وكنت شجاعاً. آثرت أن ـ تقذف بحسن نيتك إلى حيث يشاء لها سوء مصيرها أن تقع.. وكنت تعرف أنها لن تقع إلاّ على أم رأسي أو أبيها..

وبكل براءة جئت تخبرني بأنك قد نشرتها.. كأنك حققت طلبي..

لقد كنت ماهراً جداً إلى جانب أنك شجاع.. وبالقدر الذي يخلو من الحكمة. من يدري ربما كان العمل في الصحافة يقتضي أن يكون المشتغل بها، هكذا..

ليست المشكلة في هذا ولكن في أني لا أستطيع التخلص من سذاجتي المبرمة.

إننا لا نفعل ما يجب ويبتغي، لا لأننا لا نريد، ولكن لأننا لا نستطيع.. والمسألة الآن:

هل أستطيع أن اتخذ موقفاً يضمن السلامة مما يجر عليَّ حسن نيتك؟ وستكون المحاولات فاشلة.. ولكن طول التشبث بشيء يعيننا على تحقيق نسبة من النجاح.

إن ما أطمح إليه بسيط جداً.. مقدار من المرونة على التكيف وتغيير معدلات الحركة واتجاهها..

سأكون بحاجة إلى مزيد من الجهد، وهذا لا يسهم طالما ظلت لي قدرتي على التنفس بصعوبة أو بسهولة.. لا بد أن يكون هنا مخرج على نحو ما..

يبدو أنك لست مرهقاً إلى المدى الذي يحول بينك وبين القفز الدائم في ملكوت الله الواسع وهذه متعة لم تعد متاحة لي منذ عشرين عاماً، لم يبق لي الآن إلاّ أن أحدق في الفضاء، من نعمة الحضارة على الشباب في هذا العصر إنهم لا يجتازون هذه المرحلة، لقد تغيرت الدروب والمسالك.. منذ تبدلت وسائل الانتقال.. وهكذا دائماً تبرز الظروف الجديدة ـ إنساناً جديداً ـ مختلفاً تماماً عن الإنسان القديم.

ما يحدث الآن من التغيرات في عام، لم يكن يحدث في قرون، وبهذا غدا الإنسان أطول وأعرض وأعمق عمراً مما كان، وأكبر قدرة على التشكل والتكيف.. وبنفس معدلات السرعة سيتحول إلى مستودع المخلفات..

ألا ترى شباباً في مثل عمرك أو أكبر قليلاً، تحولوا إلى منطقة التحديق في الفضاء.

وبالمناسبة هل تحولت أبحر إلى شانزلزيه جدة؟ أن اسمها يتردد في الشعر.. والغناء والقصص..إنه انقلاب خطير في مجرى الحياة ببلادنا.

شكراً لك على خطابك الرقيق.. لقد كان علامة وفاء، ودلالة حافلة بالشعور الذي يظن المتشائمون أن نفوس شبابنا خلت منه في ظروف الحياة الجديدة وشواغلها الكثيفة.

ستظل في نفسي دائماً بموضع التقدير، حبيباً وصديقاً حتى بحسن نيتك.

عدني بأن لا تخطئ مرة أخرى بنشر ما يدور بيننا.

إن القرّاء بحاجة إلى شيء غير ما يمكن أن تتضمنه الرسائل الخاصة على الأقل لكيلا يكون دليلاً على الجمود والنضوب.. فالحياة اليوم أحفل بالمعطيات.. كل القرّاء يعرفون ذلك..

تحيتي وتقديري وإلى اللقاء..

أخوك حمزة شحاتة

١٥ مارس ١٩٧٠ ـ ٢ شارع همدان ـ بالجيزه ـ ج.ع.م.

غربة النفس

تفاعل حمزة شحاتة مع نفسه في غربته.. وكانت غربة النفس عند حمزة أساساً من أسس معاناته وآلامه.. وهذا التفاعل كان بمثابة قطرات الماء البارد في وهج الصحراء القائظ.. سرعان ما يذهب ويتلاشى دون أن يحقق شيئاً. ولم تكن القدرة الحقيقية لهذا التفاعل إلاّ نسيجاً يرى من خلاله حمزة شحاتة ما يريد أن يراه هو.. لا الآخرين.. وعذاباته مع نفسه صنعت في داخله هذا الكم الهائل من الشجن المنثور بين سطوره سواء تلك المدونة في رسائله أو قصائده، أو في مقالاته وأعماله الأدبية.

هذا النسيج الفريد بلوره حمزة شحاتة بعفوية شديدة فرسائله لأصدقائه في ساعات الضنك والضيق ولحظات القسوة والألم.. لم تكن سوى عصارة مباشرة لمشاعره المتأججة وشجنه الجاثم بين ضلوعه.

وهذه التفاعلات وغيرها أعطت الآخرين فرصة الرؤية لجانب مهم من جوانب شخصية حمزة شحاتة الفكرية، وهناك العديد من الجوانب الأخرى الدفينة.. وعلى هذه الصفحة نطالع معاً رسالة من رسائله.. هذه الرسالة للأستاذ عبد السلام الساسي:

أخي الأستاذ عبد السلام الساسي:

قرأ لي صديق ما نشرته في عدد عكاظ (عدد ١١٩٥/١٠ أكتوبر) فشعرت برعدة حادة شملت كياني ظاهراً وباطناً.. عرضتني لكآبة ما تزال تلقى في ما يشبه الضباب الكثيف..

وسألت نفسي تحت وطأة انفعالي.. أأنا حقاً المعني بكل هذا الثناء المسرف؟ وعلى ماذا؟ أعلى كلام تلقاه الناس على أنه شعر لمجرد أنه جاء في الشكل المعهود للشعر من وزن وقافية؟

أن الشعر يا صديقي ليس قوالب وأشكالاً.. إنه فن استخدام الكلمة.. وابتداع الصورة، وإبراز التجربة الشعورية الصادقة التي تتخطى السطوح إلى الأعماق.. وإنه القدرة السحرية على تحويل غير المنظور إلى منظور حي، وعلى تحويل الكلمات إلى أضواء باهرة تجدد ألوانها المثيرة كلما تجدد إليها النظر..

فأين من هذا أو من بعضه ما عرضته النماذج التي استعرضها مقالك؟

لقد ظلمت القرّاء يا صديقي بأنك عرضت عليهم سوأة شاعرك في شر أشكالها، وفي شر ظروف العرض.. وظلمتني بأنك حولتني إلى أسطورة..

وإن من حق كل إنسان أن يغني لنفسه بصوته ولو كان من أنكر الأصوات.. أما أن يغني للناس فهذه مسألة أخرى تتطلب إلى جانب سلامة الصوت وحلاوته، الحذق والمهارة والقدرة على التأثير في خير الصور والأشكال.. والظروف أيضاً..

ثم من هو شاعرك الذي تعرف قرّاء عكاظ به؟

لقد قلت في جدية الواثق إنه أنا.. وإنها لتهمة أبرأ إلى الله وإلى الناس

منها.. ومن كل جرائرها مدحاً وقدحاً وقبولاً ورفضاً.. وتصديقاً وتكذيباً.. وتعديلاً وتجريحاً.

وما عليك الآن يا صديقي إلاّ أن تنيطها بعنق أي متعاط للنظم إن كان ناظماً، وللشعر إن كان شاعراً يرضيه أن يؤوب بخيرها أو بشرها.

حسبي منك أن تبرئني من هذه الوصمة بنشر رسالتي وأنها أمانة لي عندك أعرف أنك ستؤديها.

وإذا كان من الناس من يستطيب الثناء عليه بما يرى أنه غير أهل له.. فإن منهم من يكره الثناء عليه بما هو أهل له.. ولسوء حظي كنت من النمط الذي يكره الثناء حقاً، فكيف أرضاه باطلاً؟

وأنت ومن يعرفني من الناس تعلمون أني أبغض الثناء علي في جميع صوره إذا كانت الغيبة ذكرك أخاك بما يكره فمن حقي عليك كصديق أن لا تلقاني بما أكره..

وتعلم يا صديقي أني لا أكره الثناء، لكي أظهر بمظهر المتواضع، لأن فضيلة التواضع لا يمكن أن تؤاتي إلاّ ذوي القدرة والرفعة والقدر، ولست منهم ولا فيهم على التحقيق.

إنها قصة المقدمة التي نسبت إليّ في مقدمة كتابك (الشعر الحديث)، يبعثها القدر وبيدك لتحرث بها في البحر مرة أخرى.

أسألك الرفق بي فقد خرجت من الحياة وأنا فيها منذ ربع قرن، وليس بي شوق إلى أن ـ أعود إليها.. بعد أن قطع الله بيني وبينها ما يزين لي التطلع إليها والأسف على ملقيها وإن كنت لم استرح بعد من تبعات أعبائها ومتاعبها، كداً ونصباً وجهداً والحمد لله على ما كان ويكون..

وإلى لقاء لا يعكر صفاء ذكر شاعرك وشعره.. ولا تلقاني فيه بما أكره.. وسلمت ـ ووفقك الله وإياي إلى ما يحبه ويرضاه.. وكتب لنا السلامة من المزالق والشبهات.. فنحن في زمن لا يدفع فيه جريرة الخطأ، حسن النية.. ولا يبرر فيه العجز بضعف الاستطاعة أو ـ تضاؤل القدرة.. ولا يتشفع الفرج في سوء المشية عند من لا تعجبه..

لقد دعا الهدهد سليمان وجيشه.. وأولم لهم على الشاطئ.. وانطلق على أعينهم إلى الفضاء واصطاد عدداً من الجراد وألقى به في النهر.. وصاح بهم تقدموا على بركة الله ومن فاته اللحم فعليه بالمرق..

هي نكتة في أسطورة.. أو أسطورة في نكتة.

كيف كانت، فإنها تعطيك الفرق سطحاً وعمقاً بين زمننا وزمنها.

الفرق الذي لم أجده في عرضك الطويل العريض لسوءة شاعرك.

لم أجده.. ولكني وجدتها.

وجدتها فيما أولعت به للقرّاء من شاعرك.. صورة هي الأصل لا تختلف عنه.. من فاته اللحم فعليه بالمرق.

وأشهد أن المرق كان أغزر.. وأن اللحم أتفه وأحقر..

إنه موقف لا تشفع فيه الحسنة للسيئة.. إذا ما طغت السيئة فيه على الحسنة فدقت عنقها أو شوهت فتنتها كما صنعت سوءة شاعرك.. أي ما بدا منها على الأصح بعرضك الذي حشدت له وحشدت عكاظ من حسن النية والعرض أقصى ما تستطيعه المبالغة من جهد، أو الجهد من مبالغة.

إلى اللقاء وتحية مباركة...

أخوك حمزة شحاتة

AGENCY
OF THE
KINGDOM of HEDJAZ
~~and SULTANATE of NEJD~~
& DEPENDENCIES

وكالة
مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها
بمصر

26 FEB 1929 — ٢٧ شعبان ١٣٤٧

No. — عدد ٢١٦١ (عدد المرفقات ٣)

Cairo: ٢٧ يناير سنة ١٩٢٩ — القاهرة في ٦ شعبان سنة ١٣٤٧

حضرة صاحب السعادة وكيل مدير الشئون الخارجية الافخم بمكة المكرمة

بعد التحية . ردا على كتاب سعادتكم رقم ٢/٤٧/٣ بتاريخ ١٣٤٧/٦/١٠ أتشرف بإفادتكم أني قد تخابرت مع المفوضية الامريكيه هنا بشأن سفر حمزه محمد شحاته وصالح عبد الله باخطمه الى البلاد الامريكية وتلقيت من القنصليه الامريكيه هنا الافاده المرسله صورتها وترجمتها طي كتابي هذا بأمل التفضل بعمل اللازم لحصول الطالبين المذكورين على الشهادات والبيانات المطلوبه من راغبي السفر الى الولايات المتحده بعد بعد درس ما جاء فيه ومعرفة اي البنود يقع تحته الطالبين . ومن نتيجة مقابلة سكرتير الوكاله لقنصل أمريكا أتضح انه من الضروري قبل حصولهم على أذن المهاجرة أن يتخابر الطالبان أولا مع المصنع أو المعهد الذى ينويان الالتحاق به والحصول منه على موافقة يبرزانها للقنصليه قبل حصولهما على الاذن المذكور . أما شهادة الميلاد ففي حالة عدم وجودها اتفقنا على استبدالها بشهادة من طبيب الحكومة المحلي مصدق عليها من جهة الاختصاص بالحجاز .

وطيه استماره خاصة بالمهاجرة لامريكا وهي لا تملاء الا بمعرفة القنصليات الامريكية وقد أرسلناها للمعلوميه بما جاء فيها فقط . ودراسة الاسئله الوارده بها لاجابة الطالبين عليها عند حضورهما الى القنصليه الامريكيه .

وتفضلوا بقبول وافر تحياتي واحترامي ؟

معتمد مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها
بمصر
فوزان السابق

اسعوا في حصول المذكور حمزة شحاته
بواسطة عبد الغفور

بسم الله الرحمن الرحيم

(1)

[redacted] الحجازي من الارتباط الوطني ،

[redacted] وبعد ، فإني أحس بالرجاء المتصل على تواليها جميعا ، أثار ترقية الحجاز ، وحرقة جديدة في نفسي لم تزل آثارها تحدوني إلى الاندفاع في سبيل الرقي المنشود ، وتدفعني إلى التفكير البعيد في بلد تزدحم فيه حاجات التقدم والأعمال الجريئة النافعة ، لذلك صممت على السفر إلى (إيطاليا) لتحصيل فن الميكانيك بها ، وأنا شاعر بوجود مصاعب جمة ، وموانع كثيرة تحول دون هذه البغية .

وقد قوى في عزيمتي ما أعرفه في سعادتكم من الشعور نحو الوطن العزيز ، وعطفكم نحو العلم عامة ، وإيماني بمساعدتكم الكبيرة ، وما سمعته من سعادتكم شخصيا من عبارات التشجيع والوعد ببذل كل مساعدة ممكنة لتحقيق هذه الرغبة ، مما يحملني على الاعتقاد بإمكان الوصول إلى الغرض في أقرب وقت إن شاء الله .

وقد وجدت (زميلا) يشاركني في الشعور والرغبة ذاتها ، وهو معي في إرادة السفر إلى (إيطاليا) أيضا ، وسيقدم طلبه لسعادتكم ، وكلي ثقة في أن جهودكم الشريفة في سبيل تحقيق بغيتي ستضاعف أمام هذا الاتحاد الذي لا شك في أنه يسركم كثيرا .

وقد أرفقت صورة البيان الذي طلبتم إليّ أن يكون أساسا للحصول على رخصة السفر إلى (إيطاليا) ، مع السماح بجواز ،

وإني أرجو أن تمكنني في مستقبل الأيام من النجاح الذي يكون أعدل شاهد على نبل غاياتكم الشريفة نحو أبناء الحجاز إن شاء الله . وفقكم الله [illegible]

مكة : ٤/٦/١٣٤٧

المخلص

[illegible]

لهذا جاء أنه كان لابد يوماً أن نستجيب لهذه الهجرة التي سيكون أثر ترتيبها الله فيرج، اجتماع عزمنا عليها إن شاء الله.

إن رجلي هنا على ما تعرفه من انتقال الأيام من الناس، والتوفر على الاستقلال بكفالة هذا المجتمع (الصغير) المعقد الذي أنزل من أفراده منزلة الأب، والأم، والمعلم، والرقيب في الدار: والزميل، والخادم، والمترجح أحيانا ليستمد منه القدرة بحيث تسلم بلا الريبة، وتنفخ الجرأة على حرمة الأسرة وتحميه السلوكية من بوادر السوء ونزوات النزق والطيش ومكاره العدوان.

ولست أكثر منك علماً بأحوال الصغار، وما تجره مصاحبتهم من فقدان الرشد، ونقصان الرجاحة، والارتداد إلى عهد الطفولة، وانعدام النظام، وضعف الاشتغال بالحزم وسقوط حد السن، وتمثل صلاتها. ولعلي لا أمثل بين يديك مشيخة سحيقة، بل وأنت صاحب أحواله وفروعه، والمثال السابق في عشائره، والمتصدر في أقرانه، والمتميز في أسلافه، والمتفضل بأطواره، والمقترن بأفضاله. من عند شاء الله لي ولك أن نبلغ مدى السابقين في هذه النزعة، واتصال السلالة البشرية، وإن ربطها مشيئة حكيم خبير، متفرد بالقدرة والسلطان.

منامه إلى جميع مجالس العقلاء. وتزوجت بالبلد [illegible] عند مجيئك إلى أسرتك [illegible]

والبركة.

[illegible]

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية

عدد
[illegible]
٢٥٨٥/٢٩/[illegible]

الى المفتش الاول حمزه شحاته

رفع الينا رئيس ديوان المامورين بخطابه رقم ١٤ في ٣٠ محرم ٣٥٩ يلفت نظرنا الى ان المادة الأولى من اعمال ديوانه والمهنية في القرار الوزاري الصادر منا برقم ١ في ٣٠ محرم ٣٥٨ والفقرات التابعة القاضية بتاسيس اضبارة خاصة لكل من موظفي وزارة المالية ومحاسبي الدوائر تحتوي على كافة الاوامر التي تتعلق بحركة الموظفين الاداريه من اجازات وجزاءات ومكافآت وانتدابات كما افاد انه منذ تاسيس الديوان المشار اليه حتى الآن لم تقدموا اليه صور نتائج تفتيشكم على مديري المال وما لاحظتموه عليهم في اعمالهم لحفظها لديه في الاضبارات الخاصة بذلك كما يقتضيه النظام فعليه يقتضي ملاحظة ذلك وتقديم صور من النتائج التي ترفعونها الينا للديوان المذكور كي يتمكن من القيام باعماله المستندة اليه ، ولذا انحرر ،،، وكيل وزارة المالية

١٠/٩/٣٥٩

ع .

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
عدد ١١٢٦١ / ١٤٧٦
٢٧١٩

المكرم حمزه شحاته

ابلغنامعالى وزيرالمالية بالبرقية رقم ١٢٠٠ فى ٢٢/ ٣/ ٣٥٩ انعقد صدرت الارادة السنية بتعيينكم مديرالجميع جمارك منطقة الحدود الشرقية الشمالية من قريها اليها وذلك كتقديرلكم فاستعد للسفرحالا وقد لاحظ لنامعاليه بان نخبركم انه لا يقبل منكم اى عذروكلما ترونه من المفاهمات يكون حين مقابلتكم مع معاليه وعليكم انتخاب معاون لكم على رايكم وان رايتم الموافقة على يوسف خلاوى فلامانع عندنامن تعيينه ،،،

فى ٢٢/ ٥/ ٣٥٩

وكيل وزارة المالية

مراقبة البعثات العلمية السعودية
١٦ شارع الروضة ـ المنيل
تليفون رقم ٩٦٢٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم القيد ٢٦٦
التاريخ ٤ ربيع ١ / ٦٥
مرفقات عدة

حضرة الاستاذ الفاضل حمزة شحاتة المحترم

بعد التحية

نفيدكم ان سعادة الشيخ محمد سرور الصبان مدير المالية العام قد ابلغنا نبأ تعيينكم محاسباً لادارة البعثة العربية السعودية على ان تباشروا عملكم ابتداء من غرة ربيع الاول سنة ٦٥ ، وسيصلكم التبليغ الرسمي بشأن تعيينكم

فنرجوكم الحضور الى ادارة البعثة لاستلام عملكم بما عرف عنكم من جد ونشاط

واقبلوا تحياتنا

مدير البعثات السعودية

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
المكتب الخاص

ح ب ١٢٧

حضرة جناب المكرم حمزه شحاتــــه سلمه اللـــــه

السلام عليكم ورحمة اللـــه وبركاتــه ـ نرجوان تكونوا بخــــير

وبعد ـ فقد وصلنا خطابكم المؤرخ ١٥ الجارى واسرنا وصولكم القاهرة بالسلامه فالحمد لله على ذلك ٠

اننا نقدر كلما احتوىه من الروح الطيبه والاخلاص الصادق سائلين الله تعالى ان يوفقكم ويسدد خطاكم لمافيه الخير والرشاد ـ هذا ما لزم ودمتم محروسين ؟؟

وزير الماليــــــه

٢٢/١١/٦٧

فهرس المحتويات